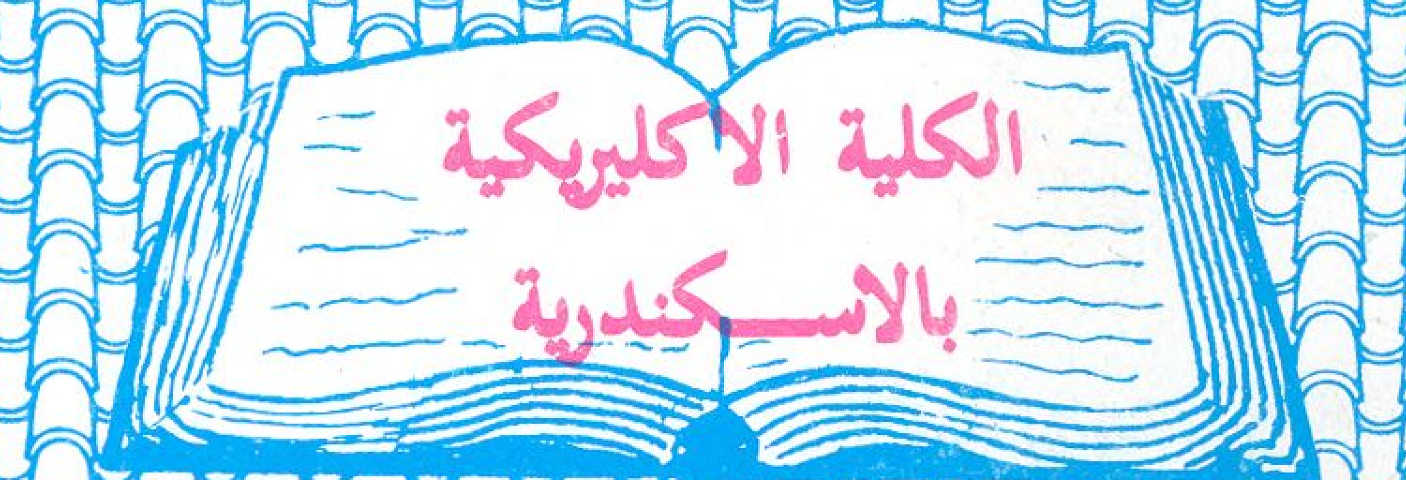


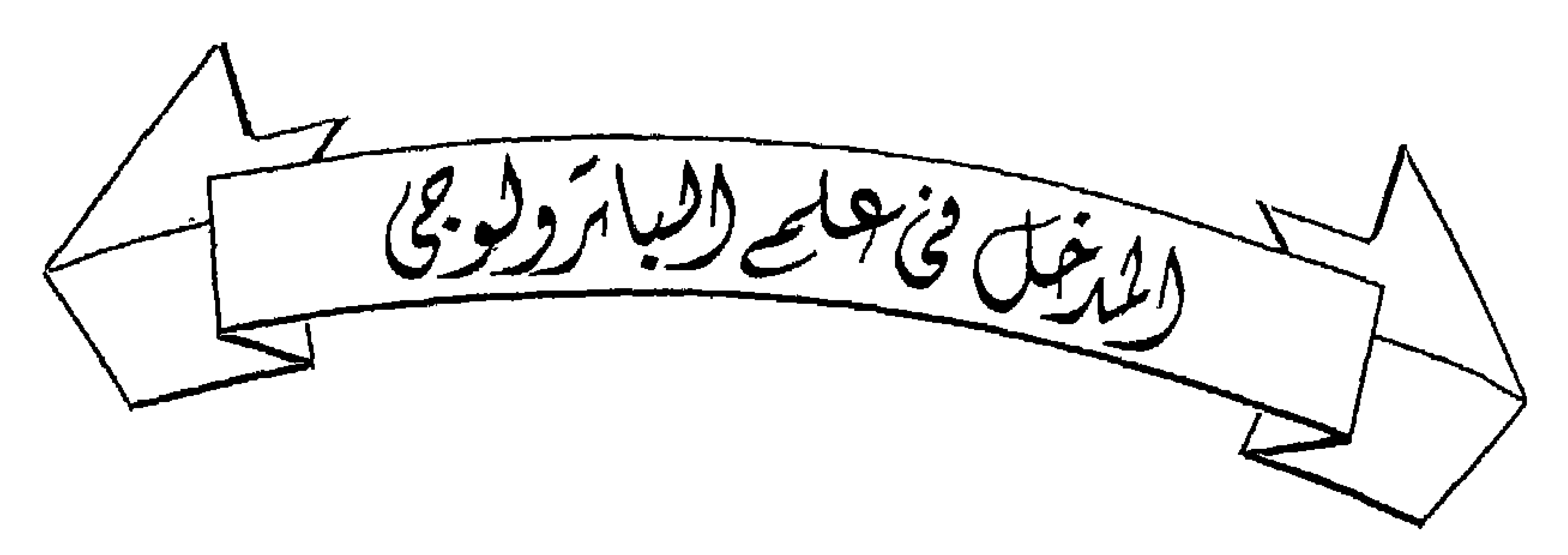
المدخل في علم الباترولوجي

١- بدء الأدب المسيحي الآبائي

الآباء الرسوليون

القمص تادرس يعقوب ملطي

الكلية الاكليريكية
بالاسكندرية



١- بدء الأدب المسيحي الآبائي

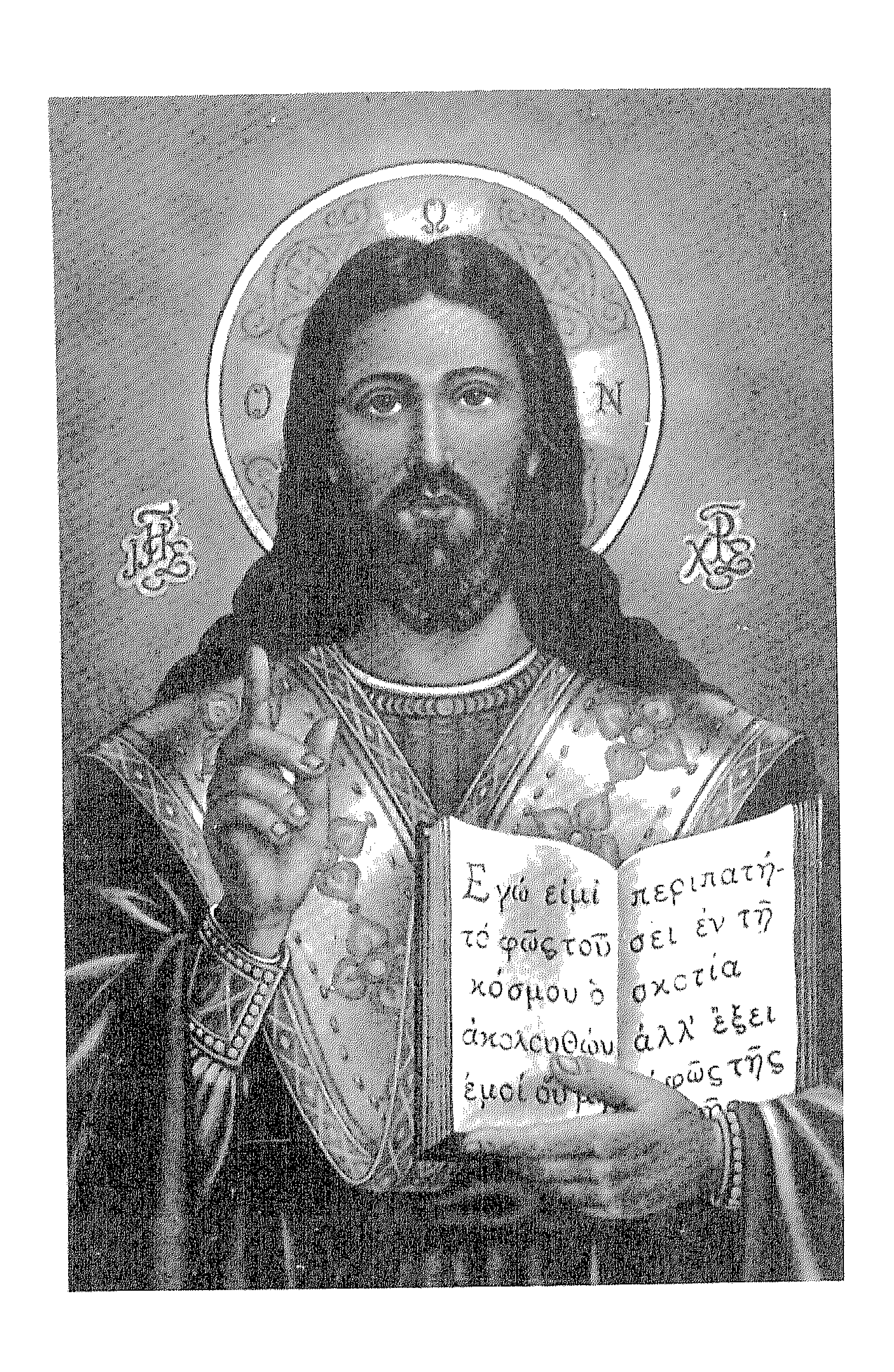
الآباء الرسوليون

جزء أول

القمص تادرس يعقوب ملطي

بسم الآب والابن والروح القدس
الله الواحد آمين

اسم الكتاب: المدخل فى علم الباترولوجى .
المؤلــــف : القمص تادرس يعقوب ملطى .
الطبعـــة : ١٩٩٥
الناشـــر : كنيسة مارمرقس الرسول والبابا بطرس خاتم الشهداء .
تجميــــع : مركز الدلتا للتجميع الآلى ، اسبورتنج ، اسكندرية .



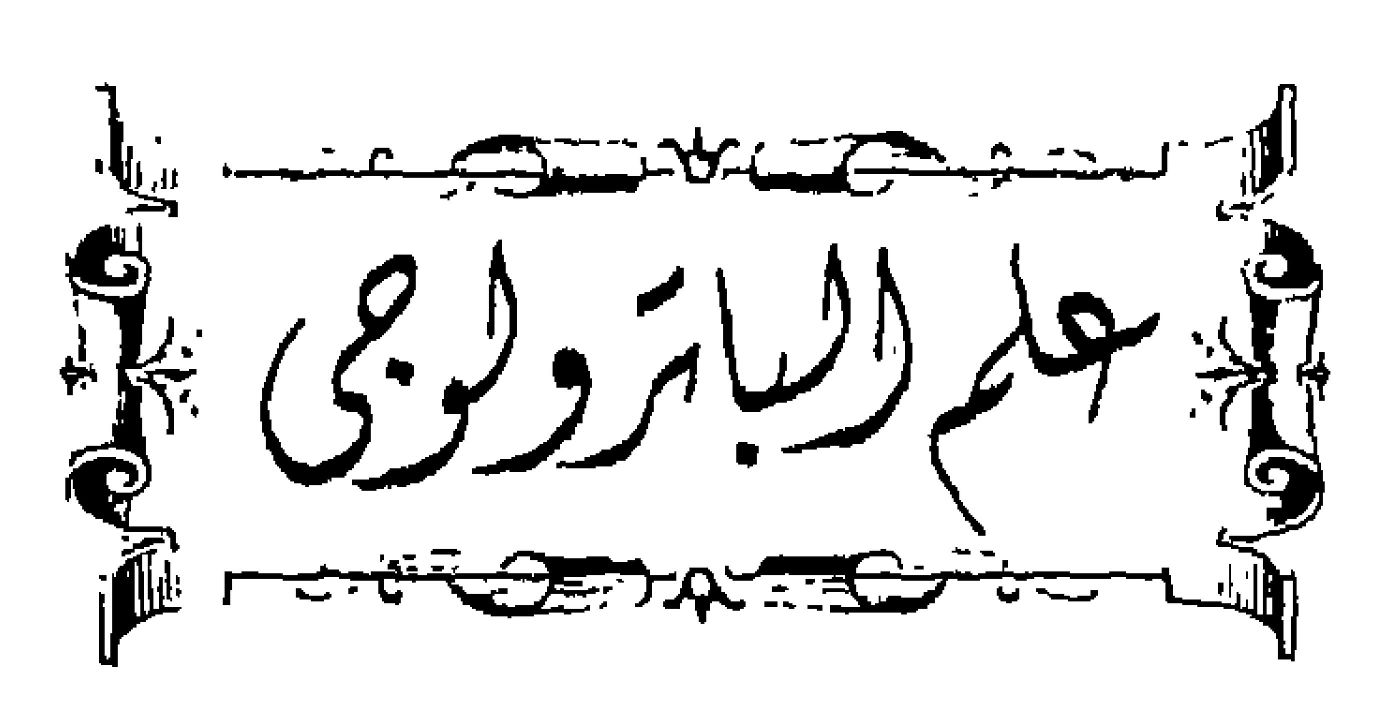
السيد المسيح مركز علم الباترولوجي



حضرة صاحب القداسة والغبطة

البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



تتزايد أهمية علم الباترولوجى فى الدراسات اللاهوتية المعاصرة ، لأن هذا العلم يبحث فى حياة آباء الكنيسة الأولى وأقوالهم وكتاباتهم وأفكارهم اللاهوتية والروحية والمسكونية الخ ... فإن كان المسيحيون اليوم يشتاقون نحو التعرف على إيمان الكنيسة الأولى الجامعة وادراك روحها وفكرها ، فإن هذا هو عمل علم الباترولوجى ، لأن قصة الآباء إنما هى قصة حياة الكنيسة الأولى من كل جوانبها : التعبدية والكرازية والرعوية والاجتماعية ، قصة الكنيسة الحية التى تحتضن بالحب الإلهى أولادها ، وتواجه العالم الوثنى لتدخل به إلى دائرة حب الله بالإيمان ، كما تواجه الهراطقة وأصحاب الانقسامات لا لتحطيمهم بل لتحطيم ما هو شر فيهم ، فتقتنيهم أبناء لها ، **بفكر إنجيلى عملى** .

منهجنا فى الدراسة

هذا العمل فى حقيقته هو مجموعة من المذكرات المختصرة عن المحاضرات التى ألقيت على طلبة الكلية الاكليريكية واللاهوتية بالقاهرة والاسكندرية منذ عام ١٩٧٤ ، فيها أعطيت اهتماماً للجانب العملى ، أى ارتباط علم الباترولوجى بحياة الكنيسة : إنجيلها ونسكياتها ولاهوتياتها وتقليدها وتاريخها الحىّ وعملها الكرازى ووحدتها ونموها المستمر . بمعنى آخر كانت المذكرات أشبه بعرض لحياة الكنيسة من خلال فكر الآباء . وإننى أرجو أن أضيف إلى هذه المذكرات عرضاً سريعاً لأهم آباء الكنيسة الأولى فى الشرق والغرب ، حتى يتذوق القارىء عذوبة تراث الكنيسة الحىّ ، لعله يشتاق إلى الرجوع إلى النصوص الأصيلة ما استطاع أو ترجماتها ، فيحيا بالفكر الكنسى الأصيل ، مختبراً الجو المسيحى الأول .

فى دراستنا لهذا العلم أجد نفسى أمام منهجين :

١ــ **المنهج العلمى** ، وهو وليد عوامل كثيرة دفعت الغرب إليه . وقد أفاض هذا المنهج على العالم المسيحى بنشر نصوص الكثير من الآباء فى شىء من الدقة العلمية مع ترجمات لها بلغات حديثة وتحقيقات علمية وتحليلات وتعليقات لها أهميتها فى عصر إتسم بالتفكير العلمى .

٢ــ **المنهج الروحى**، الذى اتسمت به الكنيسة فى الشرق، حيث يهتم بالدخول إلى أعماق النص، لا لمجرد دراسته أو نقده أو تحليله وإنما لقبوله كخبرة يعيشها المؤمنون، إمتداداً حياً لعمل الروح القدس فى حياة الكنيسة عبر الأجيال.

على أى الأحوال ، لا أود أن أضع حداً فاصلاً بين منهج غربى وآخر شرق . وإنما أقول إننا ككنيسة مسكونية واحدة لها مسيح واحد وغاية واحدة ، يلزمها أن تعيش بفكر رسولى آبائى واحد ، هذا الفكر ينتفع بالمنهجين معاً ؛ بكونهما عملاً واحداً متكاملاً . فالدراسات العلمية الغربية الخاصة بأقوال الآباء تقدم لنا المادة الأصيلة المحققة علمياً . والمنهج الروحى يحوِّل هذه المادة إلى حياة وخبرة تُعاش وتُمارس . فلا تقف الدراسات الآبائية عند حدود العرض والنقد والتحليل والترجمة لماضٍ جامد ، وإنما تتحول إلى خبرةٍ لقوة الروح العامل بغير توقف .

بمعنى آخر أن الكنيسة فى الشرق ــ خاصة فى مصر ــ إذ تحيا إلى يومنا هذا بالروح الإنجيلى الرسولى الآبائى الأصيل ، فإنها أقدر من غيرها على هضم الدراسات العلمية التى قدمها الغرب فى هذا الشأن ، وإخراجها بروح رسولى حق ينتفع بها العالم المسيحى كله .

إن ما يقدمه الغرب من أعمال مجيدة فى شأن الباترولوجى ليس بغريب عن كنيسة مصر . فإن علماء الباترولوجى أنفسهم يشهدون أن رمال مصر قد أغنت العالم المسيحى بالتراث الآبائى الذى حمله الغرب ولا يزال يحمله إلى متاحفه وجامعاته ، والذى يعكف على دراسته والبحث فيه بغير توقف . لكن بقى لنا أن نستعيدها من جديد لنعيد تقديمها لا بلغة العلم وحده بل وبلغة الروح أيضاً !

وإننا ــ فى هذا المجال ــ لا نقدر أن نتجاهل بعض مجهودات لاهوتى الغرب

فى محاولة عودة الكنيسة الغربية إلى روحها الآبائى الأول ، معتمدين فى ذلك على تراث الآباء الشرقيين والغربيين ؛ تراث الكنيسة المسكونية فى القرون الأولى .

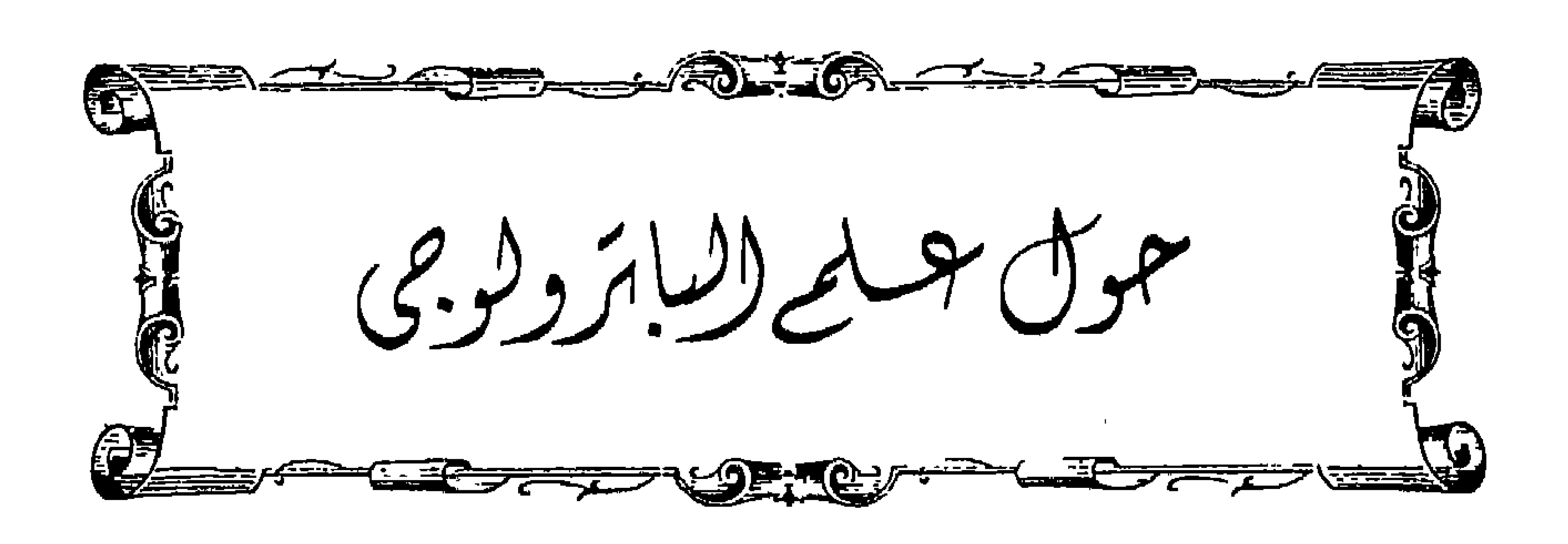
إنى أحسب نفسى سعيداً أن أدخل هذا الفردوس الآبائى ، راجياً عمل روح الله القدوس فى الكنيسة حتى يختبر كل منا فكر الكنيسة التقليدى الروحى الحىّ !

أرجو أن أقدم فى هذا الكتاب خريطة عامة مبسطة تكشف عن حقل الآباء الدسم ، لأجل بنيان كل نفس فى المسيح يسوع ، وتمتع الكنيسة بروح آبائها ، مردداً ما قاله هنرى باركلى سويت Swete فى مقدمة كتابه : « دراسات آبائية » إنه قد وضع كتابه ليسحب انتباه كهنة الكنيسة الشباب إلى حقل الحكمة الفسيح الذى ورثوه عن الكنيسة الأولى الجامعة[1] .

+ + +

1- Patristic Study, Longmans 1904.

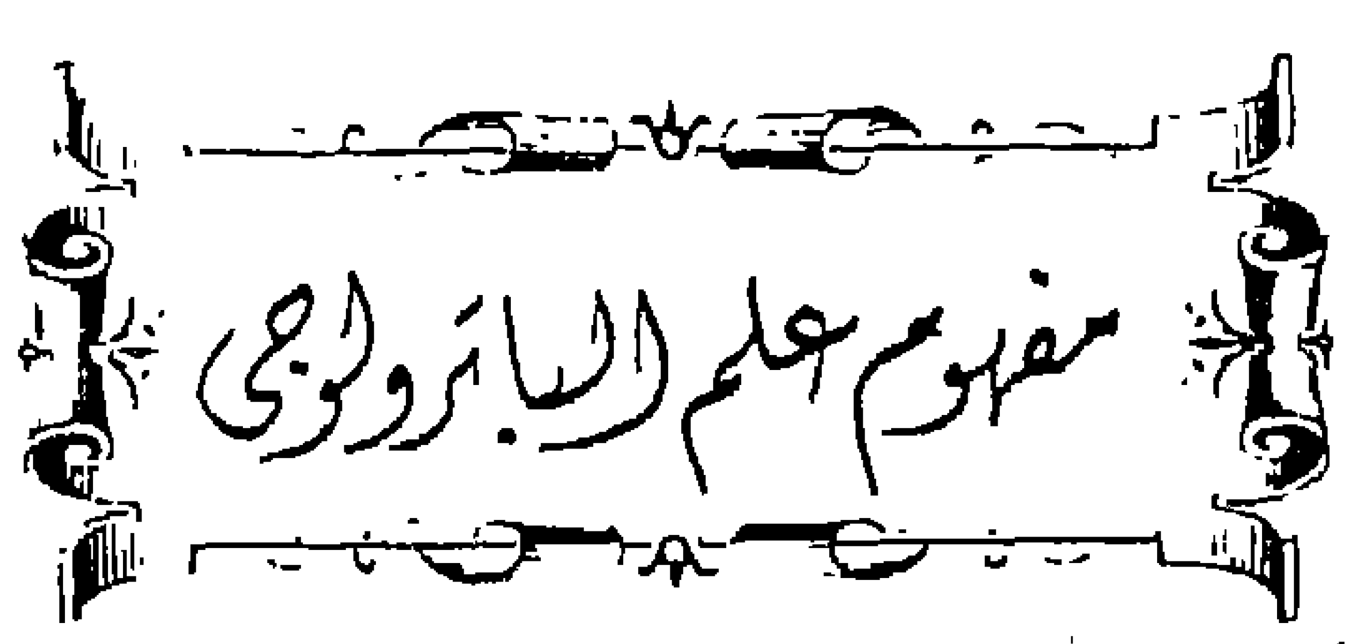
الكتاب الأول



١ــ مفهوم علم الباترولوجي .

٢ــ تاريخ علم الباترولوجي .

٣ــ لغة الآباء ونصوص كتاباتهم .



موضوع علم الباترولوجى

كلمة ''Patrologia'' مأخوذة عن الكلمة اللاتينية Pater ، أى « أب » . فعلم الباترولوجى هو العلم الذى يبحث فى حياة الآباء الأولين وأعمالهم (أقوالهم وكتاباتهم) وأفكارهم[١] .

١ــ دراسة سير الآباء أو حياتهم أمر حيوى ، يسندنا فى تفهّم شخصياتهم ومعرفة الظروف المحيطة بهم ، والتى من خلالها سجلوا لنا كتاباتهم[٢] .

٢ــ أما أعمالهم سواء كانت أقوالهم أو كتاباتهم أو رسائلهم فهى جزء لا يتجزأ من تاريخ حياتهم . دور علم الباترولوجى هو التأكد من أصالة هذه الأعمال بتحقيقها علمياً مع نشرها وترجمتها إلى اللغات الحديثة الحية .

٣ــ أما الجانب الرئيسى فى هذا العلم فهو الكشف عن فكر الآباء وعقائدهم وتعاليمهم ، لا ببتر بعض فقرات من أعمالهم لتأكيد فكرة معينة أو عقيدة ما ، بل بالحرى بالدخول إلى روح الآباء والتعرف على النقاط التى ركز عليها كل أب ، ودراسة آرائه على ضوء الصراعات المعاصرة له . يلزم دراسة تعاليم كل أب وشروحاته وتعليقاته على ضوء صوت الكنيسة الجامعة ، بكونه عضواً فى الجسد الواحد .

بمعنى آخر ، علم الباترولوجى ليس تعرفاً على الآباء وكتاباتهم فحسب وإنما هو تفهم عميق وحقيقى للحياة المسيحية والإيمان الجامع والتدبير الكنسى خلال آباء الشرق والغرب .

علم الباترولوجى ليس عرضاً مجرداً لتاريخ الأدب المسيحى الأول ، بل ادراك التعليم الكنسى والنسك المسيحى والعمل الكرازى والرعوى وتفَهم الوحدة المسيحية الخ ... كما عاشتها الكنيسة الأولى[٣] .

من هم آباء الكنيسة ؟

يلقب إبراهيم وإسحق ويعقوب بطاركة « آباء » إسرائيل[٤] ، وكان اللقب الرسمى للكتبة فى التقليد اليهودى هو « آباء » .

وفى كنيسة العهد الجديد نسمع فى استشهاد القديس بوليكربس جماعات اليهود والوثنيين يصرخون : « هذا هو أب المسيحيين »[٥] . وحين دافع القديس أثناسيوس عن استخدام تعبير (أمونسيوس) ذكر أن الآباء استخدموها ، قاصداً بتعبير « الآباء » القديسين ديونسيوس الاسكندرى وديونسيوس الرومانى وغيرهما[٦] .

ماذا نعنى بكلمة « الآباء » فى علم الباترولوجى ؟

كان التعليم فى الأصل عملاً أسقفياً ، أو قل عملاً أبوياً ، إذ لم يكن التعليم فى الكنيسة الأولى عرضاً لأفكار نظرية أو عقائد فكرية وفلسفات ، لكنه أولاً وقبل كل شىء هو تقديم خبرة حياة إيمانية يعيشها التلاميذ مع آبائهم ؛ بهذا يمتزج التعليم بالتلمذة ، أو بالأبوة الروحية ، لهذا كان التعليم قاصراً على الأساقفة والكهنة ، والشمامسة الذين يُسمح لهم بذلك . لم يكن هذا بقصد احتكار التعليم ووقفه على جماعة معينة وإنما كان التعليم الإنجيلى الكنسى عملاً أبوياً ، فيه يبذل الكاهن لا عصارة فكره وإنما كل حياته من أجل الدخول بكل انسان من فساد العالم إلى مجد أولاد الله . هذا ما عناه الرسول بولس بقوله : « أنا ولدتكم فى المسيح يسوع بالإنجيل » ١ كو ٤ : ١٥ .

+ عندما يتعلم إنسان من فم آخر يُقال عنه إنه ابن ذاك الذى يعلمه ، ويُحسب الأخير أباه[٧] .

القديس إيريناؤس

+ الكلام ابن النفس ، لهذا ندعو الذين يعلموننا آباء لنا ... ويُحسب الذى يتعلم فى خضوع الابن[٨] .

القديس اكليمندس الاسكندرى

فى علم الآباء لا يُحصر تعبير « آباء » على الأساقفة والكهنة والشمامسة الذين لهم تراث أدبى روحى أو لاهوتى ، وإنما يضَم المدافعين عن الإيمان المسيحى فى القرون الأولى ، كما يضم الرهبان الذين هربوا من الكهنوت لكنهم تلمذوا كثيرين بفكر نسكى إنجيلى .

يُشترط فى الأب الآتى :

١ـــ أن يكون له مقالات أو كتب أو رسائل أو أقوال سجلها له أبناؤه الروحيون أو بعض الرحالة خلال مناظرتهم معه .

٢ـــ أن يكون أرثوذكسى ـــ مستقيم ـــ المعتقد ، يعيش بروح الكنيسة فى غير انحراف إيمانى . لهذا غالباً ما كانت كتابات الآباء تفتتح بالعبارة : « مقال أو رسالة لأبينا القديس ... » تأكيداً لأرثوذكسية واضع المقال(٩) ؛ وكأن الأرثوذكسية والأبوة مع الحياة القدسية قد امتزج الكل معاً . هذا والكنيسة الأولى لا تؤمن بعصمة الآباء بصفتهم الشخصية ، ولا تقبل آراءهم الذاتية ، إنما تعرفهم خلال عضويتهم معاً فى جسد المسيح الواحد ، يحملون روح الكنيسة الجامعة .

هذا وتستفيد الكنيسة بتراث بعض الشخصيات التى عُرفت بخصوبة انتاجها مع ارتباطهم بالكنيسة ، وإن كانوا قد سقطوا فى بعض الانحرافات مثل العلامة ترتليان وتاتيان وأوريجانوس الخ ...

يعطى علم الباترولوجى اهتماماً بكتابات الهراطقة أيضاً والكتب الأبوكريفا (المزورة) لنتفهم جو الكنيسة الأولى ، ونتعرف كيف شهدت الكنيسة للحق بالرغم من مقاومة الهراطقة .

٣ـــ قداسة الحياة : فنحن ندرس هذا العلم من أجل التمتع بالحياة الكنسية الإنجيلية الأصيلة ، نتقبل فكر الكنيسة الأولى خلال قديسيها الذين قدموا حياتهم مع كتاباتهم سجلاً حياً للشهادة للحق العملى .

٤ـــ يضع بعض علماء الباترولوجى شرط « الزمن » ، بمعنى أن يكون الأب منتمياً إلى الكنيسة حتى زمن معين ، حددها البعض بالقرن السادس وآخرون

بالقرن الثامن ، ويرى آخرون أن عصر الآباء ممتد مادام روح الرب يرافق الكنيسة ويعمل فيها ، لهذا لا ينقطع عنها آباء قديسون معلمون[١٠] .

٥ـ يضع الكاثوليك شرط القبول الكنسي للأب ، لكننا بروح الكنيسة الأرثوذكسية لا تقوم الكنيسة بتقنين « اللاهوت الآبائى » فى كل كلمة ، ولا تقدم فهرساً الزامياً عن الآباء وتراثهم ، إنما تكتفى فى مجامعها بفرز الكتابات والآراء المنحرفة إيمانياً وتحذر منها كما تحرم الهراطقة من شركتها حتى يرجعوا عن ضلالهم ؛ هذا والكنيسة تحدد الآباء الذين يذكرون فى « المجمع » سواء فى القداس الإلهى أو التسبحة لتطلب صلواتهم عنا .

سلطان الآباء

ما هو مدى التزامنا بما ورد فى تراث الآباء ؟

يمثل الآباء القديسون فكر الكنيسة الجامعة الذى تسلمته من الرسل بفعل الروح القدس الذى يعمل بلا انقطاع فى حياة الكنيسة . يتحدث عنهم القديس أغسطينوس ، قائلاً : [تمسكوا بما وجدوه فى الكنيسة ، عملوا بما تعلموه ، وما تسلموه من الآباء أو دعوه فى أيدى الابناء[١١]] ، « من يحتقر الآباء القديسين إنما يتعرف أنه يحتقر الكنيسة كلها[١٢]] .

يقوم هذا السلطان على عاملين : عامل طبيعى إذ اتسم الآباء بالحياة القدسية والأمانة فى استلام وديعة الإيمان الحىّ من أيدى الرسل لذلك هم أقدر على الشهادة للحياة الكنسية من كل جوانبها ، خاصة وأنهم يحملون الفكر الواحد بالرغم من اختلاف الثقافات والمواهب والظروف مع بعد المسافات بين الكراسى الرسولية وصعوبة الاتصالات فى ذلك الحين . والعامل الثانى إلهى حيث عاش الآباء منحصرين بالروح القدس قائد الكنيسة ومرشدها إلى كل الحق ، يحفظها داخل دائرة صليب المسيح .

هذا لا يعنى عصمة الآباء كأفراد وإنما تعيش الكنيسة الجامعة ككل محفوظة بروح الرب .

كيف نستخدم كتابات الآباء ؟

١ــ لا يقدر أحد من الآباء بمفرده أن يتعرف على « الحق » كله كما تعرفه الكنيسة فى كليتها ، لهذا يليق بنا ألا نقبل رأى أب ما بطريقة مطلقة بغير تحفظ ، إنما يجب أن يكون رأيه إنجيلياً يحمل روح الكتاب المقدس ومطابقاً لفكر الكنيسة الجامعة .

٢ــ يلزمنا ألا نبتر بعض فقرات من تراث الآباء لتأكيد فكرة مسبقة فى أذهاننا ... هذا يتطلب دراسة شاملة جامعه للفكر الآبائى ولفكر كل أب مع مراعاة ظروف الكتابة حتى ندرك ما يعنيه الأب من كل عبارة .

٣ــ دراسة معانى بعض التعبيرات التى يستخدمها الأب ، إذ توجد عبارات أو كلمات كانت تحمل مفاهيم فلسفية أو شعبية فى ذلك الحين . توجد كلما يستخدمها الأب بمعنى يناسب أفكار بعض الوثنيين أو الهراطقة فى ذلك الوقت ، خاصة حين يكتب إلى فئة معينة للرد عليها أو لتوضيح الحق بلغتهم ومفاهيمهم الخاصة . هذا يستلزم منا دراسة الفلسفات القديمة المعاصرة للآباء والهرطقات وأفكار الشعوب وأيضا دراسة الحياة الكنسية ونموها الخ ...

٤ــ يمكننا فَهم بعض العبارات الصعبة الواردة فى كتابات أحد الآباء بمقارنتها بما ورد فى كتابات وأعمال الآباء المعاصرين له .

يجب التعرف على تاريخ وضع العمل وادراك المرحلة التى كان فيها واضع هذا العمل ، فما ينطق به أب فى مرحلة ما يعنى غير ما ينطق به فى مرحلة أخرى من حياته لاختلاف الظروف التى يعيش فيها الأب من مرحلة إلى أخرى .

الإلتجاء إلى تراث الآباء

احتل تراث الآباء مركزاً مرموقاً فى حياة الكنيسة وإيمانها ، اعتمد عليه القديس أثناسيوس فى دفاعه[١٣] ، كما اعتمد القديس باسيليوس على كثير من التقاليد الكنسية خلال أقوال الآباء السابقين له .

تزايد هذا الاتجاه ، أى الالتجاء إلى أقوال الآباء السابقين ، فى القرن الرابع ، ونما جداً فى القرن الخامس[١٤] . فالقديس كيرلس الاسكندرى كمثال ، فى كتاباته إلى الرهبان المصريين[١٥] دفاعاً عن لقب القديسة مريم ثيؤتوكوس ــ لتأكيد أن المولود هو كلمة الله المتأنس دون انفصال للاهوت عن الناسوت ــ أشار إليه أن يقتفوا آثار القديسين . إذ حفظوا الإيمان المسلم إليهم من الرسل ، وعلموا المسيحيين باستقامة . مرة أخرى يؤكد أن التعليم الصحيح الخاص بالثالوث القدوس قد وضح [بحكمة الآباء القديسين[١٦]] . وفى حديثه ضد نسطور[١٧] إلتجأ إلى تعليم الكنيسة المقدسة الممتدة فى كل العالم وإلى الآباء المكرمين أنفسهم ، معلناً أن الروح القدس تحدث فيهم . ولتدعيم حديثه عن السيد المسيح استند إلى بعض مقتطفات آبائية فى كتاباتهم الجدلية[١٨] ، قدمها إلى مجمع أفسس[١٩] .

اهتمام الأقباط بكتابات الآباء

كان الأقباط منذ نشأة الكنيسة فى مصر على صلة وثيقة بالفكر الآبائى للكنيسة الجامعة ، فقد قاموا بترجمته إلى لغة الشعب حتى فى صعيد مصر ، والدليل على ذلك وجود مخطوطات قبطية قديمة لكتابات الآباء الرسولين ، بكر الكتابات الآبائية ، نذكر على سبيل المثال :

١ــ بردية محفوظة فى المكتبة الوطنية ببرلين تحوى ترجمة قبطية بلهجة إخميمية لرسالة اكليمنضس الرومانى إلى كورنثوس ، ترجع إلى القرن الرابع ، مأخوذة عن دير القديس أنبا شنودة بسوهاج « الدير الأبيض » .

٢ــ بردية من القرن السابع بستراسبورج تحوى مقتطفات من ترجمة لذات الرسالة السابقة .

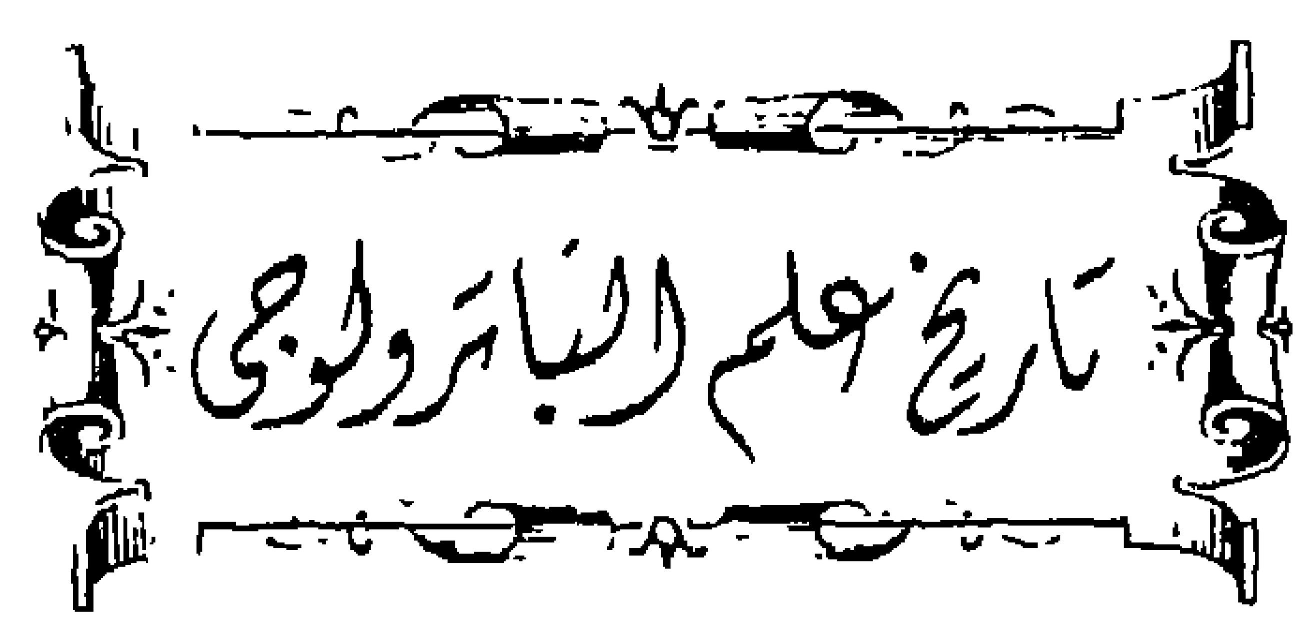
٣ــ ترجمة قبطية لرسائل القديس اغناطيوس الأنطاكى؛ أشار إليها العالم Joseph Light foot فى كتابه: «الآباء الرسوليون»، وقام بنشرها العالم جون

بابتست بترا J.B. Petra . توجد نسخ منها فى المكتبة الأهلية بفيينا وبالمتحف البريطانى .

٤ـ مخطوطات لترجمة كتاب الراعى لهرماس بالقبطية الصعيدية ، قام بنشرها العالم ديلابورت Delaporte ، ومخطوطات لترجمة نفس الكتاب اشتراها العالم Lefort من القاهرة مكتوبة على رق الغزال .

هذه المخطوطات مع المخطوطات الأخرى القبطية التى تحمل ترجمة لنصوص الآباء تكتظ بها متاحف العالم ومكتباته العامة تؤكد مدى اهتمام الأقباط بالفكر الآباء منذ عصر مبكر جداً .

1 - See F. Cayé : Patrologie et Histoire de la Theologie, Paris 1945, t.1 , p.
2 - Patrick J. Halell: Introduction to Patrology, 1968, p. 10.
3 - cf. B. Schmid: Manuel of Patrology, 1903, p. 19, 20.
٤ـ أنظر تك ١ : ٢٤ (الترجمة السبعينية) ؛ خر ٣ : ١٣ ، ١٥ ؛ تث ١ : ٨ ؛ أع ٣ : ١٣ ؛ ٧ : ٢ ، ١٢ ؛ رو ٤ : ١٢ ، ١٦ ؛ ٢ بط ٣ : ٤ .
5 - Marty. Polyc. 12: 3.
6 - Athanasius: Ep. ad Afros 6.
7 - Against Haer 4: 41: 2.
8 - Stromata 1: 1: 2.
9 - H.B. Swete: Patristic Study, London 1904, p. 6.
10- Timothy Ware: The Orthodox Church, Maryland 1969, p. 212.
11- St. Augustine: contra Julian. II. 9.
12- Ibid 37.
13- Athanasius: Ep. ad Afros 6.
14- Kelly: Early Christian Doctrines, p. 48-49.
15- Ad Monach PG 77: 12, 13.
16- In Joan. evang. 4: 11, PG 74: 216.
17- Adv. Nest. 4: 2.
18- De recta Fide ad regin; apol. contr. Orient PG 76: 1212 F; 316.
19- E. Schwartz: Acta conciliorum oecumenicorum 1: 1, 7: 89 F.



اللاهوتى اللوثرى John Gerhard من رجال القرن السابع عشر هو أول من إستخدم كلمة Patrologia كعنوان لعمله الذى نشره عام ١٦٥٣ ، إلا أن فكرة نشر أقوال الآباء تمتد إلى القرون الأولى عينها ، ويمكننا ــ إن جاز لنا ذلك ــ أن نقسم تاريخ علم الباترولوجى إلى عدة مراحل ، وإن كانت هذه المراحل ليست محددة تماماً .

١ــ بدء ظهور المسيحية :

كانت أقوال الآباء فى هذه الفترة تمثل نصيباً من التقليد الكنسى ، يتقبله كل جيل ويودعه لدى جيل آخر . وهكذا انتشرت أقوال الآباء لا لغرض دراسى ولا كهدف فى ذاتها ، وإنما كوديعة تحمل داخلها إيمان الكنيسة الحى .

بمعنى آخر ، لم تكن أقوال الآباء وسيرهم ورسائلهم وفكرهم يمثل تراثاً ثميناً يودع فى بطون الكتب أو يُحفظ فى خزائن المتاحف والجامعات ليكون مادة لدراسات فلسفية نظرية ، إنما كانت إنجيلا عملياً حياً تخطه الأجيال بالروح القدس ، شهادة لديمومة عمل الله الخلاصى المستمر فى كل جيل .

هكذا إعتز الآباء بتراث السابقين لهم لا بكونه أدباً روحياً لأجيال ماضية ، وإنما بكونه ممثلاً لحاضر حيًّ وحياة واقعية صادقة عاملة فى الكنيسة .

لكن كيف حفظ هذا العصر أقوال الآباء وقام بنشرها ؟

(أ) أقوال الآباء وكتاباتهم بكونها جزءاً لا يتجزأ من وديعة الإيمان التى تسلمها لكى يسلمها بغير إنحراف . ونستطيع أن ندرك حرص آباء الكنيسة الأولى على ذلك من قول **القديس غريغوريوس أسقف نيصص** : [يليق بنا أن نحفظ التقليد الذى تسلمناه بالتتابع من الآباء ثابتاً بغير تغير] ، وقول **القديس كيرلس الاسكندرى** : [إننى محب للتعليم الصحيح ، مقتفياً آثار آبائى الروحية[1]] .

أما كيف حُفظ التقليد ــ الذى يحمل فى طياته أقوال الآباء ــ فإن ذلك لم يتحقق تسجيله بحبر وقلم ، وإنما أودع فى الكنيسة خلال روح التلمذة ، حيث يتتلمذ كل جيل على آباء من الجيل السابق ، لا ليودعوهم أموراً قديمة جامدة ، وإنما يسقونهم روح الإيمان الحيّ العملى . وظهرت هذه التلمذة بصورتها القوية فى الحياة الرهبانية ــ سواء فى الأديرة أو المغائر المتباعدة ــ حيث يعيش التلميذ (أو التلاميذ) مع أبيه ، يأكل معه ، ويشرب ويتعبد ويسهر ويجاهد ويعمل ليقتبس روحه الإيمانى العملى ، كما ينصت إليه ويكشف له أفكاره الداخلية ، مسترشداً بنصائحه . وبين الحين والآخر كثيراً ما يقوم التلميذ بتسجيل ما يراه أو يسمعه من أبيه كمذكرات يسترشد بها فى حياته المقبلة ... وجاء الكثير من هذه المذكرات تحمل إلينا تراث الكنيسة الأولى .

وفى دفعات كثيرة كان التلميذ عند نياحة أبيه يقوم بفسخ سيرة أبيه وكل ما سمعه منه أو عنه لينتفع به هو واخوته .

(ب) وفى الكنائس كان البعض يشغف بتسجيل عظات آبائهم اليومية أو الأسبوعية أو النصف أسبوعية ، وجاءت هذه العظات كتفاسير وشروح للكتب المقدسة أو لعلاج مواضيع روحية أو عقائدية الخ .. مثل عظات القديس يوحنا ذهبى الفم ، وعظات القديس أغسطينوس .

(جـ) إمتدت التلمذة ــ خاصة فى مصر ــ فاحتضنت الكثير من رجال الشرق والغرب . فقد وفد إلى مصر كثير من القادة يتتلمذون على أيدى متوحدى مصر أو داخل الأديرة أو بمدرسة الاسكندرية ، ويدونون أقوال الآباء وسيرهم وأفكارهم ويثبتونها بلغاتهم من يونانية وسريانية ولاتينية .

نذكر على سبيل المثال **القديس يوحنا كاسيان** (حوالى ٣٦٠ــ٤٣٥ م) الذى تتلمذ على آباء مصر العظام وسجل خبراتهم فى كتابين مشهورين : المناظرات Confrences مع آباء البرية ، وقد جعله بندكت كتاب القراءة اليومية للرهبان الخاضعين له ، والمؤسسات أو الدساتير Institutes حيث عالج قوانين الرهبنة وناقش كيفية نصرة الراهب فى الحرب الروحية ...

كما جاء المؤرخ الرهبانى المشهور « **بالاديوس** » (حوالى ٣٦٥ـــ٤٢٥ م) إلى مصر يتعرف على حياة نساكها والتقى بالقديس ديديموس الضرير مدير مدرسة الاسكندرية اللاهوتية أكثر من مرة ، وسجل لنا الكثير من التراث الرهبانى فى كتابه « التاريخ اللوزياكى » أو « فردوس الآباء » .

وسجل لنا **روفينوس** Rufinus (حوالى ٣٤٥ـــ٤١٠ م) فى كتابه « تاريخ الرهبنة (فى مصر) هستوريا موناخوم » أحاديث عن آباء مصر الرهبان ، وقد زار مصر عام ٣٧٢ م والتقى بالقديسة ميلانيا الكبيرة وزار رهبان البرية . درس لعدة سنوات فى مصر ، متتلمذاً على يدّى القديس ديديموس الضرير .

هذا وقد جذبت مدرسة الاسكندرية الكثير من قادة الكنيسة فى العالم فجاءوا إليها أو نقلوا إليهم تراثها يتتلمذون عليه . فالقديسان باسيليوس الكبير وغريغوريوس النزينزى إعتبروا أوريجين المصرى معلماً لهما ، حتى جمعا مقتطفات من كتابه « المبادىء Principiis » فى مؤلف لهما أسماه « فيلوكاليا » أى حب الصلاح .

وبلغ شغف أوسابيوس أسقف فرسيل (بايطاليا) بكتابات اوريجين أنه لم يرى فلسفة حقيقية فى غيرها .

(د) حفظ تراث الآباء عن طريق حركات الترجمة المستمرة خاصة من اليونانية إلى اللاتينية أو السريانية أو الأثيوبية ، نذكر على سبيل المثال ما حدث بالنسبة للتراث القبطى :

كتاب « حياة انطونيوس » بقلم أثناسيوس الرسولى ،.

« أقوال الآباء المصريين » التى نسخها بعض زوار مصر وحملوها إلى الخارج وتُرجمت إلى اللاتينية والأسبانية ...

قام روفينوس Rufinus بترجمة كتاب المبادىء للعلامة أوريجين ، وبعض كتبه فى التفسير ، وكتاب « المعارف » لاكليمندس الاسكندرى ...

نُقل الكثير من تراثنا إلى النوبة وترجم بعضه ، حتى كان أهل النوبة يكتبون القبطية بجانب لغتهم النوبية بحروف قبطية .

نقل الكثير من تراثنا إلى الأثيوبية ـــ بعد قبول أثيوبيا المسيحية ـــ حتى إذ فُقد البعض من تراثنا وجدناه بالأثيوبية .

(هـ) خرج الكثير من الرهبان ومديرو مدرسة الاسكندرية إلى العالم بروح الكرازة أو تأسيس أديرة فى الخارج حاملين معهم بعضاً من تراثنا .

٢ـــ ظهور مؤرخين كنسيين : يعتبر يوسابيوس القيصرى (حوالى ٢٦٠ ـــ حوالى ٣٤٠ م) أباً لعلم الباترولوجى ومؤسساً لفكر نشر أقوال الآباء وكتاباتهم[٢] ، حيث أشار فى كتابه « التاريخ الكنسى Ecclesiastical History » الذى نُشر عام ٣٢٦ م : [هذا هو هدفى أن أكتب تقريراً عن خلافات الرسل القديسين ... وأن أشير إلى أولئك الذين ـــ فى كل جيل ـــ نادوا بالكلمة الإلهية سواء كان شفاهاً أو كتابة[٣]] . وبالفعل قدم يوسابيوس قائمة بكل الكتّاب وكتاباتهم حسب قدرته ، كما سجل لنا مقتطفات لأغلبهم ، وبهذا أعتبر كتابه أهم مرجع لعلم الباترولوجى ، خاصة وأن بعض الكتابات التى إقتطف منها فُقدت تماماً . وبالرغم من كثرة أخطائه لكنه لا يزال يعتبر المصدر الوحيد لبعض الكتّاب المسيحيين الأوائل .

لقد خلق هذا الكتاب « المؤرخين الكنسيين » فى الشرق والغرب ، إذ حاول كثيرون تكملة هذا العمل . نذكر منهم سقراط Socrates وسوزومين Sozomen وثيؤدرت Theodert الذين جاءت أعمالهم متقاربة إلى حد ما ، لكنهم تجاهلوا الكنيسة الغربية اللهم إلا فيما يخص علاقتها بالكنيسة الشرقية . وفى الغرب قام روفينوس Rufinus بترجمة تاريخ يوسابيوس إلى اللاتينية وأضاف إليه بعض الأحداث حتى عصر ثيؤدوسيوس الكبير سنة ٣٩٢ ، غير أن إضافاته ليست بذات قدر يذكر .

٣ـــ ظهور كتاب « مشاهير الآباء » De viris illustribus : إن كان

يوسابيوس بكتابه وجه الأنظار إلى تاريخ الكتابات الكنسية ، حيث قدم عملا ذات قيمة فى هذا الشأن ، فإن الكتاب التالى له فى تاريخ كتابات الآباء هو « مشاهير الرجال Illustrious Men الذى جمعه القديس جيروم (حوالى ٣٤٢ــ ٤٢٠ م) فى السنة الرابعة عشر من حكم ثيؤدوسيوس ، أى عام ٣٩٢ أو ٣٩٣ م ، كطلب صديقه Dexter ، حيث أراد بعمله هذا أن يجيب على صيلسس Celsus وبروفرى Prophyry ويوليان Juluan وغيرهم من الوثنيين فى إتهاماتهم المستمرة بأن المسيحيين قليلو الذكاء ، فسجل جيروم الكتَّاب الذين يعتز بهم الأدب المسيحى (حتى عام ٣٧٩ م) فى ١٣٥ فصلا ، حيث بدأ بالعصر الرسولى وانتهى بنفسه فى السنة التى وضع فيها هذا العمل . مقدماً فى كل فصل عرضاً لسيرة الكاتب وتقييماً لأعماله .

ربما أراد القديس جيروم أن يخدم الأدب المسيحى مظهراً غنى التراث الأدبى المسيحى ، مقتدياً بسيتونيوس Suetonius الذى نشر مجموعة دعاها « مشاهير الآباء » ، فى حوالى عام ١٠٠ م ، لخدمة الأدب اللاتينى الكلاسيكى ، تضم فى إختصار حياة « مشاهير الكتاب اللاتين »(٤) .

ويلاحظ فى هذا الكتاب :

(أ) إعتمد جيروم فى الثمانية وسبعين فصلا الأولى على تاريخ يوسابيوس اعتماداً كبيراً بالرغم من ذكره أنه لم يعتمد على كتابات سابقة له . وقد ردد نفس أخطائه ، ومع هذا يعتبر عمله مصدراً أساسياً فى المؤلفات الكنسية الأولى ، إذ هو المصدر الوحيد الذى بين أيدينا ــ إلى الآن ــ عن بعض الكتاب القدامى مثل مارقيوس فيلكس Marcuis Felix ونوفاتيان وترتليان وغيرهم .

(ب) فى مقدمته حدد جيروم مجال عمله وهو « أولئك الذين كتبوا عن الكتَّاب المقدس » ، لكنه إذ بدأ عمله شمل الكتَّاب فى الأمور اللاهوتية .

(جـ) ما أن نشره حتى عبر القديس أغسطينوس(٥) عن أسفه أن جيروم لم يفصل بين الكتَّاب الأرثوذكس والهراطقة. فقد حمل بين المؤلفين أسماء هراطقة مثل

تاتيان Tatian وبريسكيليان Priscillian و Basdesanes والأريوسى المتطرف أونوميوس وفلاسفة وثنيين مثل سينيكا Seneca ويهوداً مثل فيلو الإسكندرى ويوسيفوس.

(د) يرى E.C. Richardson أن جيروم لم يقم بهذا العمل لأغراض علمية بل لتحقيق أغراض عملية ، لهذا قدم تعريفاً مختصراً عن بعض الكُتّاب غير المعروفين ، وفى نفس الوقت جاءت كتاباته مقتضبة جداً وتافهة بالنسبة لبعض الكُتّاب المشهورين مثل القديسين أثناسيوس الرسولى وباسيليوس القيصرى وكبريانوس وغريغوريوس أسقف نيصص وأبيفانيوس وأمبروسيوس .

(هـ) تجاهل جيروم كتابات أغسطينوس التى ظهرت فى ذلك الوقت ، ولعل سرّ هذا إختلافهما فى بعض وجهات النظر .

على أى الأحوال بقى كتاب جيروم خلال أكثر من ألف عام موضع إعتبار مؤرخى المؤلفات المسيحية الأولى فى الغرب ، ناظرين إليه كأساس لكل دراستهم ، مشتاقين إلى تكميل هذا العمل ، فقد قام Prosper Aquitanus صديق أغسطينوس بتكملة عمل جيروم حتى عام ٤٤٩ م . إلا أن عمل جيروم بقى مقترناً بالتكملة التى قام بها جيناديوس Gennaduis ، وهو كاهن مرسيليا (تنيح عام ٤٩٦ م) الذى إتبع نفس الروح فى كتابته ، ويلاحظ عليه :

(أ) عمل جيناديوس كما يقول Richardson ضئيل وغير منظم ؛ فعمله ككل يعتبر أقل أهمية من عمل جيروم ، لكننا لا نقدر أن ننكر أن له إضافات غاية فى الأهمية ، حتى يمكننا أن نحسبه جزءاً ثانياً لعمل جيروم .

(ب) شمل عمله ٩٩ فصلاً حيث إستمر إلى عام ٤٩٥ م ، خاتماً كتابه بفصل آخر عن كتاباته هو .

(جـ) كان جيناديوس نصف بيلاجى ، وقد ظهر ذلك فى انطباعاته على وصفه وتعليقاته بصورة أو أخرى ، ومع ذلك فإنه يُعتبر رجلا واسع الإطلاع .

قام بعد جيناديوس كثيرون يقدمون أعمالاً تحمل ذات المنهج، نذكر منهم ايسيذورس Isidore of Serville (تنيح عام ٦٣٦م) الذى أعطى إهتماماً خاصاً بالكّتاب الأسبان[٦]، والأسقف Ildephonsus of Toledo (تنيح عام ٦٦٧م).

وفى أواخر القرن الحادى عشر وأوائل الثانى عشر قام مؤرخ سّير الآباء البندكتى Sigebert of Gembloux ببلجيكا بمحاولة جديدة لتقديم المؤلفات المسيحية بصورة معاصرة لزمانه ، فعالج فى كتابه De viris illustribus الكّتاب المسيحيين القدامى الذين جاءوا بعد جيروم وجيناديوس مباشرة ، ونسق سّير الآباء ، ووضع ملاحظات على مؤلفات اللاهوتيين اللاتين فى بدء العصور الوسطى ، دون أن يشير إلى الآباء الشرقيين .

وفى عام ١١٢٢ قام هونوريوس Honorius Augustodunum بعمل مشابه تحت اسم « الكنيسة المنيرة De Luminaribus Ecclesaie » .

وحوالى عام ١١٣٥ م طبع المدعو أنونيموس كتابه :

De Scriptoribus Ecclesiasticis

وحوالى عام ١٤٩٤ أمدنا الأب ترثيموس John Trithemius بسير ٩٦٣ من الآباء والكتاب مع تفصيل لكتاباتهم ، منهم من هم غير لاهوتيين . وقد تقبل معلوماته عن الآباء الأولين من جيروم وجيناديوس .

كان تريثموس أباً لدير بندكتى فى Sponheim ، حصل على شهرة فائقة إذ جمع مكتبة من حوالى ٢٠٠٠ مجلداً ، وكان بعض النبلاء يزورونه لقراءة الآباء اليونان واللاتين[٧] . وقد احتضن الشماس Myräus هذا العمل وهذّبه . ثم جاء بعد ذلك الكاردينال R. Bellarmine الذى أعطى اهتماماً خاصاً بالأدب الكنسى القديم بطريقة عملية .

هذا عن الغرب ، أما بالنسبة للشرق فقد قام البطريرك فوتيس Photius الذى تنيح عام ٨٩١ م (بطريرك القسطنطينية بعمل مماثل تحت عنوان Photii Bibliotheca ، يمتاز بالدقة كما يحوى أعمال بعض المؤلفين الوثنيين .

أما فى الكنيسة القبطية فبرز ظهور كتاب « السنكسار » الذى يركز بالأكثر على سير القديسين ، هذا مع قيام بعض المؤرخين مثل يوحنا النقيوسى وغيره ، كما إهتم الأقباط بنسخ كتابات الآباء الأولين ...

وفى القرن الخامس عشر قام فى القسطنطينية نسيفورس كالستى بن كالستوس يلخص الأعمال السابقة لأسلافه ويضع تاريخاً للكنيسة منذ نشأتها حتى عام ٩١١ . إستخدم كتابات يوسابيوس وأضاف سيَّر بعض الرهبان ، وقد عبر عبوراً سريعاً فى حديثه عن الكنيسة اللاتينية بعد القرن الخامس الميلادى .

على أى الأحوال سنتعرض ــ بمشيئة الله ــ فى كل جيل من الأجيال لأهم الكتابات التى ظهرت فيه بأكثر تفصيل .

٤ــ مرحلة علمية جديدة : إنطلقت مرحلة جديدة فى علم الباترولوجى فى القرنين السادس عشر والسابع عشر بظهور أول تجميعات للمؤلفات الكنسية القديمة ونشرها فى طبعات ممتازة .

وجاء القرن التاسع عشر بفيض من الاكتشافات الجديدة فى نصوص الآباء الشرقيين ، وبدأ ظهور إحساس بضرورة وجود طبعات مدروسة ومضبوطة علمياً . وقد افتتحت أكاديميات فينا وبرلين هذا العمل بطبع مجموعات محكمة للآباء الشرقيين والغربيين . كما قام الدارسون الفرنسيون بنشر طبعات لأعظم مجموعتين للمؤلفات المسيحية الكنسية الشرقية ، وأنشأت كثير من جامعات الغرب كراسى خاصة بعلم الباترولوجى .

وكان من ثمر هذا كله أنه بدأ يظهر فى كنيسة الغرب ، فى القرن العشرين إتجاهاً لدراسة فكر الآباء ومفاهيمهم وإصطلاحاتهم وعقائدهم ...

فى هذه المرحلة العلمية ، صار على الكنيسة التزام بتنقية كتابات الآباء ، حيث نُسبت بعض الأعمال إلى آباء عظام لكى يضمن واضعوها قبولا وسرعة انتشارها . كما نسب بعض النساخ أعمالاً إلى بعض الآباء مع أن هؤلاء الآباء لم يقوموا إلا بوضع جزء منه .

هذه التنقية تحتاج إلى التأكد من أى عمل مشكوك فيه إن كان أصيلاً أم لا ، بدراسته خلال الاقتباسات التى وردت عن الأب خلال كتابات غيره من الآباء المعاصرين له أو اللاحقين له ، ودراسة أسلوب الكتابة وطريقتها . والتأكد من انسجام العمل مع غيره من كتابات نفس الأب خاصة من جهة أفكاره اللاهوتية والروحية والاجتماعية . كما يحتاج الأمر إلى المقارنة بين المخطوطات المتباينة للعمل الواحد بلغات متعددة لتنقية ما أضافه أو حذفه المترجمون والنساخ الخ ...

نصيبنا فى علم الباترولوجى

عندما يتحدث الغربيون عن تاريخ علم الباترولوجى وما توصلوا إليه فى ابحاثهم ودراساتهم ونشرهم للنصوص الآبائية ، يتطلعون إلى كنيسة مصر وكرسى الاسكندرية كينبوع حىٍّ يفيض على العالم المسيحى بالكثير من التراث الآبائى ، نصوصاً وروحاً .

ففى أواخر العصور الوسطى وبداية العصر الحديث حمل علماء الغرب كنوز أديرتنا إلى متاحفهم وجامعاتهم ، وصارت مادة أساسية فى قيام علم الباترولوجى .

وإلى اليوم لا تزال مخطوطات مصر وأوراق البردى المصرية تفتح أفاقاً جديدة فى علم الباترولوجى ، وكما قال Quasten الأستاذ بجامعة أمريكا الكاثوليكية بواشنطون **اننا نشكر رمال مصر التى قدمت لنا الكثير من أوراق البردى تحمل إلينا مقالات كنا مجرد نسمع عنها فى كتابات القديس إيريناؤس وغيره** . وقد ختم حديثه عن تاريخ علم الباترولوجى بقوله(٨) . « علاوة على هذا فإن أوراق البردى المصرية المكتشفة حديثاً قد أعادت للدارسين أعمال آبائية مفقودة » .

وما قاله Quasten ذكره بصورة أخرى الأب Jungmann فى كتابه The Early Liturgy عن بركات رمال مصر فى الكشف عن الليتورجيات والكتابات الآبائية القديمة .

بقى لنا أن ندرك أن كنيسة الاسكندرية ــ حسب شهادة الغرب ذاته ــ لا

تزال تحيا بالروح الآبائية الأصيلة ، تستطيع أن تنتفع بالأبحاث العلمية التى قام بها الغرب فى هذا المجال ، بكونها دعوة لاسترجاع الكنيسة فى المسكونة كلها إلى فكرها الأول .

ظهور « علم الباترولوجى » وانتشار كتابات الآباء إن هو فى الحقيقة إلا نوعاً من « الحركة الأرثوذكسية » فى بيئة غير أرثوذكسية ، تحتاج منا إلى الاهتمام بها والانتفاع منها بطريقة روحية كرازية .

أقول مع الأب شميمان عميد معهد فلاديمير للروس الأرثوذكس سابقاً أن ما كدسته الحركات الغربية من مادة وخبرة فى هذا المجال (الأبحاث الآبائية عن الأسرار) ليس بالغريب عنا ، إنما له قيمته ، إذ هو سند للاهوت الأرثوذكسى فى إعلان أرثوذكسية الكنيسة فى الغرب ... ولكن هذا لا يعنى قبولنا ـــ بغير وعى ـــ كل ما أثمره هذا الحقل فى الغرب(٩) .

١ـــ المؤلف : مفاهيم إيمانية (٢) : الكنيسة والتقليد ، ص ٩ .

2- J. Quasten: Patrology, vol 1;
The Oxford Dictionary of the Christian Church, 1974, p. 481.

3- Eccl. Hist. 1: 1: 1.

4- J. N. D. Kelly: Jerome, 1975, p. 175.

5- Ep. 40: 9, written in 397.

6- F. Arvalo: S. Isidore..., Rome 1797 to 1803, vol. 5, p. 138-178. PL 83: 1018-1106; 96: 195-206.

٧ـــ يذكر Quasten وجود طبعة تشمل أغلب المؤلفين ومؤلفاتهم الكنسية من جيروم إلى تريثموس (بالطبع تتجاهل الكتاب الشرقيين خاصة غير الخلقدونيين) :

J.A. Fabriciius: Biblotheca ecclesiastics, Hamburg, 1718.

كما ذكر وجود عملين آخرين لمؤلفين كنسيين هما :

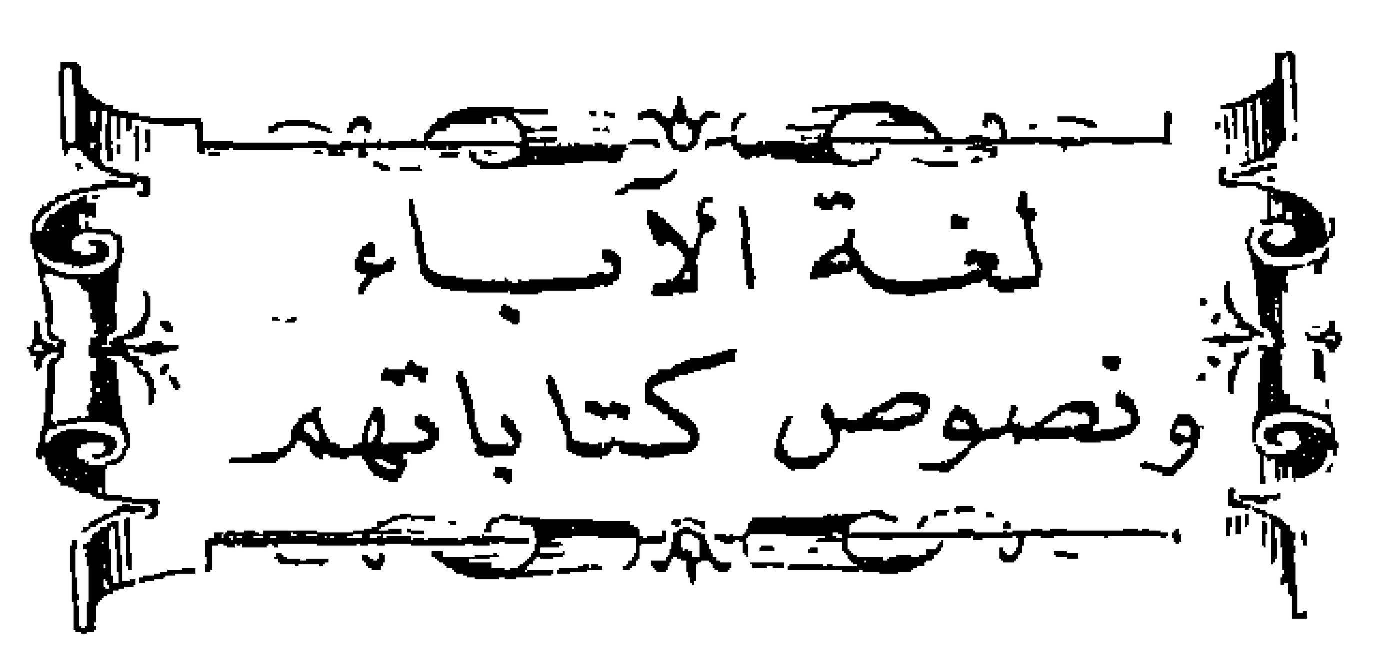
L.S. Nain de Tillemont: Memoires pour servir à l'histoire ecclesiastique des six premiers siècles, Paris 1693-1713.

R. Ceillier: Histoire genérale des auteurs sacre's et ecclesiastiques, Paris.

وهو يقع فى ٢٣ مجلداً ، يعالج الكتاب المسيحيين قبل عام ١٢٥ م .

8- Quasten: Patrology, vol 1, p. 5.

٩ـ راجع للمؤلف : المسيح فى سر الأفخارستيا Christ in the Eucharist ، طبعة ١٩٧٣ ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ .



عند انتشار المسيحية كانت اللغة اليونانية هى اللغة السائدة في بلاد البحر الأبيض المتوسط ، خلال القرون الأولى للإمبراطورية الرومانية . فقد غزت الثقافة الهيلينية العالم الرومانى ، حتى يصعب علينا أن نجد بلداً فى الغرب لم يستخدم اليونانية فى التعامل اليومى . لهذا ننظر إلى اليونانية كلغة أساسية فى كتابات الآباء .

لم يستخدم الآباء اليونانية الفصحى (classical) التى كان الإغريق يستخدمونها فى الكتابة والشعر وتدوين الحوادث التاريخية ، وإنما يستخدمون لغة دارجة (كوينى Koine) والتى أصبحت من سنة ٣٠٠ ق.م. حتى سنة ٥٠٠ م اللغة الرسمية للامبراطورية الرومانية ، ولغة الكتاب المقدس ، ولغة آباء الكنيسة الأولى[١] . وهى خليط بين الأدب الأثينى الفصيح والعامية .

لكن اليونانية أبطلت فى الشرق وحلت القبطية والسريانية والأرمنية ، كما أبطلت فى الغرب وحل محلها اللاتينية .

لغة آباء مصر

كان بعض المصريين يفضلون الكتابة باليونانية بجانب المصرية (الديموطيقية) لأسباب كثيرة نذكر منها[٢] :

١ــ سهولة اليونانية عن الديموطيقية .

٢ــ كانت اليونانية هى لغة الدولة الرسمية ، هذا استلزم تدوين الوثائق بها ، سواء كان كاتبها يعرف اليونانية فيكتبها بنفسه أو يجهلها فيستخدم كاتبها لهذا الغرض .

٣ــ من الطبيعى كان الأهالى يقتبسون الكثير من لغة الحكام ، حتى فى تعاملهم اليومى .

٤ــ كانت اليونانية هى لغة المتعلمين فى البلاد الكبرى .

٥ــ كانت اليونانية هى لغة الكنيسة والمجامع المسكونية .

إلا أنه نبتت فكرة تدوين اللغة المصرية بحروف يونانية مع الاستعانة ببعض الحروف الديموطيقية فخرجت اللغة القبطية كآخر تطورات اللغة المصرية (الفرعونية) ، وفى القرن الثانى قام العلامة بنتينوس بترجمة الكتاب المقدس إلى القبطية بمساعدة تلاميذه وعلى رأسهم القديس أكليمنضس الإسكندرى . وتُرجمت جميع المؤلفات المصرية إلى القبطية قبل القرن الخامس الميلادى .

ويلاحظ أن الأقباط لحرصهم على حفظ المعنى اللاهوتى لبعض المصطلحات إستبقوها باليونانية حتى عند كتابتهم بالقبطية . ويقول Warrell أن القبطى يستنكف ترجمة المصطلحات اللاهوتية(٣) .

فعلى سبيل المثال عندما يذكرون « الروح القدس » لم يستخدم الأقباط كلمة (نيفى = روح) القبطية بل (بنفما = روح) اليونانية .

وإذا جاءت اللغة العربية بدأت تحل محل اللغة القبطية فقضت عليها ، ثم عادت القبطية فى الازدهار فى القرن الثامن ... وأخذت الكتابة القبطية منذ القرن الثانى عشر تظهر فى نهرين بالقبطية والعربية(٤) . وفى القرن السادس عشر إنطفأ نور استعمالها كلغة للتكلم فى الوجه البحرى ، وبقيت حتى القرن السابع عشر لغة التكلم فى الوجه القبلى .

نستطيع القول أنه فى القرن الثالث عشر صارت اللغة العربية هى اللغة السائدة فى المؤلفات اللاهوتية والكنسية للقبط .

ويجدر بنا أن نذكر فى هذا المجال أن الآباء الرهبان القبط عرفوا بالتقوى وانكار

الذات فمالوا إلى الحياة أكثر من تدوينها ، وجاء الكثير من أقوالهم الرهبانية عن طريق الوافدين إليهم من الشرق والغرب بلغات متعددة كاليونانية واللاتينية والسريانية .

+ + +

نصوص كتابات الآباء

فى القرن السادس عشر بدأ نشر كتابات الآباء إما كأعمال فردية للمؤلف أو كمجموعة كاملة ؛ هذا العمل ازدهر جداً فى القرنين السابع عشر والثامن عشر .

نشر Marguerin de la Bigne (مات عام ١٥٨٩ م) مجموعة أعمال لأكثر من ٢٠٠ كاتب فى عمله Bibliotheca Sanctorum Patrum . أضيف إليها أعمال اخرى بالتدريج وقد صارت عام ١٦١٦ اربعة عشر مجلداً باسم : Magna Bibliotheca Veterum Patrum ؛ اعيد طبعها فى ليون عام ١٦٧٧ فى ٢٧ مجلداً باسم : Bibliotheca V.P. et antiq. scriptorum ecclesiasticorum.

قام A. Galland (مات عام ١٧٧٩ م) بنشر مجموعته فى ١٤ مجلداً بفينيس عام ١٧٦٥ــ١٧٨١ ، ١٧٨٨ باسم : Bibliotheca Veterum Patrum.

وتعتبر أعظم مجموعة كاملة ــ إلى حد ما ــ تلك التى قام بها الأب منى Abbé Migne فى القرن التاسع عشر باسم Patrologiae Cursus Completus وهى عبارة عن إعادة طبع للنصوص السابق نشرها لتكون فى متناول يد اللاهوتيين ... وتعتبر هذه المجموعة فى حقيقتها مجموعتان :

١ ــ مجموعة الآباء اللاتين (P.L.) طبعة باريس ١٨٤٤ــ١٨٥٥ وتتكون من ٢٢١ مجلداً تشمل ٤ مجلدات فهارس .

٢ ــ مجموعة الآباء الإغريق (P.G.) أى الكتابات اليونانية ، طبعة ١٨٥٧ــ١٨٦٦ م وتتكون من ١٦١ مجلداً ، ورد بها ترجمة كاملة باللغة اللاتينية ، وهى بغير فهارس .

وقد تُرجم الكثير من هاتين المجموعتين إلى اللغات الحديثة من ألمانية وفرنسية وإنجليزية .

توجد مجموعات تُعتبر ملحقاً لمجموعتى منى Migne أو مراجعة لها :

٤ — Die Griechischen Christlichen Schrifsteller der ersten drei Jahrhunderte,

(كتَّاب القرون الثلاثة الأولى اليونان المسيحيين) قام بنشرها أكاديمية برلين عام ١٨٩٧ مع مقدمات وفهارس بالألمانية، وقد بلغ عددها ٤١ مجلداً.

٥ — Corpus Scriptorum ecclesiasticorum Latinorum

قام بنشرها أكاديمية فيينا منذ عام ١٨٦٦ م ، وقد نشرت ٧٠ مجلداً .

٦ — Bibliotheca Teubneriana, Leibzig

تشمل الكثير من الكتابات .

٧ — The Loeb Classical Library.

قام بنشرها Page و Capps و Rouse بلندن — نيويورك ، وهى تشمل الكثير من المؤلفين المسيحيين اليونان واللاتين .

٨ — Corpus scriptorum Christianorum Orietalium.

قام بنشرها Chabot Forget و Guidi و Hyvernat و Carra نشرت بفرنسا منذ عام ١٩٠٣ وهى تشمل ٤ مجموعات : سريانية وقبطية وعربية وأثيوبية ، بلغ عدد مجلداتها ٢٢٨ مجلداً .

٩ — Patrologia Orientals

قام بنشرها Nau, Graffin بباريس منذ ١٩٠٧ م فى ٢٨ مجلداً .

١٠— Patrolgia syriaca

قام بنشرها Graffin ، بباريس ١٨٩٤—١٩٢٦ م فى ٣ مجلدات .

١١— Sources Chrétiennes

يقوم بنشرها Lubac و Daniélou بباريس منذ ١٩٤١ .

Stromata patristica et mediavalia, ‏ ١٢ـ
يقوم بنشرها Mohrmann و Quasten منذ عام ١٩٥٠ ...

أهم الترجمات :

الإنجليزيـة :

Library of the Fathers:

قام بتحريرها Newman, Keble, Pusey ، بأكسفورد ١٨٣٨ـ١٨٨٨ م فى ٤٥ مجلداً .

The Ante-Nicene Christian Library:

تشمل ترجمة لأقوال الآباء قبل عام ٣٢٥ م قام بتحريرها Donaldson, Roberts بأدنبرج ١٨٦٦ م ، ١٨٩٧ م فى ٢٤ مجلداً ومجلد اضافى قام بوضعه Menzies بأدنبرج عام ١٩٨٧ م .

The Ante-Nicene Fathers:

وهى إعادة طبع للمجموعة السابقة قام بمراجعتها ووضع مقدمات وتعليقات مع عرض لسِّير الآباء A. Clevland Coxe ، وقد جاءت فى ٨ مجلدات . والمجلد الاضافى الذى لـ Menzies (مجلد ٩) يشمل مختصر للببليوغرافى (بيان بمؤلفات الكاتب ومطبوعاته) وفهرست عام للمجلدات السابقة ، ومجلد آخر (١٠) يشمل بعض إضافات للكتابات الخاصة بآباء ما قبل نيقية المكتشفة حديثاً ، كما تشمل بعض كتابات للعلامة أوريجين مثل رسالته للقديس غريغوريوس ، وتفسيره لإنجيل يوحنا وإنجيل متى .

وتعتبر هذه المجموعة والمجموعة التالية أكثر المجموعات إنتشاراً خاصة فى مصر .

A Select Library of Nicene and Post-Nicene Fathers of the Christian Church,

قام بوضعها Schaff و Wace بنيويورك ١٨٨٦ـ١٩٠٠ فى ٢٨ مجلداً . وهى فى حقيقتها مجموعتان :

١ــ المجموعة الأولى تشمل ٨ مجلدات للقديس أغسطينوس ، ٦ مجلدات للقديس يوحنا ذهبى الفم .

٢ــ المجموعة الثانية (١٤ مجلداً) اهتمت بالأكثر بالكتب التاريخية المسيحية الأولى مثل كتابات يوسابيوس وسقراط وثيودورث وجيروم ، كما قدمت مجموعة لكتابات آباء شرقيين وغربيين .

Fathers of the Church

قام بوضعها F.W. Wright بلندن عام ١٩٢٨ م ، وهى مختارات من كتابات الآباء اللاتين .

Translations of Christian Literature

قام بوضعها Sparrow-Simpson و Lowther Clarke .

وقد قام بنشر هذا التجميع (S.P.C.K.) بلندن منذ عام ١٩١٧ م ، وهى تشمل مجموعات :

(أ) نصوص يونانية .
(ب) نصوص لاتينية .
(جـ) نصوص ليتورجية .
(د) نصوص شرقية .

قام بتحريرها Quasten و Plumpe ، وستمنستر منذ ١٩٤٦ م .

The Fathers of the Church:

يقوم بنشرها الجامعة الكاثوليكية الأمريكية بواشنطن منذ ١٩٤٧ م ، بواسطة Schopp .

وهى من المجموعات المنتشرة أيضاً فى مصر ، صدر منها حتى عام ١٩٦٩ م ، ٦٣ مجلداً وينتظر أن تبلغ عدد مجلداتها فوق الـ ١٠٠ مجلداً .

الفرنسية :

Les Pères de l'Eglise

بواسطة Genoude ــ فرنسا ١٨٣٥ــ١٨٤٩ م فى ١٠ مجلدات .

Bibliothèque choisie des pères de l'Eglise

بواسطة Guillon ، باريس ١٨٢٨ م ، فى ٣٦ مجلداً ، أعيد طبعها فى براسيل ١٨٢٨ــ١٨٣٤ م فى ٢٧ مجلداً .

Chefs-d'Oeuvre des Pères de l'Eglise,

باريس سنة ١٨٣٧ م فى ١٥ مجلداً .

Textes et documents pour l'etude historique du Christianisme:

بواسطة Hemmer و Lejay . باريس ١٩٠٤ــ١٩١٢ م ، فى ٢٠ مجلداً تشمل نصوصاً وترجمات .

Bibliothèque patristique de spiritualitée

منذ عام ١٩٣٢ م .

Moralistes Chrétiens

تشمل نصوص وتعليقات ، باريس ١٩٢٤ــ١٩٣٢ م فى ١٢ مجلداً .

Source Chretiennes:

تشمل نصوص وترجمات ...

Les Grands écrivains chrétiens

ليون ــ باريس منذ عام ١٩٤٢ .

لغات أخرى

توجد مجموعات أيضاً لترجمة كتابات الآباء بالألمانية والأيطالية والأسبانية والهولندية والبولندية والنرويجية ...

وفى لبنان بدأت تظهر اكثر من مجموعة لترجمة عربية ناشئة . أما فى مصر فأغلب الترجمات ليست لأهداف علمية اكاديمية ، وإنما وضعت بهدف عملى روحى ... لذلك كثيراً ما نختصر الترجمة وتبوَّب وتوضع لها عناوين ومقدمات روحية بقصد الدخول فى الفكر الآبائى ، مثل مجموعة « الآباء الأولون » التى تقوم كنيسة مارجرجس باسبورتنج بنشرها .

إننا نود فى القريب العاجل أن يقوم بعض المتخصصين بالترجمة العلمية الدقيقة لنصوص الآباء ونشرها جنبا إلى جنب مع الترجمات العملية الشعبية . ويقوم مركز الدراسات الآبائية بالقاهرة بمجهود طيب فى هذا المجال حالياً .

المؤتمرات الآبائية

تعقد مؤتمرات دولية للدراسات الآبائية فى اكسفورد كل أربع سنوات ابتداء من عام ١٩٥١ ، حيث يجتمع دارسون فى الآباء من كل الطوائف من انحاء العالم المختلفة لتبادل الخبرات والدراسات .

المخطوطات القبطية

منذ القرن السابع عشر بدأت دراسات فى اللغة القبطية فى أوربا ، فتبين للعلماء عظمة التراث القبطى وما تحويه المخطوطات القبطية من كنوز ، مما حث البعثات الاجنبية على زيّارة مصر لنقل هذه المخطوطات من الأديرة والكنائس إلى المتاحف والمكتبات العامة الأجنبية ، ففقدنا ثروتنا الأدبية .

يذكر لنا الشماس يوسف حبيب(٥) وغيره امثلة لما كانت عليه مكتبات أديرتنا وكنائسنا وما وصلت إليه على أيدى هذه البعثات :

١ـــ قال اجيديوس لوكينسيس لبيرسك أحد هواة الكتب بباريس بعد عودته من زيارته لمصر عام ١٦٢٣ بانه وجد كتبا نادرة فى كثير من الأديرة ، خاصة فى أحد الاديرة حيث تضم مكتبتها ثمانية آلاف مخطوطا ترجع إلى العصر الأنطونى ـــ يقصد دير السريان .

٢ــ شجع هذا الوصف الكثير على ارتياد الأديرة لاقتناص المخطوطات ففى السنة التالية جاء اجائنج دى فان دوم ليقتنى نسخة من الانجيل بست لغات .

٣ــ زار روبرت هنتحتون الاديرة عام ١٦٨٢ــ١٦٨٣ م ، ورأى بعض الكتب الهامة فى دير ابى مقار وحصل على نسخة من الاناجيل وبعض الكتب الهامة .

٤ــ فى القرن الثامن أوفد الفاتيكان ــعام ١٧٠٧ مــ الياس السمعانى أمين مكتبة حيث عاد يحمل مجموعة من المخطوطات السريانية. ثم جاء بعد ابن عمه يوسف السمعانى ليحصل على بعض المخطوطات السريانية والقبطية من دير أنبا مقار.

٥ــ حمل J.S. Assemani عام ١٧١٥ مجموعة ضخمة من المخطوطات من مكتبة دير أنبا مقار ، وهى عبارة عن إحدى عشر مجموعة كبيرة بالإضافة إلى أجزاء أخرى كثيرة ، موجودة حالياً بمكتبة الفاتيكان .

٦ــ استطاع أندريوس عام ١٧٩٩ م أن يأخذ بعض المخطوطات المسطرة على ورق كتان من أحد الأديرة .

٧ــ توافد سيل من الرحالة فى القرن التاسع عشر على الاديرة يستخدمون كل حيلة لاقتناء المخطوطات ، من بينهم :

* دروفتى عام ١٨١٨ م حصل على نسخة من المزامير وغيرها .
* روبرت كرزون عام ١٨٣٧ م يفتخر انه حصل على بعض الكتب النفيسة .
* هنرى عام ١٨٣٩ م يحصل على نصيب وافر من المخطوطات (حاليا بمكتبة رايلندز منشستر) .
* فى عام ١٨٤٤ م مرّ Constantine Tishendorf على جميع الاديرة ليجمع مما تبقى (حاليا بمكتبتى جامعة ليبزج وكمبردج) .
* رفض رهبان دير أبى مقار السماح لحلانفل سستر أن يزور القصر الذى به الكتب ذلك لأنه قبل زيارته بقليل حضر أحد الفرنسيين يدعى فورتن أم الذى

تسلل فى إحدى الليالى إلى المخطوطات وحملها إلى الأسوار حيث ألقى بها إلى البدو المرافقين له ليتسلمها منهم عند خروجه .

★ خُرب ديرا أنبا أنطونيوس وأنبا بولا فى القرن الخامس عشر وبقيا مهجورين حوالى ٨٠ عاماً حيث ضاع الكثير من المخطوطات ، ومع ذلك حمل يوسف السمعانى بعض المخطوطات من دير أنبا أنطونيوس إلى الفاتيكان ...

٨ـــ وجدت مجموعات من الكتب فى القرن الماضى بالدير الأبيض القريب من سوهاج ، استولى المتحف البريطانى على جزء منه بينما نالت المكتبة الأهلية بباريس النصيب الأكبر منها .

٩ـــ اشترى الثرى الأمريكى بيرينت مرجان ٥٦ مخطوطة من المجموعة التى اكتشفت عام ١٩١٠ فى دير الحامولى بالفيوم .

لم يبق لمصر بعد هذا كله إلا بعض المخطوطات التى لازال بعضها فى الأديرة والكنائس . والذى نقل البعض الآخر الى الدار البطريركية والمتحف القبطى .

قام بعض العلماء فى القرن الماضى وأوائل القرن الحالى بنشر القليل من المخطوطات التى نقلت الى الخارج فى المجلات العلمية والأثرية وفى الكتب وترجمة بعضها ، مثل بدج Budge واميلينو Ameleniu وزويجا Zoega وكرم Crum .

١ـــ يس عبد المسيح : اللهجات القبطية وآثارها الأدبية ـــ عن كتاب : صفحة من تاريخ القبط ، ص ٣٦ .

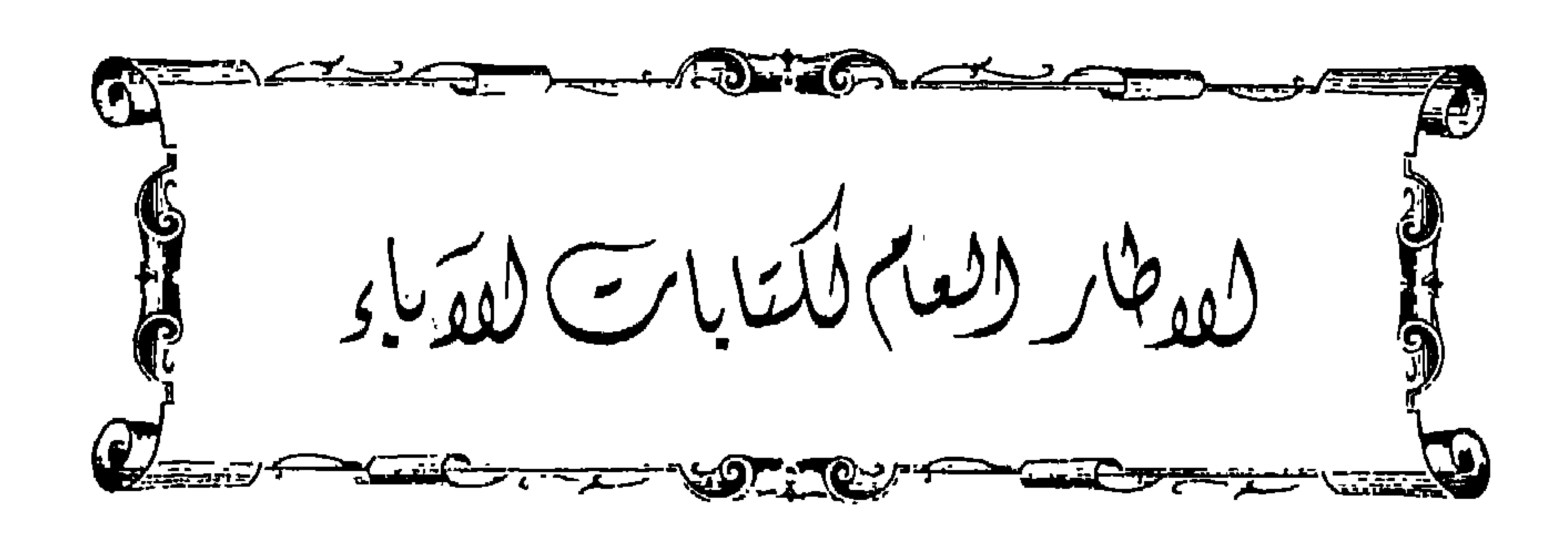
٢ـــ كانت الكتابة باليونانية أما الوعظ فبالقبطية أو الديموطيقية ، وذلك لأن كثير من العامة فى القرى لا يعرفون اليونانية . فالقديس أنبا أنطونيوس نفسه يجهل اليونانية ، وكان يتحدث مع زائريه بالقبطية .

3- Warrell: A Short Account of the Copts, Michgan, 1955.

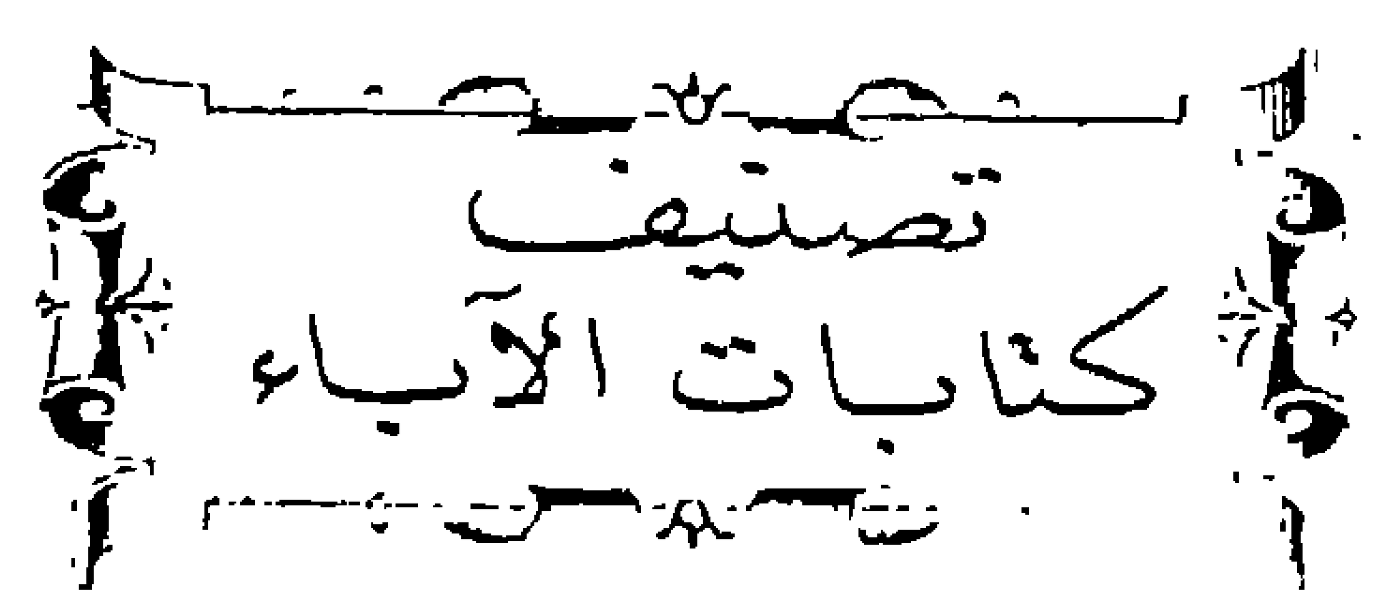
٤ـــ جمعية مارمينا بالاسكندرية : صفحة من تاريخ القبط :
الدكتور مراد كامل : القبط فى ركب الحضارة العالمية ؛ يس عبد المسيح : اللهجات القبطية وآثارها الأدبية .

٥ـــ يوسف حبيب : تاريخ كنسى ، ١٩٧٤ ، مذكرات الكلية الاكليريكية بالاسكندرية ، ص ١٣ـــ١٦ .

الكتاب الثانى



- تصنيف كتابات الآباء .
- الخط العام للتراث الآبائى



يمكن تصنيف كتابات الآباء ، خاصة فى القرون الخمسة الأولى ، على **أساس زمنى** ، فيرى البعض أن أول مجمع مسكونى (٣٢٥ م) مع تحول الامبراطورية الرومانية إلى المسيحية يُعتبر خطاً فاصلاً بين نوعين من الآباء من جهة كتاباتهم وتراثهم :

١ـــ آباء ما قبل نيقية ، يتسم تراثهم بالبساطة الشديدة .
٢ـــ آباء ما بعد نيقية .

كما يمكن تقسيم كتابات الآباء على **أساس اللغة** التى كتبوا بها :

١ـــ آباء يونان (شرقيون) حيث كتب غالبية الآباء الشرقيين باللغة اليونانية بجانب كتابات البعض بلغاتهم القومية كالقبطية والسريانية والأرمنية .

٢ـــ آباء لاتين (غربيون) .

ويقسم البعض الكتابات حسب **المناطق** :

١ـــ كتابات آباء مصر ، خاصة مدرسة الاسكندرية وآباء البرية .
٢ـــ الآباء الأنطاكيون .
٣ـــ الآباء الكبادوك .
٤ـــ الآباء اللاتين .

كل مجموعة تحمل فكراً خاصاً واهتمامات خاصة تناسب الظروف المحيطة بها ، لذا جاءت كتابات كل منها إلى حد ما لها طابعها الخاص .

أحياناً يقوم التقسيم **حسب مادة الكتابة** :

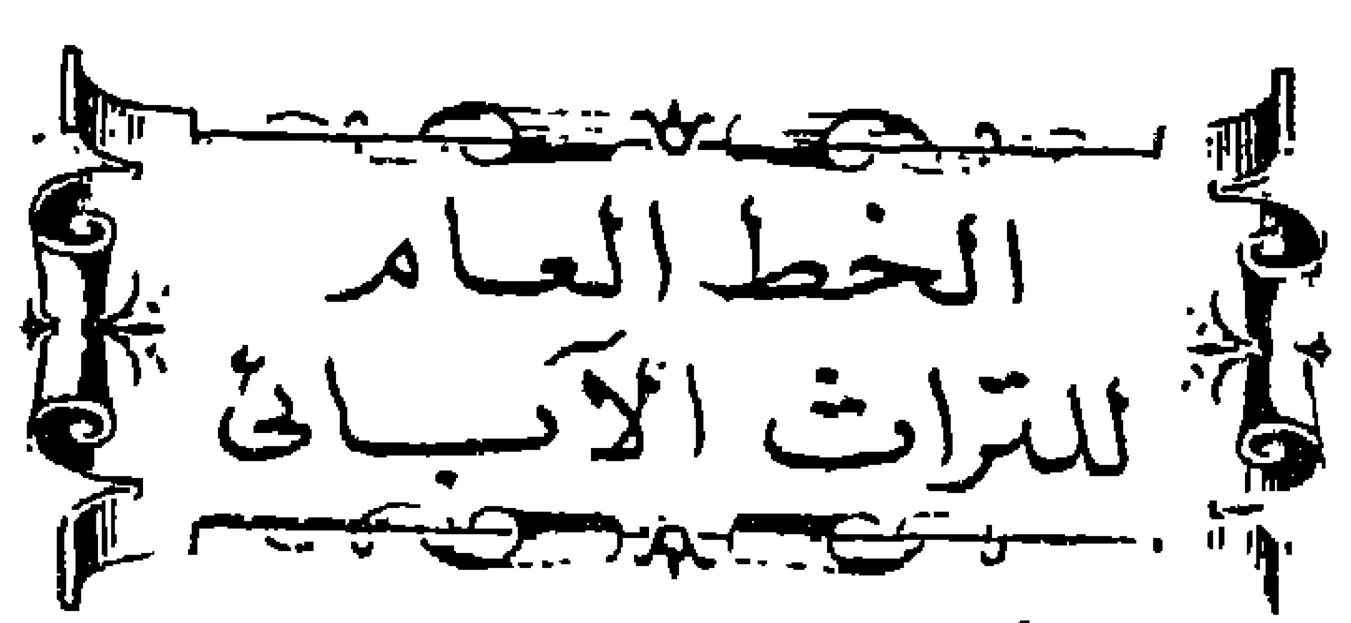
١ ـــ كتابات دفاعية .
٢ ـــ تفسير للكتاب المقدس .

٣ ــ عظات ومقالات .
٤ ــ رســـائل .
٥ ــ ليتورجيات كنسية .
٦ ــ كتابات شعرية وتسابيح .
٧ ــ حوار أو ديالوج .
٨ ــ نســكيات .
٩ ــ قوانين كنسية .
١٠ــ كتابات تاريخية .

يميل بعض الدارسين إلى وضع تقسيم يمثل مزجاً بين التصنيفات السابقة .

+ + +

1- H.B. Swete: Longmans 1904, p. 8.



يمكننا تقديم التراث الآبائى فى مراحل خمس مسترشدين فى ذلك بالتقسيم الذى اتبعه العالم كواستن J. Quasten بشيء من التعديل :

١ـــ بدء الأدب المسيحى الآبائى

يضم هذا القسم **كتابات الآباء الرسولين** فى القرن الأول وبداية الثانى بكونها بدء انطلاق للتراث خلال من تتلمذوا على يدى الرسل وسمعوهم .

كما يضم أيضاً **بدء القوانين الرسولية** والشكل الليتورجى حيث كانت كنيسة العهد الجديد تحتاج إلى هذا النظام تمارس حياتها التعبدية ووجود دستور لسلوكها .

فرزت الكنيسة **الكتب الأبوكريفا** عن الأناجيل وبقية أسفار العهد الجديد القانونية .

نظم المسيحيون الأوائل **شعراً للتسبيح** للتعبير عن مشاعر حبهم لله مخلصهم .

إذ عانت الكنيسة من الاضطهاد منذ بدء انطلاقها كتب بعض أبنائها سير الشهداء ، فظهرت **أول أعمال الشهداء** .

واجهت الكنيسة أيضا مقاومة فكرية من الوثنيين والهراطقة فظهرت أعمال **المدافعين** Apologists ، كما ظهرت كتابات **للرد على الهرطقات** .

+ + +

٢ـــ كتابات ما بعد إيريناؤس إلى ما قبل مجمع نيقية (٣٢٥ م)

إذ كان الاسكندرية أكبر مركز هيلينى فلسفى ــــمدرسة اسكندرية الفلسفيةـــ التزمت الكنيسة منذ عهد القديس مرقس الرسولى بانشاء مدرسة مسيحية قادرة على مواجهة التيار الهلينى القوى، فظهرت **مدرسة اسكندرية**

بآبائها الذين لمعت أسماؤهم فى الشرق والغرب، وجاء إليهم قادة يتتلمذون على أيديهم، يتشربون التفسير الرمزى للكتاب المقدس والفكر اللاهوتى مع حياة نسكية.

من جانب آخر ظهر **آباء آسيا الصغرى وسوريا وفلسطين**، ونشأت مدرسة أنطاكية التى تبنت التفسير الحرفى للكتاب المقدس كمقابل لمدرسة اسكندرية التى عُرفت بالتفسير الرمزى، كما ظهرت مدرسة قيصرية.

بدأ **الأدب اللاتينى المسيحى** على يدى مينوسيوس فيلكس وهيبوليتس الرومانى ونوفاتيان ولرسائل أساقفة روما.

ومن الشخصيات **الأفارقة** المسيحية ترتليان والقديس كبريانوس وأرنوبيوس ولاكتانتيوس ...

+ + +

٣ـ العصر الذهبى والآبائى الشرقيون

يعتبر فترة ما بين مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م ومجمع خلقيدون سنة ٤٥١ م العصر الذهبى للكتابات الآبائية الشرقية.

ففى **مصر** ظهرت كتابات القديسين البابا الكسندروس الذى واجه أريوس المبتدع، والبابا أثناسيوس الرسولى، وسيرابيوس أسقف تيمى، وديديموس الضرير، والبابا ثاوفيلس، والبابا كيرلس الكبير الخ ...

كما ظهرت كتابات **مؤسسى الحركة الرهبانية** فى مصر (وكتابات الذين جاءوا إلى مصر ليمارسوا الحياة الرهبانية ويسجلوا أقوال آباء البرية فى مصر) مثل القديسين أنبا انطونيوس الكبير وامونيوس وباخوميوس أب الشركة وهوريسيوس وثيؤدور (تادرس) ومقاريوس المصرى وأغريس من بنطس وبالاديوس واسيذورس بالبلسم وشنودة بأتريب.

وفى آسيا **الصغرى** نجد يوسابيوس النيقوميدى وثيؤجنيس من نيقية وأوستيروس السوفسطائى ومارسيلليوس بأنقره وباسيليوس بأنقره .

كما ظهر **آباء الكبادوك العظام** مثل القديسين باسيليوس الكبير وغريغوريوس النزينزى وغريغوريوس أسقف نيصص وأمفيلوخيوس أسقف ايقونيم وأوستيروس من أماسيا.

وفى **أنطاكية وسوريا** أوستاثيوس الأنطاكى وأتيوس الأنطاكى وأونوميوس من Cyzicus ويوسابيوس القيصرى وجلاسيوس القيصرى ويوسابيوس من أميسا .

وظهر أيضا كيرلس الاورشليمى وابوليناريوس من لاودكيا وابيفانيوس أسقف سلاميس وديؤدور الطرسوسى وثيؤدور من الميصة ويوحنا الذهبى الفم واكاكيوس من Beroea وانتيخوس من بتللاميس وسيفريان من جبالة ومقاريوس ماجنيس وهستخيوس الأورشليمى ونيلس من انقره ومرقس الناسك وبروكليس من القسطنطينية وجيناديوس من القسطنطينية وباسيليوس من سيليكيا .

ظهر أيضا **المؤرخون الكنسيون** مثل فيليب Philip Sidetes وسقراط وسوزومين وثيؤدورت اسقف قورش .

+ + +

٤ـــ آباء الغرب فى القرنين الرابع والخامس

اشهرهم القديسون هيلارى أسقف بواتييه وأمبروسيوس أسقف ميلان وأغسطينوس أسقف هيبو وجيروم ورفينوس ويوحنا كاسيان ...

+ + +

٥ـــ كتابات ما بعد مجمع خلقيدون

إذ عزل مجمع خلقيدون الشرق عن الغرب إلى حد ما اهتمت الكنائس اللاخلقيدونية بالكتابة فى طبيعة السيد المسيح ، وقد برز قادة عظماء فى ذلك . يقول ميندورف : [خلال النصف الثانى من القرن الخامس والنصف الأول من

القرن السادس ، قد ساد عظماء اللاهوتيين (المونوفزيت)[١] على المسرح وهم تيموثاوس أوليروس وفيلكسينوس أسقف Mabbug ، وعلى وجه الخصوص سويرس الانطاكى ، ولم يكن لدى الخلقيدونيين لاهوتى واحد بارز يقف أمامهم[٢] .]

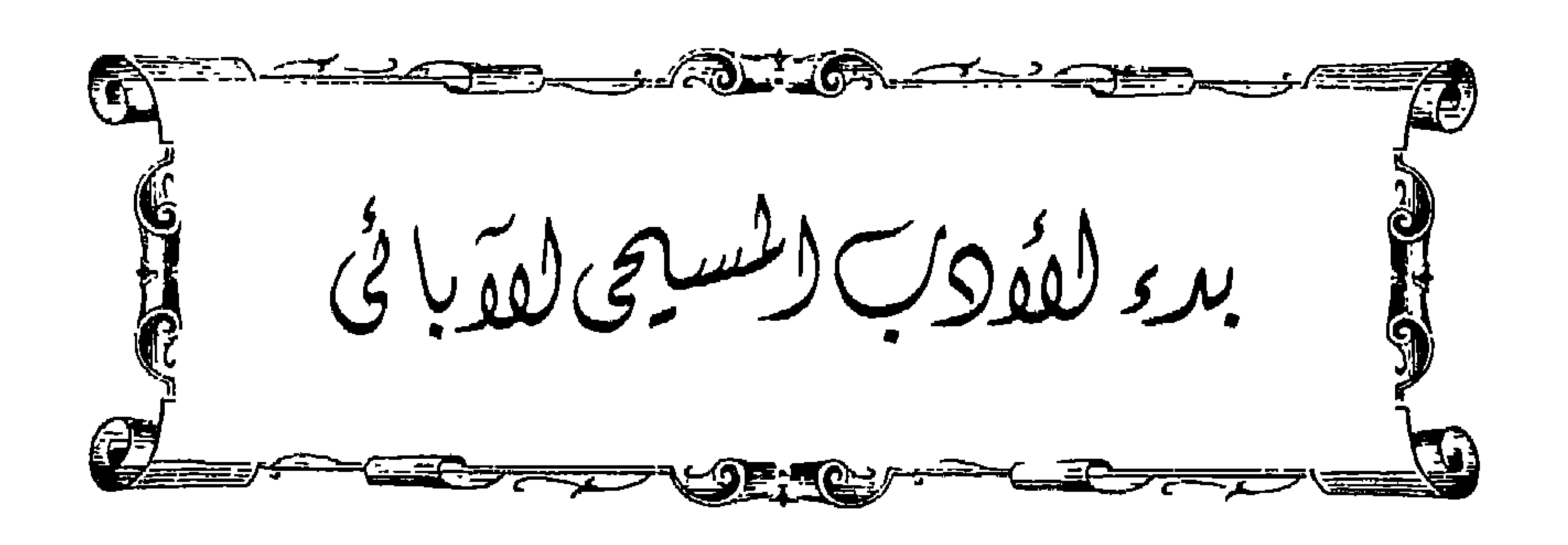
بعد دخول العرب مصر وبقية منطقة الشرق الأوسط تحول اهتمام الكتاب الشرقيين إلى الحوار وجاءت القرون ١١ــ١٣ غنية بالميراث المسيحى المصرى فى ذلك المجال . أما الكنائس الخلقيدونية فواجهت مشاكل من نوع آخر مثل محاربة الأيقونات ثم انبثاق الروح القدس الخ ...

+ + +

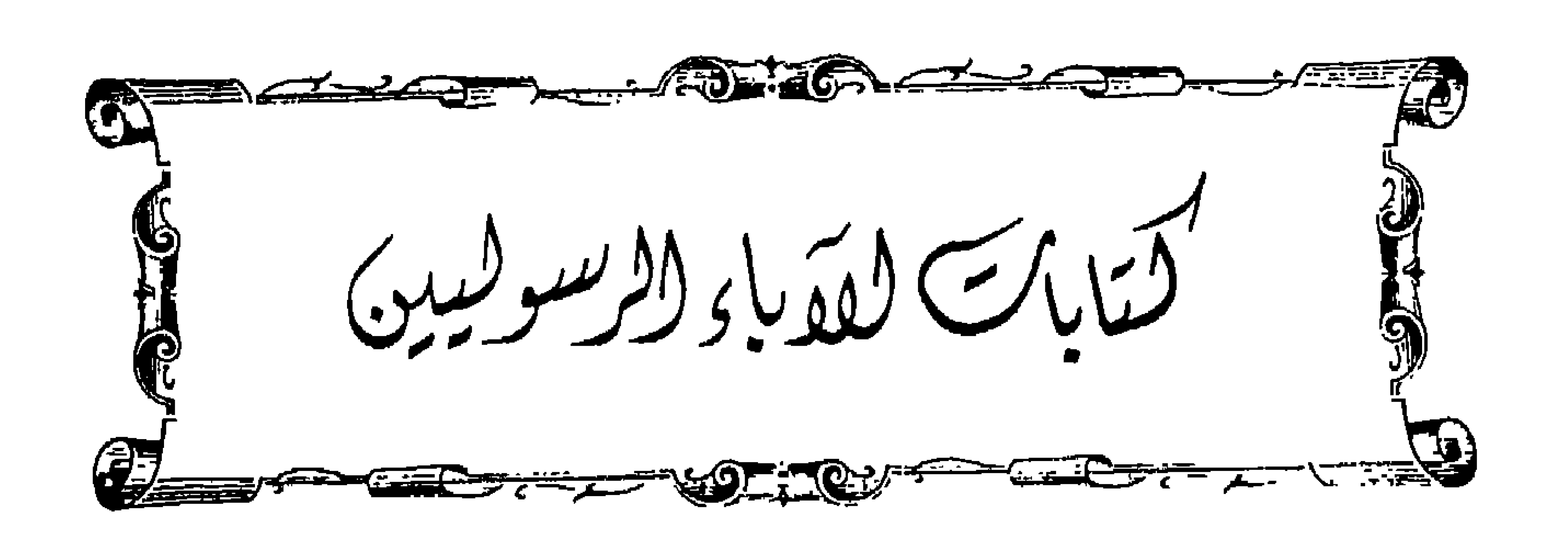
١ــ لم يكونوا « مونوفزيت » بل « ميافزيت » ، لان الطبيعة الواحدة عن اللاخلقيدونيين ليست طبيعة منفردة Single بل طبيعة واحدة من طبيعتين ، لذا لا تدعى monophysite بلmiaphysite كتعبير القديس كيرلس الكبير .

2- J Meyendorff: Christ in the Eastern Christian thought, 1969, p. 24.

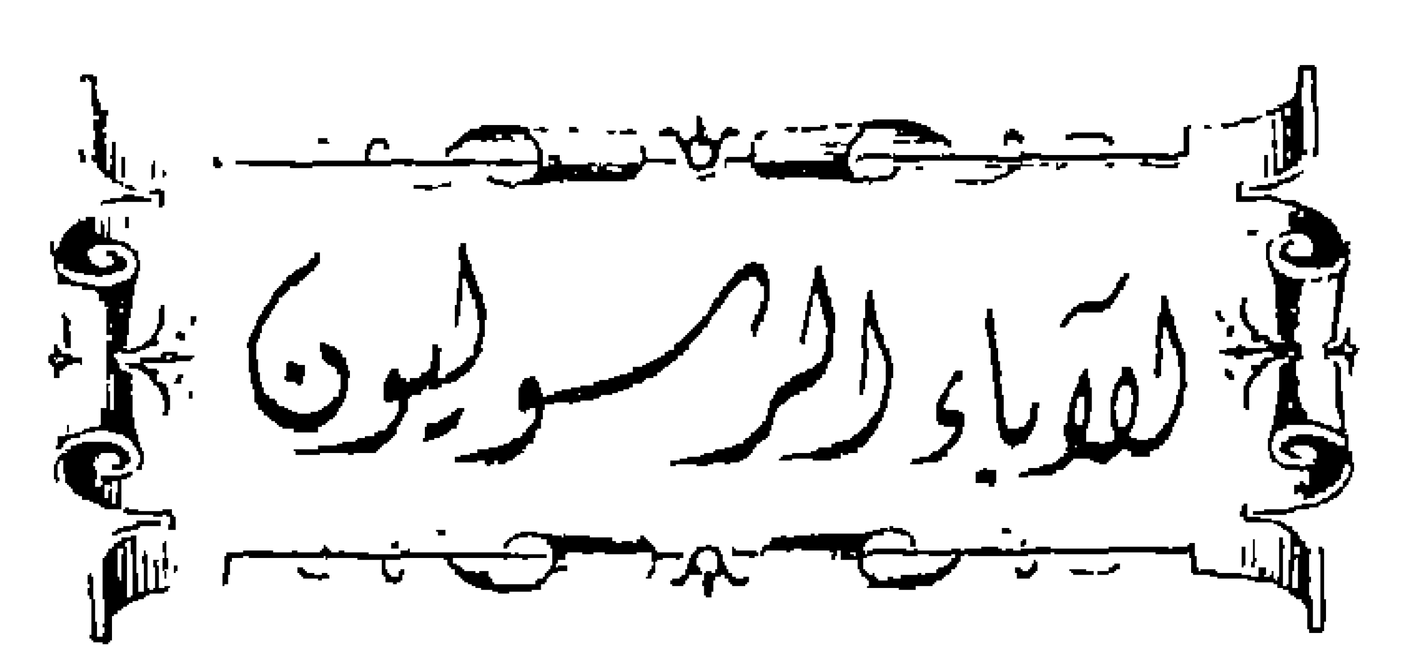
الكتاب الثالث



الفصل الأول



- الآباء الرسوليون
- القديس اكليمندس الرومانى .
- القديس أغناطيوس الأنطاكى .
- القديس بوليكاربوس .
- رسالة برناباس .
- الراعى لهرماس .
- الرسالة إلى ديوجين .
- دفاع كوادراتس .
- الديداكية .



THE APOSTOLIC FATHERS

مضى الجيل الأول المعاصر للسيد المسيح والشهود العيان له ، وتتلمذ كثيرون على أيدىَّ رسله وتلاميذه ، ولم تعد الكنيسة محصورة فى بقعة ما بل إنطلقت فى العالم تخمره بخميرة الحق وتلهبه بنيران الحب الإلهى ، ووُجدت كنائس محلية كثيرة فى الشرق والغرب ، لها إيمان واحد ، ورجاء واحد ، وحب واحد ، صلوات واحدة ومفاهيم واحدة وليتورجيات وطقوس ذات هيكل واحد ... حتى يحق لنا أن نقول أنها ليست كنائس كثيرة بل كنيسة المسيح الواحدة الرسولية .

إن كانت هذه الكتابات للآباء الرسوليين ليست إلا براعم الربيع الصغيرة ، لكنها حيَّة تحمل روح الكنيسة الواحدة ، تكشف لنا ما تحمله من أوراق وزهور وثمار حملتها شجرة الكنيسة عبر الأجيال[٢] .

لقد حملت إلينا صدى أصيلا لكرازة الرسل ، وإعلاناً حقاً لبساطة إنجيل الخلاص ، وصورة صادقة للتقليد الكنسى فى تلك الفترة الفريدة[٣] .

قدمت لنا الإيمان الذى تقبله هؤلاء الآباء الرسوليين خلال إتصالهم المباشر للرسل أو تسلموه عن طريق تلاميذهم[٤] .

أما تسميتهم بالآباء الرسوليين فترجع الى الدارس الفرنسى Jean B. Cotelier من رجال القرن السابع عشر ، الذى قام بنشر مجلديه تحت إسم Patres aevi apostolici عام ١٦٧٢ ، واللذين شملا مجموعة الكتابات التالية :

١ـــ الرسالة المنسوبة لبرناباس .

٢ـــ كتاب « الراعى » لهرماس .

٣ـــ رسالتان : إحداهما لأكليمندس الرومانى والأخرى منسوبة له .

٤ـــ رسائل أغناطيوس السبع .

٥ـــ رسالة لبوليكاربوس ، ومقال عن إستشهاده .

فى عام ١٧٦٥ أضاف إليها Andras Gallandi فى مجموعته Bibliotheca Veterum Patrum الأعمال التالية :

٦ــ رسالة إلى ديوجنيتس Diognetius لا يُعرف كاتبها .

٧ــ مقتطفات لبابياس و Quadratus .

٨ــ وفى عام ١٨٧٣ أُكتشفت « الديداكية Didache » أو « تعليم الرب للأمم كما نقله الإثنا عشر رسولاً » ، أضيفت إلى الكتابات الرسولية .

وأخيراً فإن بعض الدارسين رأوا إضافة ما يسمى بـ« قانون الإيمان للرسل The Apostles' Creed » إلى مجموعة الكتابات الرسولية، لكن الغالبية لم يقبلوا ذلك.

سمات كتابات الآباء الرسوليين

١ــ جاءت أغلب هذه الكتابات أشبه برسائل ، لكنها فى الحقيقة لا تمثل « **وحدة فى الطبع** » .

فالرسالة الأولى لأكليمندس ، غرضها معالجة موضوع النزاع (والشقاق) الذى ساد فى كنيسة كورنثوس ؛ أما الرسالة الثانية المنسوبة له فهى عظة وليست رسالة .

ورسالة برناباس أشبه بمقالات لاهوتية بسيطة تعالج الربط بين العهد القديم والمسيحية .

والرسالة إلى ديوجنيتس ليست إلا مقالاً يُقدم مختصراً للمسيحية .

وكتاب الراعى لهرماس هو مجموعة من الرؤى والوصايا تعالج موضوع التوبة بعد المعمودية .

والديداكية هى أشبه بدلال كنسى .

ومقتطفات بابياس فى جوهرها تعليقات على بعض منطوقات السيد المسيح ، فى عرض لطيف للتقليد الشفهى .

أما عمل Quadratus فهو دفاع موجه للإمبراطور هدريان .

هكذا لا نقدر أن نربط بين هذه الكتابات وبعضها البعض من جهة الطابع أو الموضوع ، لكننا بشيء من التجاوز يمكننا القول ان هذه الكتابات فى مجملها تعالج موضوعين :

(أ) وحدة الكنيسة الداخلية وسلام بنيانها الداخلى .

(ب) الحفاظ على الإيمان الخالص حتى لا تشوبه وثنيات .

٢ــ اتسمت هذه الكتابات بالبساطة مع الغيرة الملتهبة ، دون الاعتماد على الفلسفة اليونانية أو البلاغة الهيلينية . فباستثناء الرسالة إلى ديوجنيتس لا تحمل هذه الكتابات عملا أدبياً .

٣ــ جاءت هذه الكتابات وليدة إحتياجات عملية رعوية ، وليس لغرض علمى دراسى ؛ فلم تقدم لنا دراسات لاهوتية روحية ، إنما أوضحت فى بساطة الإيمان العملى ما هو الإنجيل كما عاشته الكنيسة الأولى قبل أن تلتحم بسلطان زمنى .

« الإهتمام الرعوى الأصيل » عامل مشترك فى هذه الكتابات ، فالآباء الرسوليون لم يكن يشغلهم إبراز أفكار معينة بل الدخول بكل أحد إلى الحياة الإيمانية العملية ، فلا ينتقون المصطلحات اللاهوتية الصعبة بل يقدمون قلوباً ملتهبة حباً نحو خلاص البشرية .

لم يكن هؤلاء الكتّاب جبابرة عقليين بل قديسين بسطاء ، يحبون التقوى ، ويكرسون حياتهم وقلوبهم لمخلصٍّ حيٍّ يحيا فيهم وهم يحيون به وفيه ومن أجله .

عاشوا فى جيل بطولات روحية عملية لا جيل كلمات برّاقة ؛ لم يكن عصرهم عصر كتّاب بل جنود روحيين ، ليسوا أصحاب كلام بل كانوا محتملى آلام[٥] .

٤ــ إتسمت كتاباتهم بالصبغة الإسخاتولوجية (الانقضائية) eschatological character . كان المجىء الثانى للسيد المسيح هو غاية « الحياة

المسيحية » ، خلال علاقتهم المباشرة مع الرسل إذ كانوا يذكرون شخص المسيح بحماس . فقد كشفت كتاباتهم عن شوق عميق نحو السيد المسيح المخلص الصاعد ، وهو لا يزال حيّاً وقائماً فى وسطهم . ينتظرون مجيئه ليروه وجهاً لوجه . هذا الشوق حمل شكلاً قدسياً فى حياتهم وكتاباتهم وعبادتهم .

٥ـــ إتسمت هذه الكتابات بالطابع الكنسى كما حملت روح الشركة ، شركة الكنيسة فى العالم كله فى الإيمان والتقليد والعبادة ... رغم بُعد المسافات بين الكنائس وبعضها البعض مع اختلاف الثقافات وتفاصيل التقاليد .

أخيراً يليق بنا أن نفهم أن هذه الكتابات ، مهما بلغت قيمتها ، ومهما كانت قداسة كتّابها ، فهى ليست وحياً إلهياً نقّدس كل عبارة فيها ، إنما هى أنشودة الروح التى تتغنى بها الكنيسة ليمتد هذا اللحن الأبدى من جيل إلى جيل فى توافق وإنسجام تحت قيادة الروح القدس العامل فى الكنيسة ليدخل بكل العالم إلى الإتحاد مع الآب فى المسيح يسوع ربنا بالروح القدس .

+ + +

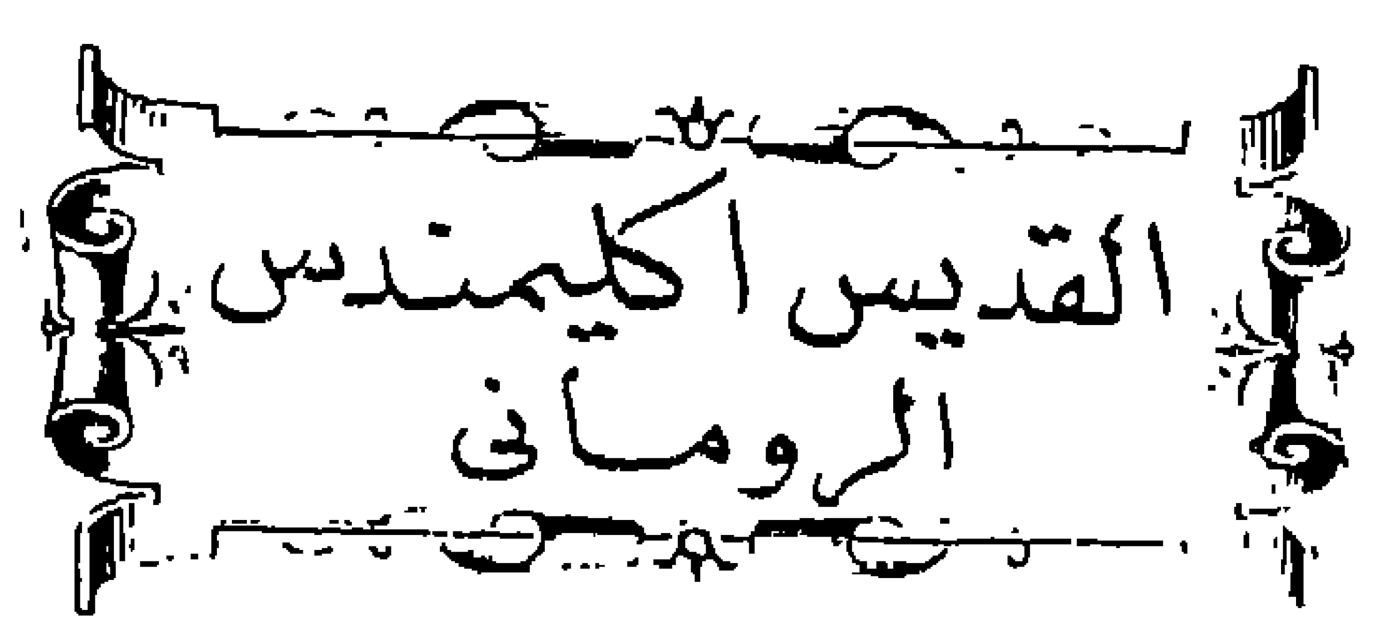
١ـــ للمؤلف : أقوال الآباء وكتاباتهم (١) : القديس اكليمندس الرومانى ، اسكندرية ١٩٧٤ ، ص ٥ الخ .

2- cf. Chrétiens de tous les temps (1): Les écrits des Pères Apostoliques, Paris 1968.

3- Maxwell Staniforth: Early Christian Fathers, 1963.

4- Quasten: Patrology, vol. 1, p. 40.

5- ANF vol 1, p. VII.



ST. CLEMENT OF ROME

تعتبر رسالة اكليمندس الرومانى أول الكتابات الآبائية التى إحتلت مركزاً خاصاً فى كتابات الكنيسة الأولى وحياتها وعبادتها ، كتب عنها القديس إيريناؤس فى القرن الثانى الميلادى انها رسالة لها وزنها[١] . وأشار إليها ديونسيوس الكورنثى[٢] عام ١٧٠ م بأنه قد صارت هناك عادة قائمة منذ عدة سنوات أن تُقرأ رسالة اكليمندس فى الكنيسة فى يوم الرب . كما كتب المؤرخ الكنسى يوسابيوس[٣] ان قراءة رسالة اكليمندس فى كثير من الكنائس صار أمراً عاماً .

صمت التاريخ الكنسى عن تعريفنا بحياة القديس اكليمندس ، وتضاربت الأقوال عنه . فمن جهة أصله وُضعت إحتمالات كثيرة ، نذكر منها[٤] :

١ــ رأى يقول أنه أحد معاونى القديس بولس فى الخدمة ، وهو نفسه الذى ذكره الرسول فى رسالته إلى أهل فيلبى (فى ٤ : ٣) . نادى بهذا العلامة أوريجين ونقله يوسابيوس[٦] ، فجيروم[٧] ثم تناقله كثيرون من بعدهم .

وبالرغم من أن غالبية المؤرخين يؤكدون أن هذا الرأى ليس بمستبعد ، خاصة وأن الرسالة تحمل فى داخلها شهادة على أن كاتبها صديق للرسول بولس ، إذ تقدم تعليم الرسول وطبعه وطريقة تفكيره[٨] ، لكن البعض يستصعب كيف يتسلم الأسقفية فى روما خادم من فيلبى ؟!

على أى الأحوال ، يحتمل أن يكون رومانى الأصل أو يونانى ، عمل بعض الوقت فى فيلبى ، ثم بعد ذلك فى روما .

٢ــ الرأى الثانى أخبرنا به ديوكاسيوس[٩] Dio Cessius ، انه ليس إلا القنصل تيطس فلافيوس كليمنس Titus Flavius Clemns ، العضو فى العائلة الملكية ، حفيد الإمبراطور Vespasian وابن عم الامبراطور دومتيان ، الذى

أعدمه دومتيان عام ٩٥ ، ٩٦ بدعوى الكفر (قبوله المسيحية) ونفى زوجته دومتيلا إلى أحد الجزر .

لكن غالبية المؤرخين رفضوا هذا الرأى ، فلو كان أكليمندس هذا قنصلاً وله صلة قرابة مع الإمبراطور لما غفل الكتبة الكنسيون ذكر هذه القرابة للتدليل على دخول المسيحية بيت الإمبراطور . زد على ذلك أن معرفته الدقيقة بالكثير من نصوص العهد القديم التى إحتلت ربع الرسالة تقريباً تدل على أن الكاتب لم يكن من أصل أممى بل يهودى تنصر[١٠] .

٣ـــ يرى Lightfoot (وهو مجرد تخمين قبلها كثيرون) انه انسان شريف له قرابة مع القنصل كليمنس ، من أصل يهودى .

٤ـــ قيل أيضا إنه كان عبداً يهودياً أو إبن عبد يهودى للقنصل المذكور ، أعتقه فحمل إسم سيده[١١] .

هذا وقد ذكر عنه القديس إيريناوس : [رأى الرسل الطوباويين وتحدث معهم ؛ كانت كرازتهم لا تزال تدوى فى أذنيه ، وتقليدهم ماثلاً قدام عينيه .]

تحدث عنه يوسابيوس أنه الأسقف الثالث على رومية[١٢] ، بعد لينوس وأناكليتوس ، سيم أسقفاً فى السنة الثانية عشرة لحكم دومتيانس وتنيح فى السنة الثالثة من حكم تراجان ، أى من سنة ٩٢ م حتى سنة ١٠١ م .

أما نياحته فتضاربت فيها الأقوال :

١ـــ ذكر جيروم[١٣] أنه مات ميتة طبيعية ، وقال عنه الكتّاب الأولون أنه تنيح بعد خدمته الأسرار المقدسة[١٤] .

٢ـــ انه إستشهد ؛ أول من روى ذلك روفينوس[١٥] فى القرن الرابع ، ولا يوجد من قبله كاتب واحد يذكر ذلك . وقد استبعد كثيرون استشهاده ، معتمدين فى ذلك أنه لو حدث ذلك لما أغفله الكتّاب الأولون .

وقد جاء عنه فى أحد الكتب الأبوكريفا من القرن الرابع أنه حول ثيؤدورا إحدى شريفات روما وزوجها sisinnius و ٤٢٣ آخرين إلى المسيحية ، الأمر الذى أثار غضب الشعب وأدى إلى نفيه فى شبه جزيرة القرم[١٦] .

وروى البعض عنه[١٧] ان مجلس السانتو بروما لم يحتمل أن يرى من بينهم شريفاً صار أسقفاً مسيحياً ، يجذب الاشراف إلى المسيحية ، فاجتمع ودعوه ونصحوه بالعدول عن مسيحيته ، وإذ لم يقبل عرضوا تقريراً عنه لتراجان الذى أمر بنفيه وتكليفه بقطع الأحجار . هناك فى النفى إلتقى بحوالى ألفين من المسيحيين ، وإذ كانت المياه بعيدة عنهم صلى إلى الله الذى أرشده إلى صخرة بها نبع ماء يستقون منه . وقد آمن على يديه الكثير من الوثنيين ، وتحوَّل المنفى إلى مركز للعبادة والكرازة ، الأمر الذى ملأ الولاة غضباً ، فوضعوا فى عنقه مرساة وطرحوه فى البحر ومات غرقاً حوالى عام ١٠١ م . وقد قيل أن الجسد بقى عاماً بأكمله فى المياه دون أن يفسد حتى أظهره الرب .

+ + +

رسالة اكليمندس الأولى

امتازت الكنيسة الأولى بالحب الحقيقى الذى جعل الكنائس غير منعزلة عن بعضها البعض ، بل يشعر كل منها بآلام الأخرى وأثقالها ، لذا كثرت الرسائل المتبادلة بينهم[١٨] ، وقد امتازت بروح إلاتضاع والوداعة بغير مداهنة أو رياء ، وروح الصراحة والوضوح بغير تشامخ !

سبب الرسالة[١٩]

فى القرن الأول حدثت حركة تمرد وعصيان فى كنيسة كورنثوس . قام جماعة من الشبان المتعجرفين ظنوا فى أنفسهم أنهم أكثر حكمة من الاكليروس وأقدر على التعليم ، وبدأوا يشنون بين الشعب حملة تمرد وعصيان ، فطردوا كثيرين من عملهم[٢٠] . لذا أسرع القديس أكليمندس أسقف روما وكتب رسالة مملوءة حكمة ، تمتاز بروح الانسحاق مع الحب ، إعتمد فيها على الكثير من النصوص الكتابية مع أمثلة كثيرة من العهدين .

ملامح الرسالة

جاءت الرسالة فى المخطوط الإسكندرى للكتاب المقدس بعد سفر الرؤيا منعزلة عن رسائل الرسل ؛ فهى ليست رسالة رسولية ولا سفر من أسفار الكتاب المقدس مُوحى به ، لكنها كوثيقة آبائية لعصر تلى الرسل مباشرة، حملت مكانة خاصة ، تقدم لنا فكراً آبائياً إنجيلياً ، ينتفع به المؤمنون . أما أهم ملامحها فهى :

١ــ **رسالة كتابية** : إقتبست الكثير من العهدين إما بعبارات منقولة عن الكتاب المقدس مباشرة أو مشابهة لها . وقد جمعها Funk ووضع قائمة بها فإذا هى ١٥٧ عبارة عن العهد القديم و ١٥٨ عن العهد الجديد .

تكشف الرسالة عن دراية اكليمندس العظيمة برسائل معلمنا بولس الرسول أكثر من رسالتى القديس بطرس .

ويُلاحظ أنه استخدم الترجمة السبعينية التى عرفها غالباً عن طريق الرسول بولس والإنجيلى لوقا .

٢ــ تكشف الرسالة عن أن ذكريات اكليمندس **بتعاليم السيد المسيح ورسله** كانت خصبة للغاية .

٣ــ قدمت لنا معلومات فى **تاريخ الكنيسة** عن إضطهاد نيرون ، كما تحدثت عن جموع الشهداء ، وأشارت إلى كثرة النساء الشهيدات(٢١) .

٤ــ تحمل هذه الوثيقة مفاهيم قيمة وشهادة واضحة عن «**العقيدة المسيحية**» كما فهمها المسيحيون الأولون ، نذكر منها :

(أ) ذكر الثالوث القدوس : الآب والرب يسوع المسيح والروح القدس .

(ب) لاهوت السيد وربوبيته وخلاصه .

(جـ) ضرورة الإيمان ، بدونه لا خلاص بالأعمال الذاتية ، إذ يقول : [ونحن أيضاً الذين دعينا بإرادته فى المسيح يسوع لن نتبرر بذواتنا ولا بحكمتنا ولا بفطنتنا

ولا بتقوانا ولا بالأعمال التى نضعها فى قداسة القلب ، بل بالإيمان الذى من البدء برّر به الرب ضابط الكل كل الناس[٢٢]] .

(د) ضرورة الأعمال المرتبطة الإيمان ، وهى تفرح الله . يقول : [لماذا بُورك أبونا إبراهيم ؟ أليس بسبب اقتنائه البر والحق خلال الإيمان[٢٣] .] ، [إذن ، ماذا ينبغى علينا أن نفعل يا إخوة ؟ أنهمل عمل الخير ، ونكف عن الحب ؟! الله لن يقبل هذا ، بل بالحرى نسرع فى عمل الخير باجتهاد وفى غيرة . إن خالق الكل وربهم هو نفسه يفرح بأعماله[٢٤] .] ، [العامل الصالح يتقبل خبز عمله بجرأة ، أما الكسول والمتهاون فلا يجسر أن ينظر بعينيه إلى رب عمله[٢٥] .]

(هـ) التبرير بالنعمة المجانية مع الجهاد المستمر حتى الموت . [نساء كثيرات صرن قويات بالنعمة الإلهية وقمن بأعمال خارقة[٢٦] .]

(و) التقديس بالروح القدس .

(ز) الفضائل المسيحية من اتضاع واحتمال وطول أناة مع تركيز على المحبة . من كلماته : [**المسيح هو مسيح المتواضعين لا المتعجرفين على قطيعه**[٢٧] .] ، [**الحب يقود الى أعالٍ لا يُخبر بها** !... بالحب يأخذنا الرب إليه . بالحب يحملنا يسوع المسيح الذى أراق دمه عنا بإرادة الله ، وأعطانا جسده عن جسدنا ، ونفسه عن نفوسنا[٢٨]] .

(س) الوحدة الكنسية القائمة على التقدير المتبادل بين الأعضاء . [**لا وجود للكبار بدون الصغار ، ولا للصغار بدون الكبار ، وإنما فى كل مكان يُدمج (الكل) لنفع الجميع** . أعظم مثل لهذا هو جسمنا ، فالرأس بدون الأقدام ليس بشيء ولا الاقدام بدون الرأس . نعم ، فإن أقل الأعضاء فى جسمنا ضرورى ومفيد للجسم كله ، أو بالحرى كل الأعضاء تعمل معاً فى خضوع لأجل حفظ الجسم[٢٩]] . [لماذا نمزق اعضاء المسيح ونقطعها ، ونثور ضد جسمنا ، ويستولى علينا جنون مطبق كهذا فننسى اننا أعضاء بعضنا البعض ؟! أذكروا كلام ربنا يسوع المسيح[٣٠]] .

٥ــ لأول مرة نجد إعلاناً واضحاً وصريحاً عن تعليم « **التتابع الرسولى** » . فرجال الاكليروس لا يُسامون بواسطة أعضاء الجماعة ، لأن السلطة الروحية لا تُمنح منهم وإن كان من حق الشعب أن يختار راعيه ، لكن سلطانهم مُستمد من الرسل ، الذين يمارسون سلطانهم فى طاعة المسيح(٣١) .

٦ــ يعالج الفصلان ٢٤ ، ٢٥ موضوع **القيامة من الأموات** ، ولأول مرة تُستخدم الأسطورة الرمزية القديمة الخاصة بالطائر « فونيكس » أو « العنقاء » فى كتابات مسيحية لتأكيد القيامة .

وهو طائر خرافى زعم قدماء المصريين أنه يعمر خمسة قرون ، بعدها يموت ويدفن نفسه فى تابوت من المر واللبان والعطور ليقوم وهو أتم ما يكون شباباً وجمالا .

وقد إستخدم بعض الآباء هذه الأسطورة فى كتاباتهم بعدما سجلها اكليمندس ، مثل ترتليان(٣٢) وأوريجين(٣٣) وأمبروسيوس(٣٤) وأبيفانيوس وروفينوس الخ ... كما ظهرت آثارها على العملات والمداليات (الأوسمة) والخواتم وعلى المقابر . وقد نادى البعض مثل بلينى Pliny وتاكيتوس وديوكاسيوس أن العنقاء عاد فعلاً للظهور فى مصر عام ٣٤ م بعد غيبة ٢٥٠ عاماً ، كما قال بلينى أنه أحضر إلى روما عام ٤٧ م .

٧ــ**أوضحت نظرة الكنيسة للدولة** : فبينما كان اكليمندس وشعبه يذوقون المر من الإمبراطور دومتيان إلا أنه فى رسالته إلى أهل كورنثوس نجده **يطلب الخضوع للولاة والرؤساء كما يقدم عنهم صلاة من كل قلبه** .

يقول(٣٥) Robes « إن سمو هذه الصلاة يكون له معنى خاص إن تذكرنا أنها قدمت من أجل دومتيان (مضطهد الكنيسة) !] .

٨ــ كشفت لنا عن **الليتورجيا فى الكنيسة الأولى** ، ففى هذه الر سالة نستشف الآتى :

(أ) يُعتبر اكليمندس الرومانى أول كاتب مسيحى يصف التجمع الليتورجى للكنيسة المسيحية لتقديم « قرابينها » . بتنظيم كنسى كعمل إلهى[٣٦] ، إذ يقول : [أمرنا (الرب) أن نقدم التقدمات ، وأن نعمل خدمات إلهية لا بطياشة وبصورة غير منتظمة بل حسب أوقات وساعات معينة ... لقد حدد بنفسه ، بأمره العلوى أين نتممها ؟ ومن الذى يقدمها ؟ حتى إذ يتم كل شيء بورع حسب مسرته الصالحة تكون مقبولة لديه[٣٧] ...] .

(ب) كشف عن شركة كل المؤمنين فى الليتورجيا ، سواء الكهنة أو الشعب ... ولكن كل واحد حسب عمله . إذ يقول : [أعطيت لرئيس الكهنة (الأسقف) ليتورجيات خاصة ، وحددت للكهنة أماكن معينة ، وللاويين (الشمامسة) خدمات خاصة بهم ، وللشعب القوانين الخاصة بهم . ليصنع (يشترك) كل واحد منكم يا اخوة فى أفخاريستيا eucharisteito لله حسب ترتيبه (وضعه)[٣٨]] .

(جـ) ذكر بعض الرتب الكنسية مثل الأبوذياقونيين (مساعدى الشمامسة) ، والذياقون (الشماس) ، الأبرسفيتيروس (القس) ، والأسقف وأوضح أن عمله الرئيسى هو خدمة الليتورجيات وتقديم القرابين[٣٩] .

(د) كشف عن السيد المسيح أنه « كاهن تقدماتنا العلى »[٤٠] ... فالعمل الكهنوتى هو عمل المسيح شخصياً الذى يعمل سرّياً فى كهنته ... انها ذبيحة سماوية تُقام على الأرض ، كاهنها المسيح نفسه ، يقدمها على المذبح السماوى كفارة عن البشرية .

(هـ) قدم لنا أقدم وأروع شكل لصلاة ليتورجية (جماعية) فى الكنيسة[٤١] ، انتهت بمجدلة « ذكصولوجية » doxology كعادة الكنيسة فى نهاية كل صلاة ليتورجية[٤٢] .

تاريخ كتابتها

يحدد أغلب الدارسين للرسالة تاريخ كتابتها بعام ٩٦ م ، معتمدين فى ذلك على :

١ــ أنها كتبت بمجرد إنتهاء الضيقة التالية بعد إضطهاد نيرون ، أى فى عهد دومتيان ما بين عام ٩٥ ، ٩٦ ، إذ ذكر الكاتب أن الضيقات المفاجئة والمتوالية أدت إلى تأجيل الكتابة(٤٣) .

٢ــ هذا التاريخ (٩٦ م) يتفق مع شهادة التقليد الذى يرجع إلى هيجيسيبوس Hegesipus وديوناسيوس الكورنثى ، وهو أن كاتبها أكليمندس أسقف روما (ما بين ٩٢ ، ١٠١ م) ، كما ذكر المؤرخ يوسابيوس عن هيجيسيبوس أن الخلافات التى دفعته للكتابة كانت فى حكم دومتيان .

٣ــ كشف القديس بوليكاربوس أسقف سميرنا فى رسالته إلى أهل فيلبى (بدء القرن الثانى) عن معرفته التامة بالرسالة ، إذ اقتطف الكثير منها .

نصوص تقليدية

١ــ المخطوط الاسكندرى للكتاب المقدس The Alexandrian Code of the Bible بالمتحف البريطانى، يرجع للقرن الخامس الميلادى .

٢ــ المخطوط القسطنطينى Hierosolymitanus من القرن الحادى عشر عام ١٠٥٦ ، نسخة ليون ؛ اكتشفه فيلوثيؤس برينيوس Philotheus Bryennius اسقف(٤٤) Serrae عام ١٨٧٥ بالقسطنطينية وقام بنشره .

٣ــ وُجدت ترجمة سريانية كاملة فى مكتبة Jules Mhol بباريس عام ١٨٧٦ ، ترجع للقرن الثانى عشر عام ١١٧٠ م كتبت بدير مارصليبا بالرها .

٤ــ اكتشف D.G. Morin بدير Moredsous ببلجيكا عام ١٨٩٤ نصاً لاتينياً فى مخطوط من القرن العاشر أو الحادى عشر ، ينتمى أصلاً إلى دير فلورانس حيث نقل الى مكتبة Great Seminary بـ Namur .

٥ــ ترجمة قبطية فى لهجة اخميمية فى ملكية برلين Staatsbiblothek .

٦ــ ترجمة قبطية أخرى فى لهجة اخميمية ، اكتشفت فى ستراسبورج من القرن السابع ، وهى أشبه بمقتطفات .

اقســـامها

يمكننا تقسيم الرسالة إلى :

★ **افتتاحية** من كنيسة روما إلى كنيسة كورنثوس ، فيها يعلن الأب الأسقف حقيقة الكنيسة أنها متغربة على الأرض ... هذه الحقيقة تتطلب أن تعيش الكنيسة وسط العالم بفكر سماوى فلا تسلك بروح الغيرة والانقسامات ، ولا ترحف على الأرض تطلب الفانيات ، بل تهتم بخلاص كل أحد .

أولا :جمال ملامح الكنيسة قبل الانقسام فصل ١، ٢

هذا روح الرسول بولس الذى يبدأ رسائله دائماً بالتشجيع ، فيكشف للمرسل إليهم فضائلهم وإيمانهم وحياتهم فى الرب حتى يسندهم .

ثانيا :ملامح الكنيسة بعد الانقسام فصل ٣

كشف لهم الفوضى التى تعيشها الكنيسة بسبب المنافسات الرديئة والحسد الذى دب وسطهم ، و « الذات » التى تعيش فيهم .

ثالثا :سر الانقسام :الغيرة والحسد فصل ٤ــ٦

قدم لهم أمثلة حية وواقعية من العهدين القديم والجديد ومن عصر الشهداء الذى كانوا يعيشونه ...

رابعا :علاج الحسد والغيرة فصل ٧ــ٥٨

١ــ بالتوبة والإيمان العملى ٧، ٨

٢ــ بالطاعــة ٩ــ١٢

٣ــ بالاتضــاع ١٣ــ٢١

٤ــ تذكر الدينونة وقيامة الأموات ٢٢ــ٢٩
٥ــ بالجهاد كأبناء لله ٣٠ــ٣٦
٦ــ بالخضوع للنظام والترتيب ٣٧ــ٤٧
٧ــ بالحب الذى هو باب البر ٤٨ــ٥٨

خامسا : ابتهال لله ٥٩ــ٦١

سادسا : ختــام ٦٢ــ٦٥

فيه ملخص للرسالة مع تشجيع لعلاج الموقف واشتياق لسماع أخبار سارة عنهم .

[ترجمت نصوص الرسالة إلى العربية ، ونُشرت عام ١٩٧٤] .

+ + +

الأعمال المنسوبة للقديس اكليمندس الرومانى

لعل ما حظى به القديس اكليمندس من تقدير عام هو المسئول الأول عما نُسب إليه من كتابات أرثوذكسية وهرطوقية ، لكى تجد لها رواجاً .

١ــ رسالة اكليمندس المسماة بالثانية **The So-called Second Epistle of Clement**

فى حقيقتها عظة لا رسالة ، لها أهميتها بكونها أول عظة مسيحية وصلت إلينا حتى اليوم . لم يستقر الدارسون على أصل العظة وواضعها ، لكن الدلائل تشير بالأكثر إلى أنها إسكندرانية الأصل وليست من كورنثوس أو رومة[٤٥] ، قبل منتصف القرن الثانى .

أما أهم ملامحها ومحتوياتها فهى :

(أ) التركيز المستمر على التوبة كطريق للملكوت ، وكوسيلة لعمل الله فينا : [**لنتب مادمنا على الأرض ، فإننا طين فى يدّ فنان**[٤٦]] .

(ب) الإيمان العملى خلال الطاعة للوصية واحتقار الشهوات الزمنية من أجل الأبدية .

(جـ) الكنيسة سابقة للوجود(٤٧) ، روحية غير منظورة ، صارت جسد المسيح(٤٨) وأُماً للمؤمنين .

(د) دعى العماد ختماً Sphragis يلزم حفظه(٤٩) .

+ + +

٢ـــ رسالتان عن البتولية

فى عام ١٧٥٢ م اكتشف J.J. Wetsein فى مكتبة المحتجين The Remonstrants بأمستردام نصاً سريانياً لرسالتين عن البتولية موجهة إلى المتبتلين من الجنسين ، كملحق للعهد الجديد اليونانى ، وقد أيّد المكتشف نسبة الرسالتين إلى اكليمندس الرومانى . ودافع كثير من الدارسين الكاثوليك عن نسبتهما لاكليمندس غير أن غالبية الدارسين البروتستانت يرفضون ذلك ، للأسباب(٥٠) :

١ـــ صمت يوسابيوس عن ذكرهما .
٢ـــ نغمتهما النسكية تناسب النصف الأول من القرن الثالث(٥١) .
٣ـــ تختلف الرسالتين هنا عن الرسالة الأصلية لاكليمندس فى طريقة الاقتباس من العهد الجديد ، كما أن الاقتباس هنا من العهد القديم أقل .

ملامحهما ومحتوياتهما

١ـــ يبدو أن الرسالتين فى الأصل عمل واحد ، مع الزمن قُسم إلى جزئين .

٢ـــ البتولية حياة يعيشها الانسان بروحه فى الداخل كما بجسده ، وليست لقب شرف أو مجرد إسم يحمله البتول :

[كل البتوليين من الجنسين ... يلتزمون كل واحد فواحد منهم أن يكونوا متأهلين لملكوت السموات فى كل شيء ...

الإسم وحده بغير الأعمال لا يُدخل ملكوت السموات ، لكن إن كان الإنسان بحق مؤمناً ، مثل هذا يخلص ...

لا يقدر الإنسان أن يخلص لمجرد تلقيبه بتولاً وهو خالٍ من الأعمال الممتازة الكاملة التى تليق بالبتولية . فقد دعى ربنا مثل هذه البتولية جهلاً كما جاء فى الإنجيل (مت ٢٥ : ٢) . وإذ لم تحمل زيتاً ولا نوراً تُركت خارج ملكوت السموات ، وطُردت من فرح العريس ، وحُسبت ضمن أعدائه . مثل هؤلاء الأشخاص لهم فقط مظهر مخافة الله ولكنهم منكرون قوتها (٢ تى ٢ : ٥)[٥٢]] .

٣ـــ الحياة البتولية هى عمل إلهى فائق للطبيعة ، تدخل بنا إلى الحياة الملائكية ، ويختبر أصحابها الحياة السماوية ، وذلك بتقديس روح الله[٥٣] .

٤ـــ الحياة البتولية ليست هروباً من العالم لأجل الراحة الزمنية ، إنما هى دخول فى معركة الصليب حيث يجاهد البتول بروح الرب ضد الأنا وضد الشيطان ومحبة العالم وشهوات الجسد .

[إن كنت تتوق إلى هذا كله اغلب الجسد ، اهزم شهوات الجسد ،

اغلب العالم فى روح الله ،

انتصر على الزمنيات الباطلة التى تعبر وتشيخ وتفسد وتنتهى ،...

اغلب الشيطان ، بيسوع الذى يقويك ، بسماعك كلماته وتمتعك بالأفخارستيا فى الله .

احمل صليبه واتبعه ، ذاك الذى يطهرك[٥٤] ...]

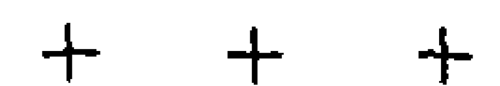
٥ـــ يقدم الكاتب نصائح وارشادات عملية تخص النساك ، منها :

(أ) عدم الخلطة بين النساك والبتوليين من الجنسين معاً[٥٥] ، خاصة عدم المزاح والأحاديث التافهة ، والهروب من أماكن الشر[٥٦] .

(ب) الالتزام بالعمل ، إذ لا يسمح للكسالى حتى أن يأكلوا خبزاً(٥٧) .

(جـ) يخدمون لكن دون حب التعليم(٥٨) ، ويهتمون بالفقراء والمرضى مع عدم تجاهل العبادة والحياة الروحية الداخلية(٥٩) .

٦ــ تظهر أهمية الرسالتين إذ تقدمان لنا أقدم وثيقتين كمصدر للتاريخ النسكى المسيحى الأول وقوانين الحياة النسكية وعاداتها .



٣ــ القوانين الرسولية The Apostolic Institutions

قدمت لنا فى الكتاب الثامن ما يُسمى بالليتورجيا الاكلمندية The Clementine Liturgy . كان الدارسون حتى القرن السادس عشر يعتقدون أنها عمل أصيل من وضع القديس اكليمندس ، وقد ادركوا بعد ذلك انها ليتورجيا شرقية من القرن الرابع .

سبق لى الحديث عنها وترجمة نصها إلى العربية(٦٠) .

+ + +

٤ــ الاكلمنضيات المزورة ، وتسمى « كلمنتينا » أو سيدو ــ كلمنتينا Pseudo-Clementina .

وهى مجموعة كتابات مزورة متشابهة إلى حد ما ، لكنها غير متجانسة معاً ، منسوبة خطأً للقديس اكليمندس .

كتبها جماعة من الأبيونيين(٦١) الهراطقة ، وهم شيعة متطرفة من بعض اليهود المتنصرين ، يحملون عداء للرسول بولس بكونه رسول الأمم ... أو على الأقل يتجاهلون خدمته وكرازته . لذلك جاءت هذه الكتابات مليئة بعبارات التمجيد للرسوليين بطرس ويعقوب أخى الرب ، بكونهما رسولىّ الختان . كما ربطوا بين الرسول بطرس وسيمون الساحر عقب اللقاء الذى تم بينهما فى السامرة حوالى

عام ٣٧ م ويصورون الرسول أنه أخذ يتعقبه من سوريا حتى وصل الى روما عاصمة الامبراطورية وهناك أماته بصلاته(٦٢) .

أما عن أفكار هذه الجماعة فهما فريقان بين متزمت ومعتدل، الأول يحفظ ناموس موسى حفظاً حرفياً ويقدسون السبت ويعتبرون الختان لازماً للخلاص. أما الفريق الآخر فيحفظون ناموس العهد القديم، لكنهم لا يلزمون به الجميع ولا يتعصبون ضد من يرفضون حفظه. كانوا يحتفلون بيوم الأحد ولا يعترضون على آلام السيد المسيح، لكنهم يشتركون مع الفريق الأول فى إنكار لاهوته وأزليته(٦٣) .

أما أهم كتابات الاكلمنضيات المزورة فهى :

(أ) **العظات** Homilies : عبارة عن عشرين عظة أبيونة ؛ تتحدث عن السيد المسيح كنبى ومعلم وليس مخلصاً ، وتنكر لاهوته .

(ب) **المدركات** Recognitions : فى عشرة كتب وصلت إلينا كاملة فى ترجمة لاتينية لروفينوس ، وقد وضحت فيها عقيدة الثالوث القدوس . يرى البعض انه قد وُضعت العبارة الخاصة بها بواسطة المترجم روفينوس ، وإن كان ليس من السهل التأكد من ذلك ، لذلك يظن البعض أن كاتبها مستقيم الرأى وليس هرطوقياً ، وأن العبارات الهرطوقية جاءت جزافاً من غير عمد .

(جـ) **الخلاصة** Epitome : وهى مقتطفات باليونانية بغير دقة أو اكتراث منقولة عن العظات Homilies مضاف إليها مقتطفات عن رسالة اكليمنضس ليعقوب عن « استشهاد اكليمنضس Martyrium Clementis » بواسطة Symeon Metaphrastes الخ ...

(د) كتابات اخرى لها ذات الصبغة منها مقتطفان عن المدركات Recognitions و « العظات Homilies » وُجدت باللغة العربية .

كما نسبت له خمسة رسائل منها رسالتان موجهتان الى يعقوب أخ الرب ، يضمهما البعض إلى الاكلمنضيات المزورة . فى الرسالة الأولى يظهر الكاتب

رسالة اكليمندس بيد بطرس الرسول كخلف له على كرسى روما مع توجيهات خاصة بالتنظيمات الكنسية . والثانية تشير إلى خدمة الأفخاريستيا وأثاث الكنيسة وبعض الأمور الطقسية[٦٤] .

ملامحها ومحتوياتها

١ـــ احتلت قصة عائلة اكليمندس مركزاً هاماً فى العظات كما فى المدركات ، وهى تتلخص فى أن سيدة تدعى ماتلدا زوجة فوستوس ووالدة ثلاثة أشخاص : فوستينوس وفوستنيانوس واكليمندس تركت روما متجهة إلى أثينا وفى صحبتها الابنان الكبيران ، وقد اختفى الثلاثة . قام فوستوس بالبحث عنهم فاختفى هو بدوره . بقى اكليمندس بمفرده ، فجال فى العالم يبحث عن الحق فوجد القديس بطرس . التصق به ودخل معه فى مناظرات حيث كان يسأله عن الحق ... وقد اكتشف بعدئذ بالتتابع والدته فأخويه ثم والده . وربما لهذا السبب دعيت أحد هذه الأعمال بالمدركات .

٢ـــ بينما نُسبت الرسالتان عن البتولية للقديس اكليمندس ، حيث يشبه البتوليين بالملائكة السمائيين ، وتعتبر البتولية هبة إلهية تمس الحياة الداخلية كما الجسد ، إذ بالعظات المنسوبة لذات القديس تحمل اتجاها أبيونياً ، إذ تهاجم الأبيونية الحياة البتولية كما ذكر القديس أبيفانيوس[٦٥] . فقد تطلعت العظات إلى الحياة العزوبية كأمر مشكوك فيه . لذا تحث الشباب والمتقدمين فى السن على الزواج تحفظاً من نيران الشهوة ، حتى لا يدخل وبأ إلى الكنيسة خلال الزنا والنجاسة . لقد عاش بطرس نفسه مع زوجته[٦٦] .

٣ـــ جاء فى الاكلمنضيات المزورة بعض طقوس للتطهير منسوبة للقديس بطرس مثل الامتناع عن العلاقات الجسدية بين الزوجين فى فترة الطمث[٦٧] ، والاستحمام بعد العلاقات الجسدية .

٤ـــ تقدم لنا هذه الاكلمنضيات القديس بطرس كانسان نباتى ، إذ يقول :

[أعيش على الخبز والزيتون فقط ، ونادراً ما آكل خضروات ... فإن نفسى تسبح فى الأعالى فى الأبديات ولا تتطلع إلى السفليات(٦٨)] .

ينظر الكاتب الى أكل لحوم الحيوانات انه ضد الطبيعة ، أدخله إلى البشرية العمالقة الذين وُلدوا من الملائكة الساقطين(٦٩) .

٥ـ حملت العظات مفاهيم غير مسيحية خاطئة منها :

(أ) ان الناموس سُلم شفاها من موسى إلى السبعين كليماً ، وبعد موته كُتب ، لكنه ضاع فأعيد كتابته لذا يحتاج إلى تنقية من بعض الأخطاء(٧٠) .

(ب) لم يهتم الكاتب بدور السيد المسيح الخلاصى ، ورفض فكرة سقوط آدم ، إذ حسب الأخير نبياً حقيقياً يعرف كل شيء ، قدم هذه المعرفة لأولاده وعلمهم أن يخدموا الله فى كل شيء ، وبهذا أسس للبشرية كلها قانوناً أبدياً(٧١) . وإذ تجاهلت البشرية ذلك احتاجت إلى موسى ويسوع ليحققا ما سبق أن قام به آدم . لهذا يمكن للانسان أن يتتلمذ على الواحد دون حاجة إلى الآخر ، مادام يمارس عملياً ما يعلمه ولا يحمل كراهية ضده ؛ وكأنه وضع موسى ويسوع على قدم المساواة ... لأن همه الأول هو « النشاط العملى للإرادة » لا الإيمان بالخلاص . تجاهل بنوة السيد المسيح الإلهية ، وتطلع إلى كلمات يسوع على الصليب للغفران للمسيئين إليه مجرد مثال تتمثل به وليس عملاً خلاصياً(٧٢) .

هذا الفكر يحمل إتجاها يهودياً ، لذا يرى كثير من الدارسين أن الكاتب يهودى قبل المسيحية ، فقد هاجم تعدد الآلهة وعبادة الأوثان والتنجيم ، لكنه لم يحمل فكراً مسيحياً حقيقياً .

+ + +

1 - Irenaeus: Adv. Haer 3:3. 3.
2 - Eus: H,E. 4: 23.
3 - Eus. H.E. 3: 16, Jerome: De vir Illus., c. 15.
4 - Schaff: His. Of Christian Church, vol. 2.

القمص شنودة السريانى (نيافة الأنبا يؤانس) : الكنيسة فى عصر الرسل ٣٥١ ، ٣٥٢ ،

5 - Com. in Joan 1: 29, 6: 36.

6 - H.E. 3: 15.
7 - De vir. Illus, ch. 15.
8 - ANF vol. 1, p. 1.
9 - His Rom. 67: 4.

١٠ــ يوجد كتاب مسيحيون من أصل أممى يجيدون معرفة العهد القديم وفهمه ، مثل القديس يوستين الأممى المولد والثقافة .

11- Bishop Lightfood: The Apostolic Frs. (Clement of Rome, vol, 2.)

كان بعض العبيد على جانب من الثقافة والذكاء ، ومن أمثلتهم هرماس صاحب كتاب « الراعى » ، وكالستوس أسقف روما ، كلاهما من العبيد المحررين « الكنيسة فى عصر الرسل » ص ٥٣٠ .

12- H.E. 3: 15, 16, 17.
13- De vir. Illus, ch 15.
14- H.E. 3: 34.
15- Rufinus: Epilogue to Pamphilus.
16- Butler's lives of the Saints, vol. 4, p. 406.

١٧ــ راجع يسطس الدويرى : موجز تاريخ المسيحية ، الأسقف اسيذروس : الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة .

١٨ــ مثل رسائل القديس أغناطيوس أسقف أنطاكية ، وبوليكربس أسقف أزمير ، وديوناسيوس الكورنثى ، وسرابيون الخ ...

١٩ــ للمؤلف : الآباء الأولون : ٣ رسالة اكليمنضس الأولى (ترجمة شعبية غير دقيقة) .

20- cf. Quasten, Potrology, vol 1; Maxwell, p. 20.

21- Ch. 6: 1,2.

22- Ch. 32: 4.

23- Ch. 31: 2.

24- Ch. 33: 1, 2.

25- Ch. 34: 1.

26- Ch. 55: 3.

27- Ch. 16: 1.

28- Ch. 49: 4, 6.

29- Ch. 37: 4.

30- Ch. 46: 7.

31- Ch. 42; 44: 1-3.

32- De Resurr. 13.

33- against Celsus 4: 72.

34- Hexaen. 5: 2, 79.

35- G.J.H. Robes: The New Ms, of Clement of Rome, in the Presb. Quarterly and Princeton Review, N.Y. 1877, p. 343.

36- Gregory Dix: The Shape of the Liturgy, p. 102.

37- Ch. 40.

38- Ch. 40: 5; 41: 1.

39- Ch. 44.

40- Ch. 36.

41- Ch. 59-61.

42- E. von der Goltz: Das Gebt in dêr abtesten Christenheit, 192-207.

43- Ch. 1: 1.

٤٤ــ إيبارشية قديمة (هيراقليا) بمكدونية ــ وبعد ذلك ــ نيقوميديا .

٤٥ــ للمؤلف : القديس اكليمندس الرومانى ، ١٩٧٤ ، ص ٧٢ــ٧٦ .

46- Ch. 8: 1.

47- Ch. 14: 1.

48- Ch. 14: 2.

49- Ch. 7: 6.

50- Prof. Riddle: ANF, vol. 8, p. 53.

51- Quasten: Patrology, vol. 1, p. 58.

53- Ep. 1: 4.

54- Ep. 1: 5.

55- Ep. 1: 10; 2: 1-15.

56- Ep. 2: 6.

57- Ep. 1: 10.

58- Ep. 1: 11.

59- Ep. 1: 12, 13.

٦٠ــ للمؤلف : المسيح فى سرّ الأفخارستيا ، طبعة ١٩٧٣ ، ص ٦٢٠ــ٦٥٣ .

٦١ــ يختلف الدارسون فى أصل الأبيونيين Ebionaioi ، فينسبه البعض الى أبيون مؤسسهم فى القرن الأول ، وهذا قول ضعيف ، ويقول آخرون أن الكلمة مشتقة عن « أبيونيم » العبرية وتعنى « المساكين » وقد دعوا أنفسهم هكذا

يقول الرب « طوبى للمساكين » لو ٦ : ٢٠ ، مت ٥ : ٣ ، أو دعاهم المسيحيون هكذا لأنهم مساكين فى الإيمان .

٦٢ــ ظن البعض مثل Baur أنهم قصدوا بسيمون الساحر « بولس الرسول » لكن هذا الرأى مستبعد .

٦٣ــ راجع : أنبا غريغوريوس : مذكرة عن الابيونية لطلبة الكلية الاكليريكية ، أنبا يؤانس (القمص شنودة السريانى) : الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل ص ١٣٢ ، ٢٦٦ .

A.N.F. vol., 8, p. 69-71; Schaff, vol. 2, 618. 435.

64- Schaff, vol. 2, p. 650.

65- Adv. Haer. 30: 18: 2-3.

66- Hom. 3: 68; 13: 1.

67- Recog. 6: 10: 11; Hom. 11: 28, 30.

68- Hom. 12-6; Recog. 7: 6.

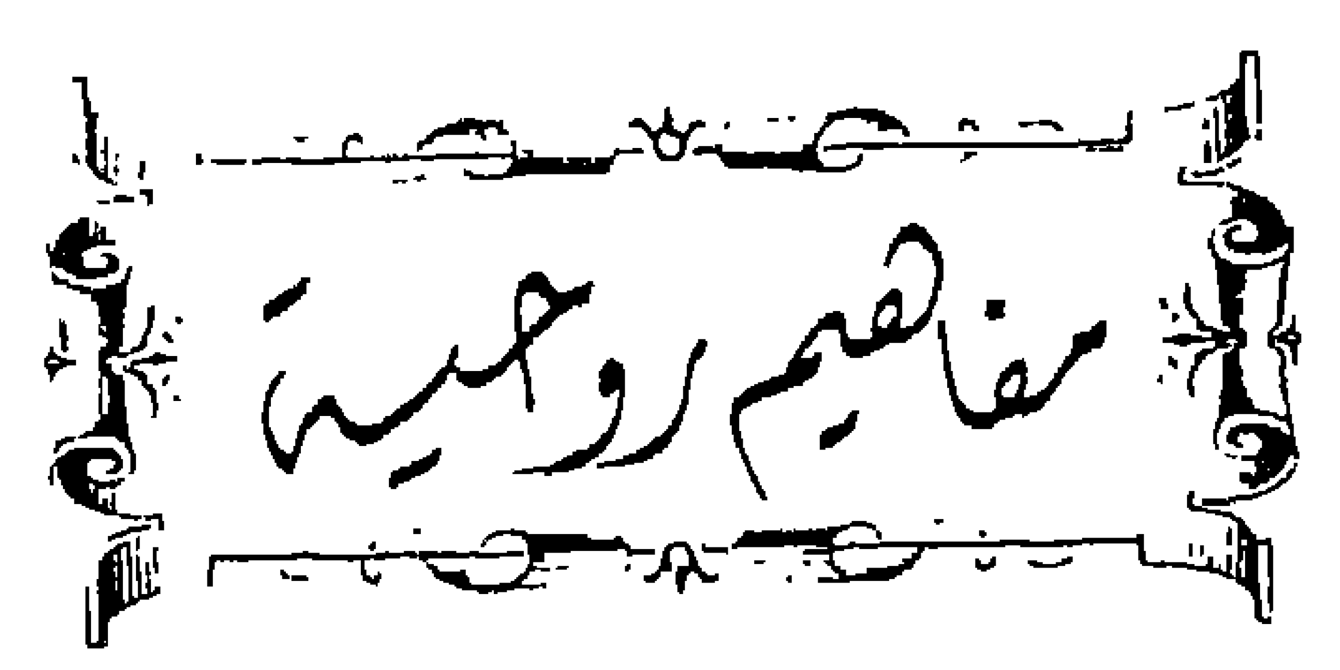
69- Hom. 8: 15.

70- Hom. 2: 38; 3: 47; 18: 20.

71- Hom. 8: 10.

72- Hom. 11: 20.

\+ + +



رسالة اكليمندس الأولى

١ ــ **التأمل فى الصليب** : [لنركز أنظارنا على دم المسيح ؛ متحققين كم هو ثمين لدى أبيه ! إذ أراقه قدم نعمة التوبة للعالم كله !] ٧ : ٤ .

٢ ــ **الحاجة إلى التوبة** : [إنه يود أن يقدم فرصة للتوبة لكل محبوبيه ، ويثبتها بإرادته القادرة] ٨ : ٥ . [احترزوا أيها الأحباء لئلا يصير كثرة لطفه دينونة لجميعنا ، ذلك إن لم نسلك كما يليق به ، ونتمم بفكر واحد الأمور الصالحة المرضية فى عينيه] ٢١ : ١ .

٣ ــ **الثقة فى المواعيد الإلهية** : [ليتنا لا نتردد ، ولا نتشكك من جهة عطاياه الثمينة المجيدة] ٢٣ : ٢ . [مباركة ومدهشة هى عطايا الله أيها الأحباء] ٣٥ : ١ .

٤ ــ **ترقب وعده بالقيامة** : [على هذا الرجاء تلتصق نفوسنا بالأمين فى مواعيده ، العادل فى أحكامه] ٢٧ : ١ .

٥ ــ **شهادتنا لله بسلوكنا** : [فليشهد الآخرون عن أعمالنا الصالحة ، كما شهدوا لآبائنا الصديقين] ٣٠ : ٧ .

٦ ــ **نشكر الله على عمله معنا وفينا** : [يليق بنا أن نشكره مادام كل ما فينا هو منه] ٣٨ : ٤ .

٧ ــ **الاهتمام بدراسة الكتاب المقدس** : [انكبوا على دراسة الكتب المقدسة التى هى بحق منطوقات الروح القدس] ٤٥ : ٢ .

٨ ــ **الاهتمام بالحب الأخوى** اللائق والمقدس والعملى .

[لننطرح قدام الرب ونسأله بدموع أن يجعلنا رحومين ، ويصالحنا معه ، ويعيدنا إلى ممارسة الحب الأخوى الذى كان لنا ، اللائق والمقدس .

إنه باب البر الذى يفتح الطريق للحياة ، كما هو مكتوب : « افتحوا لى أبواب البر ، أدخل فيها وأحمد الرب . هذا هو باب الرب والصديقون يدخلون فيه » مز ١١٨ : ١٩ ، ٢٠ .

الحب يقود إلى أعالى لا يُخبر بها !
الحب يوّحدنا مع الله ، إذ « المحبة تستر كثرة من الخطايا » ١ بط ٤ : ٨ ؛ أم ١٠ : ٢ ...

بالحب يصير مختاروا الله كاملين ، وبدونه ليس شىء يرضى الله .
بالحب يأخذنا الرب إليه .
بالحب يحملنا يسوع المسيح الذى أراق دمه عنا بإرادة الله ، وأعطانا جسده عن جسدنا ، ونفسه عن نفوسنا .

انظروا أيها الأحباء ، كم هو عظيم ــ الحب ــ ومدهش ! كماله لا يمكن وصفه !...
يجلس الكاملون فى الحب بالنعمة الإلهية فى مجالس القديسين ، ويظهرون عند اعلان ملكوت المسيح] ٤٨ــ٥٠ .

٩ ــ **اهتمامنا بالخطاة** : [لنصلِ نحن أيضاً من أجل الذين ارتكبوا أية خطية ، حتى إذ نعاملهم بالوداعة والاتضاع يمتثلون لا لنا بل لإرادة الله . بهذه الكيفية يكون ذكرنا لهم مثمراً وكاملاً وبلطف فى صلواتنا لله وقدام القديسين] ٥٦ : ١ .

١٠ــ **الهروب من الكبرياء** : [من الأفضل أن تكونوا صغاراً ومكرمين فى قطيع المسيح ، عن أن تكونوا مشهورين وخارج رجائه] ٥٧ : ٢ .

+ + +

الأعمال المنسوبة للقديس اكليمندس

(أ) رسالة اكليمندس المسماة بالثانية

١ــ اهتمامنا بالمخلص والخلاص :

[الذين ينصتون إلى هذه الأمور (الخلاص) فى استهتار كأنها ليست بذى

شأن يخطئون ، غير عالمين من أى حال نحن دُعينا ؟ ومن الذى دعانا ؟ وإلى ماذا دعانا ؟ وكم من الآلام احتملها يسوع المسيح من أجلنا ؟

ماذا إذن نرد له ؟
أو أى ثمر يلزمنا أن نقدمه مقابل عطيته لنا ؟!
حقا ما أعظم المقدسات التى نحن مدينون له بها !
فقد أنعم علينا بالنور ،
وكأب دعانا أولاداً ،
وإذ أوشكنا على الهلاك خلصنا !...

لم تكن حياتنا إلا موتاً ؛ اكتنفنا العمى ، وغطت ظلمة كهذه بصيرتنا ، فتقبلنا البصيرة ، وبإرادتنا ألقينا عنا السحابة التى غشت علينا ...

دعانا حيث لم نكن ، وأرادنا أن نوجد من العدم] ١ ، ٢ .

٢ــ شهادتنا للمخلص :

[كيف نتعرف به ؟ بالعمل حسب قوله ، وعدم عصياننا وصاياه ؛ بتكريمنا له لا بشفاهنا فحسب ، بل وبكل قلوبنا وذهننا ، إذ يقول فى إشعياء : « هذا الشعب اكرمنى بشفتيه ، وأما قلبه فأبعده عنى » إش ٢٩ : ١٣ ؛ مت ١٥ : ٨ ؛ مر ٧ : ٦ .

إذ ليتنا لا نقف عند مجرد دعوته « يارب » ، فإن هذا لا يخلصنا ؛ إذ يقول : « ليس كل من يقول يارب يارب يخلص ، بل الذى يفعل البر » مت ٧ : ٢١ .

لهذا فلنعترف به يا إخوة بأعمالنا ، بحبنا بعضنا لبعض ، بامتناعنا عن الزنا والنميمة والحسد ، بل نكون أعفاء ، رؤوفين وصالحين] ٣ ، ٤ .

٣ــ ترقبنا الأبدية :

[إذ نحن مقيمون مؤقتاً فى هذا العالم الحاضر ، فلنتمم إرادة الذى دعانا ، ولا نخاف الرحيل من هذا العالم] ٥ : ١ .

[بالحب وعمل البر نتوقع من ساعة إلى ساعة ملكوت الله ؛ فإننا لا نعرف يوم ظهور الله] ١٢ : ١ .

[لو أعطى الله الأبرار المكافأة فى الحال ، لصار تدريبنا تجارة وليس براً . فإننا نظهر أبراراً بينما نحن نسعى لا من أجل الصلاح بل من أجل الرب] ٢٠ : ٤ .

٤ــ لنتــب !

[لنتب مادمنا على الأرض ، فإننا طين فى يد فنان !] ٨ : ١ .

[لنسلم أنفسنا لله طبيبنا ، مادام لنا فرصة الشفاء ، ولنرد له المكافأة . كيف ؟ بالتوبة من قلبٍ خالص] ٩ : ٧ ، ٨ .

٥ــ الخير مصدر السلام :

[إن كنا نجاهد فى صنع الخير يتبعنا السلام] ١٠ : ٢ .

٦ــ تمتعنا بالحياة الكنسية المقدسة :

[لنختر أن ننتسب لكنيسة الحياة لكى نخلص ...

لقد أُعلنت الكنيسة ــ التى هى روحية ــ فى جسد المسيح ...

إن قلنا إن الجسد هو الكنيسة والروح هو المسيح ، فإن من يفسد الجسد يكون قد أفسد الكنيسة ؛ مثل هذا ليست له شركة فى الروح الذى هو المسيح .

مثل هذا الجسد قادر أن يشترك فى حياة عظيمة هكذا ، وفى الخلود ، إن رافقه الروح القدس] ١٤ .

٧ــ الصــلاة :

[الصلاة بضمير صالح تخلص من الموت] ١٦ : ٤ .

\+ \+ \+

(ب) الرسالة الأولى عن البتولية

١ــ التأهل للملكوت :

[لا يُقتنى ملكوت السموات بفصاحة الكلام أو الشهرة ، ولا بالمركز الإجتماعى أو النسب ، ولا بالجمال أو القوة ، ولا بطول الحياة ، إنما يُقتنى بقوة الإيمان عندما يُظهر الانسان عمل الإيمان] ٢ .

٢ــ البتولية حياة ايمانية عملية

[المتبتلون هم مثل رائع للمؤمنين وللذين سوف يؤمنون .

الاسم وحده بغير الأعمال لا يُدخل ملكوت السموات ، لكن إن كان الانسان بحق مؤمناً ، فمثل هذا يخلص ...

لا يقدر الانسان أن يخلص لمجرد تلقيبه بتولاً وهو خالٍ من الأعمال الممتازة الكاملة اللائقة بالبتولية ...] ٣ .

[من التهبت نفسه بهذه الأمور العظيمة السامية (مخافة الله) ، ينسحب فاطماً نفسه عن العالم كله ، **لكى يختبر حياة إلهية سماوية على مثال الملائكة القديسين ، فى عمل طاهر مقدس ، بتقديس روح الله** (٢ تس ٢ : ١٣) ، خادماً ضابط الكل يسوع المسيح ، من أجل ملكوت السموات .

على هذا الأساس يفطم نفسه عن كل شهوات الجسد ... مشتاقاً إلى الرجاء الموعود به والمهيأ والمذخر فى السماء (كو ١ : ٥) بواسطة الله ... فيوهب للبتوليين مكاناً مرموقاً فى بيت الله ؛ هذا أفضل له من البنين والبنات (إش ٥٦ : ٤ ، ٥) ، وأفضل (مما يناله) الذين يقضون حياتهم الزوجية فى قداسة ولم يكن مضجعهم دنساً (عب ١٣ : ٤) . يعطى الله البتوليين ملكوت السموات كما لملائكة قديسين] ٤ .

[أتريد أن تكون بتولاً ؟...

إن كنت تتوق إلى هذا اغلب الأسد ، اهزم شهوات الجسد ،

اغلب العالم فى روح الله ، انتصر على الزمنيات الباطلة التى تعبر وتشيخ وتفسد وتنتهى ،

اغلب التنين (رؤ ١٢ : ٧) ، اغلب الأسد (١ بط ٥ : ٨) ، اغلب الحية (٢ كو ١١ : ٣) ، اغلب الشيطان بيسوع المسيح الذى يقويك ، بسماعك كلماته ، وتمتعك بالأفخارستيا فى الله .

احمل صليبك واتبعه (مت ٢٦ : ٢٤) ، ذاك الذى يطهرك ، يسوع المسيح ربك] ٥ .

٣ــ الصلاة لارسال فعلة للحصاد :

[فلنطلب من رب الحصاد أن يرسل فعلة لحصاده (مت ٩: ٣٧، ٣٨)، يفصلون كلمة الحق باستقامة، فعلة بلا لوم (٢ تى ٢: ١٥)، فعلة أمناء، فعلة يصيرون نوراً للعالم (مت ٥: ١٤)، فعلة يعملون لا للطعام البائد بل للطعام الباق للحياة الأبدية (يو ٦ : ٢٧) ، فعلة كالرسل ، يمتثلون بالآب والابن والروح القدس المهتمين بخلاص البشر ...] ١٣ .

(جـ) الرسالة الثانية عن البتولية

عدم الخلطة بين النساك والناسكات :

[نحن بمعونة الله نسلك هكذا :

لا نسكن مع متبتلات ، وليس لنا شركة معهن فى شىء .

لا نأكل مع متبتلات ولا نشرب معهن]ر ١ .

[لا يكون بيننا إمرأة ، سواء كانت عذراء صبية أو إمرأة متزوجة ، ولا إمرأة مسِّنة ، ولا من قدمت نفسها نذراً ، سواء كانت مسيحية أو وثنية] ٢ .

[طوبى للانسان المتزن ، الحذر فى كل شىء من أجل النقاوة] ٥ .

[ليتنا لا نمكث باستمرار مع نساء أو عذارى ، فإن هذا غير مفيد للذين يرغبون أن يمنطقوا أحقاءهم (لو ١٢ : ٣٥) . فإننا نطالب بحب الأخوات بكل نقاوة وعفة ، وبكل ضبط فكر فى مخافة الله ، دون أن نجتمع دوماً بهن ، ولا أن نستأنس بهن فى أية ساعة] ٨ .

+ + +

الاكليمنضيات المزورة

١ــ الانسان صورة الله

[الانسان هو صورة الله . من يريد أن يكون تقياً نحو الله فليفعل صلاحاً مع الانسان ؛ لأن جسد الانسان يحمل صورة الله . لكن ليس الكل يحمل شبهه ، إنما **العقل النقى فى النفس الصالحة يحمل شبهه** . على أى الأحوال ، إذ نعرف أن الانسان على صورة الله ومثاله ، نخبركم أنه يجب أن تكونوا أتقياء نحو الانسان ، فيُحسب ذلك **مقدماً لله، الذى** على صورته الانسان] عظة ١١ : ٤ .

٢ــ حرية الارادة

[للعقل الحرية أن يوجه حكمه إلى أى جانب يريده ، وأن يختار الطريق الذى يوده ، فمن الواضح أن للانسان حرية الخيار] المدركات ٥ : ٦ .

[اخبرونى، كيف يدين الله بالحق كل أحد حسب أعماله، إن كان البشر ليس فى قدرتهم أن يفعلوا شيئاً؟! لو أخذنا بهذا الرأى (القضاء والقدر) لاقتلعنا كل شيء من جذوره؛ وحُسب باطلاً أن نطلب اتباع الصلاح، بل وباطلاً يحكم قضاة هذا العالم بالقوانين ويدينون الذين يخطئون، ماداموا ليس فى قدرتهم ألا يخطئوا، وتصير قوانين الأمم الموضوعة لمعاقبة الأعمال الشريرة باطلة] المدركات ٣ : ٢٢.

٣ــ العمــاد

[يأمر الله كل أحد يتعبد له أن يُختم بالعماد ؛ فإن رفضت ذلك واطعت إرادتك الذاتية عوض إرادة الله ، بلا شك أنت تقاوم إرادة الله وتعاديها] المدركات ٦ : ٨ .

[اقتربوا (إلى المعمودية) إن كنتم أبراراً أو أشراراً . فإن كنت باراً ينقصك مجرد العماد للخلاص . وان كنت أثيماً فتعال لكى تنال العماد لمغفرة الخطايا التى سبق أن ارتكبتها فى جهالة ...

إن كنت باراً أو أثيماً إسرع لكى تولد لله ، ففى التأخير خطر ، لأن موعد الموت المعين غير مُعلن . اظهر بحسن صنعك امتثالك بالآب الذى يلدك من الماء .

كمحب للحق كرِّم الله الحقيقى كأبيك . وتكريمك له هو أن تعيش كما هو ، تعيش باراً . فإن إرادة ذاك البار أنك لا تخطىء] عظة ١١ : ٢٧ .

[سواء كنت باراً أو أثيماً ، فالمعمودية ضرورية بالنسبة لك فى كل الأحوال . فبالنسبة للبار يتحقق الكمال فيه ، ويولد ثانية لله . وبالنسبة للشرير ، يُمنح له العفو عن الخطايا التى ارتكبها فى جهالة . إذن ليسرع الكل إلى الولادة الثانية من الله دون تأخير ، لأن نهاية حياة كل أحد غير أكيدة] المدركات ٦ : ٩ .

[ميلادنا الأول يتحقق خلال نار الشهوة ، ولذلك بتدبير إلهى يأتى الميلاد الثانى بواسطة الماء الذى يطفىء طبيعة النار ؛ وإذ تستنير النفس بالروح السماوى يُطرد الخوف من الميلاد الأول ، بشرط أن تعيش لأجل الزمن الآتى (الحياة الأبدية) ، فلا تطلب قط أية ملذات لهذا العالم ، فتحسب هنا زائراً وغريباً ولك مواطنة فى المدينة الأخرى] المدركات ٩ : ٧ .

٤ـ الذبائح الحيوانية

[لا يُسر (الله) بالذبائح، يظهر هذا من أن الذين يأكلونها ما أن يذوقونها حتى يشتهونها، ويصيرون لها مقبرة، فيُسمون «مقبرة الشهوات»] عظة ٣ : ٤٥ .

كأن الكاتب يقول بان الذبائح الحيوانية حملت رمزاً للذبيحة الخلاصية الفريدة ، أما من يتمسك بها فى حرفيتها فلا ينال شيئاً ، بل بالعكس عوض تمتعه بالمصالحة مع الله يأكل الذبيحة بشهوة ، وتصير احشاؤه مقبرة تدفن فيها الذبيحة !

٥ـ الحق والحب

الحق ليس مجرد معرفة ذهنية ، إنما هو اعلان إلهى ، لذا يرتبط الحق بالحب . من يحمل حباً نحو الله إنما يتأهل للاعلان الإلهى والتمتع بمعرفة الحق .

[لقد حجب الله الحق بستائر حبه ، حتى يمكن فقط لمن يقرع باب حبه الإلهى أن يبلغ إليه] المدركات ٥٨ .

٦ـ الحق وامكانية الانسان

لا يستطيع الانسان بقدراته أن يتعرف على الحق دون العون الإلهى .

[كل الذين يبحثون عن الحق ، متكلين على ذواتهم حاسبين أنهم قادرون على العثور عليه ، يسقطون فى فخ . هذا ما عانى منه كل من فلاسفة اليونان والعقلاء جداً من البرابرة] عظة ٢ : ٧ .

٧ـ المعرفـــة

[هى باب الحياة للذين يدخلون منها ، هى طريق الأعمال الصالحة للذاهبين إلى مدينة الخلاص] المدركات ٥ : ٥ .

[إذ يبتهج (لانسان) بغنى الحكمة التى يجدها، يشتاق بنهم أن يتمتع بها، مبتهجاً بممارسة الأعمال الصالحة، مسرعاً نحو اقتناء الدهر الآتى، بقلب نقى وضمير طاهر، حيث يكون فى قدرته رؤية الله ملك الكل] المدركات ٥ :٧.

٨ــ الحاجة إلى تعاليم صادقة

[كل من يتوقع دينونة الله ناظر الكل ، يصير له دافع أعظم نحو الفضيلة . أما (إذا ارتبط ذلك) بتعليم صادق ، فانه (التعليم) يسحبه من العقوبة الأبدية ، ويهبه بركات أبدية غير منطوق بها ينالها من قبل الله] عظة ٤ : ١٤ .

٩ــ المخافة الإلهية

[خف الله فإنه عادل ؛ لكن سواء كنت تخافه أو تحبه يلزمك ألا تخطىء ...

من يخافه يستطيع أن يقتنى الغلبة على الشهوات الشريرة ، ولا يشتهى ما للغير ، بل يمارس الحنو والوقار ويعمل بعدل !] عظة ١٧ : ٧ .

[على أى الأحوال ، من النافع أن نخافه وحده ، ليس كظالم بل بكونه الله البار . فإن الانسان يخاف من هو ظالم لئلا يهلكه بالظلم ، ويخاف البار لئلا يخطىء فيُعاقب . فبخوفك إياه تتحرر من كل المخاوف الضارة . فإنك ما لم تخف الرب الواحد خالق الكل ، تصير عبداً لكل الشرور التى تضرك ، أقصد تصير عبداً للشياطين والأمراض (الروحية) وكل ما يمكنه أن يضرك بطريقة أو أخرى] عظة ١٠ : ٥ .

١٠ــ البــر

يلزمنا الا ننشغل ليس فقط بالأمور الزمنية وإنما حتى بالتعرف على الأسرار السماوية ، إذ يليق بنا أن نهتم أولاً بخلاص نفوسنا ، فنطلب ملكوت الله وبرّه أولا ...

[واجبنا الأول نحن جميعاً أن نطلب برّ الله وملكوته ؛ بره لكى نتعلم أن نعمل باستقامة (ببر) ؛ وملكوته لكى نعرف المكافأة المعدة من أجل العمل والصبر ؛ فى ذلك الملكوت ينال الصالحون الأبديات ، بينما ينال الذين مارسوا ما يخالف إرادة الله العقوبات عن كل عمل ...

لذلك ، قبل كل شيء فلنطلب هذا : ماذا نعمل ؟ وكيف نمارسه ؟ حتى نتأهل لنوال الحياة الأبدية] المدركات ٢ : ٢٠ .

[إن اقترح علينا ذهننا أن نطلب معرفة الأسرار الخفية قبلما نطلب أعمال البر ، فلنرد عقلنا إلى صوابه ، فإنه إذ يفكر حسناً نتأهل لنوال الخلاص . عندئذ إذ نذهب إلى الله فى طهارة ونقاوة تمتلىء بالروح القدس ، ونعرف السرائر الخفية كلها دون إثارة تساؤلات . أما إذا قضى الانسان حياته كلها فى السؤال عن هذه الأمور ، فإنه ليس فقط يعجز عن نوالها ، وإنما أيضاً يشغل نفسه بأخطاء عظيمة ، لأنه لم يدخل أولاً طريق البّر ، مجاهداً من أجل بلوغ ميناء الحياة] المدركات ٢ : ٢١ .

١١ـــ الطاعـــة

إن كان يليق بالمؤمنين أن يمارسوا الطاعة فى الرب ، فإنه يليق بالاكليروس ألا يطلبوا منهم إلا ما هو لائق .

[عملكم أن **تأمروا بما هو لائق** ، وعمل الاخوة هو الخضوع لا أن يعصوا . بالخضوع يخلصون ، وبالعصيان يعاقبون بواسطة الرب ، لأنه يُعهد إلى الرئيس موضع المسيح] عظة ٣ : ٦٦ .

١٢ـــ الغضب المقدس

[هذا هو الغضب البار والضرورى ، الذى به يناضل الانسان مع نفسه ، ويتهم نفسه بالأمور التى يخطىء فيها والتى يقصّر فيها ، بهذا النضال تلتهب نار معينة فينا ، تعمل فينا كما فى حقل قفر ، تهلك وتحرق جذور اللذة الشريرة ، وتجعل تربة القلب أكثر خصوبة بالنسبة لبذار كلمة الله الصالحة .

إننى أظن انه لديكم من الأسباب ما هو كافٍ لاثارة الغضب ، الذى منه تشتعل النيران الأكثر براً ، إن أخذتم فى اعتباركم أية أخطاء سحبكم إليها شر الجهل ، هذا الذى أحدركم إلى السقوط ، ودفع بكم إلى الخطية للتو ؛ انتزعكم من الصالحات وسحبكم إلى الشرور ؛ وما هو أهم من الكل ، كيف جعلكم تستحقون العقوبات الأبدية فى الدهر الآتى] المدركات ٦ : ٣ .

[يكون الغضب شراً عندما يربك الذهن ، فينزع المشورة السليمة . أما الغضب الذى يعاقب الأشرار **فلا** يسبب تشويشاً للذهن] المدركات ١٠ : ٤٨

١٣ــ نقاوة القلب

[يُرى الله بالذهن لا بالجسم ؛ وبالروح لا بالجسد . لذلك تراه الملائكة ، وهم أرواح ؛ أما البشر فما داموا بشراً لا يستطيعون معاينته . أما بعد القيامة من **الأموات ، عندما يصيرون كالملائكة (مت ٢٢ : ٣٠)، فيستطيعون أن يروه...** لذلك فإن قول المعلم : « طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله » مت ٥ : ٨ لا يناقض الناموس (خر ٣٣ : ٢٠)] المدركات ٣ : ٣٠ .

١٤ــ المثابرة فى الدراسة

[من الضرورى دراسة التعليم بمثابرة بغير انقطاع ، لكى يمتلىء ذهننا بفكر الله وحده ، فإنه لا يكون للشرير موضع فى ذهن ممتلىء بفكر الله] المدركات ٣ : ٢١ .

١٥ــ السلام والحرب الروحية

[من لم يقبل كلمات السلام ، ولا يستجيب للحق ، نعرف كيف نوجه ضده حرب الكلمة **ونوبخه بحدة بتفنيد جهله** واتهامه بخطاياه (مباشرة بيننا وبينه) .

من الضرورى أن نقدم سلاماً ، فإن كان أحد ابناً للسلام يحل سلامنا عليه ؛ أما من يقيم نفسه عدواً للسلام ، فيرجع سلامنا إلينا] المدركات ٢ : ٣١ .

[عندما جاء ذاك الذى يرسلنا ، ورأى كل العالم ساقطاً فى الشر لم يعطِ سلاماً لمن هو ساقط فى خطأ ، لئلا بهذا يثبته فى شره ، بل أقام معرفة الحق مقابل هلاك الجهل بالحق ، حتى إذا ما أراد الناس أن يتوبوا ويتطلعوا إلى نور الحق ، يحزنون حقاً لأنهم كانوا مخدوعين ويدركون أنهم قد إنسحبوا إلى جُرف الخطأ ، فيشعلون نار الغضب الوقور ضد الجهل الذى خدعهم . بسبب هذا قال : « قد جئت لألقى ناراً على الأرض ، فماذا أريد لو اضطرمت ؟! » لو ١٢ : ٤٩ ... ولهذا قال ذاك الذى أرسلنا : « ما جئت لألقى سلاماً على الأرض بل سيفاً » مت ١٠ : ٣٤] المدركات ٦ : ٤ .

١٦ــ الخطية والألم

[حينما كان (الانسان) باراً ، كان أعظم وأسمى من كل الآلام ، إذ لم يكن ممكناً للجسد غير المائت أن يكون له خبرة الألم ؛ لكنه إذ أخطأ ... وصار خادماً للخطية ، خضع لكل الآلام ، وبحكم عادل حُرم من كل الأمور السامية] عظة ١٠ : ٤ .

[قدِمْ لى انسانا لا يخطىء ، وانا أريك انساناً لا يتألم ؛ فإنك تجده ليس فقط لا يتألم بل وتراه قادراً أن يشفى الآخرين] عظة ١٩ : ٢٢ .

١٧ــ الــزواج

[من أجل الطهارة ليته يسرع ليس فقط الشيوخ وإنما الكل إلى اتمام الزواج . لأن خطية من يزنى بالضرورة تحل على الجميع (بالغضب) . لذلك فإن بداية المحبة أن تحث الإخوة على الطهارة ، بكونها شفاء للنفس] عظة ٣ : ٦٨ .

١٨ــ الملاك الحارس

[لكل أمة ملاك ، يعهد الله إليه إدارتها] المدركات ٢ : ٤٢ .

١٩ــ سلطان المؤمن على الشياطين

[عندما تأتى نفس ما إلى الايمان بالله ، تنال فضيلة الماء السماوى ، الذى به تطفىء الشيطان مثل شرارة النار] المدركات ٤ : ١٧ .

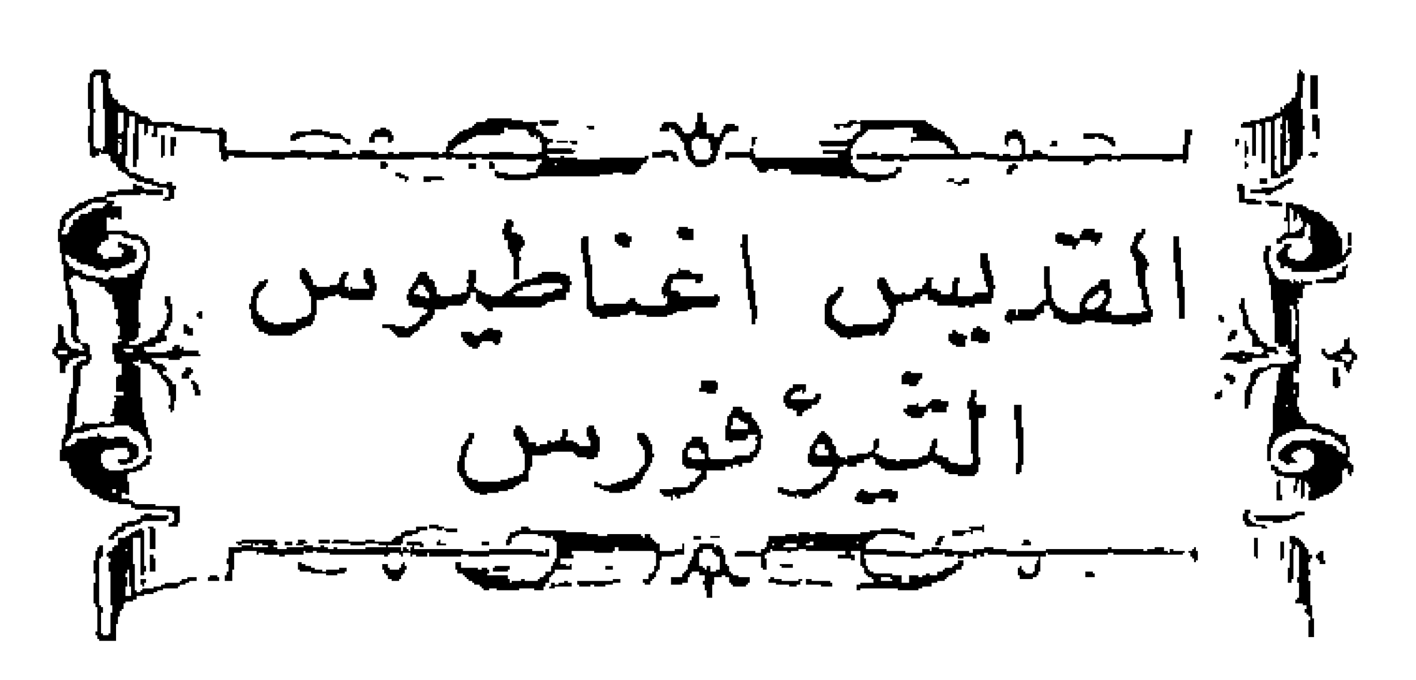
[كل مؤمن يأمر الشياطين ، وإن كانوا يظهرون كأنهم أقوى من البشر ، لكن المؤمن يأمر لا بقوته الخاصة ، بل بقوة الله الذى يخضعهم (لنا)] المدركات ٤ : ٣٣ .

[أفضل عون لكم لكى تهرب منكم الشياطين هو النسك والصوم واحتمال الضيق . فإن كانت الشياطين تدخل أجساد البشر من أجل شركة الملذات ، فواضح أنها تهرب باحتمال الألم] عظة ٩ : ١٠ .

٢٠ــ الحاسة السادسة

[توجد حاسة سادسة ، أعنى بها « سبق المعرفة » ؛ فالحواس الخمس قادرة على المعرفة ، أما السادسة فقادرة على سبق المعرفة ، هذه التى للأنبياء] المدركات ٢ : ٥١ .

+ + +



ST. IGNATIUS OF ANTIOCH

أسقف أنطاكية

وُلد ما بين عامى ٣٠ ، ٣٥ م ؛ سورى الأصل على الأرجح ، هلّينى الثقافة ، وثنى . يرى أناستاسيوس الكتبى[٢] الذى عاش فى القرن التاسع انه ذاك الطفل الذى حمله السيد المسيح مقدماً إياه مثالاً للإتضاع (مت ١٨ : ٢ـــ٤) ؛ بينما يرى القديس يوحنا الذهبى الفم ، الأنطاكى المولد ، فى أواخر القرن الرابع أن القديس أغناطيوس لم يرَ السيد المسيح[٣] .

إذ رأى الرسل فيه غيرته المتقدة رسموه أسقفاً على أنطاكية ، وقد اختلف البعض فى شخصية من سامه ، فيرى البعض أنَّ الرسول بطرس سام أفوديوس على اليهود المتنصِّرين والرسول بولس سام أغناطيوس على الأمم المتنصرين ... وأنه لما تنيح الأول تسلم أغناطيوس رعاية الكنيسة بشطريها . على أى الاحوال إتسم بغيرته على خلاص النفوس فكسب الكثير من الأمم للسيد المسيح .

إتسم بحبه الشديد لشعبه كما يظهر من حديثه مع مستقبليه فى أزمير أثناء رحلته إلى روما للإستشهاد ، إذ كان يذكر أمام مستقبليه شعبه ، ويطلب إليهم الصلاة من أجلهم .

وضعه نظام التسبحة

قيل إنه نظر فى رؤيا الملائكة تُسبِّح ممجدةً الثالوث القدوس ، فنقل النظام الذى لاحظه إلى الكنيسة الأنطاكية ، حيث انتشر بعد ذلك بين بقية الكنائس .

لقاؤه مع والى سوريا

إذ سمع عنه الوالى من جهة غيرته على إنتشار المسيحية إستدعاه ، ودخل معه

فى حوار من جهة « يسوع المصلوب » ، إنتهى بإصداره الأمر بأن يُقيَّد أغناطيوس القائل عن نفسه إنه حامل فى قلبه المصلوب ، ويُقاد إلى روما العظمى ، ليُقدم هناك طعاماً للوحوش الضارية ، إرضاءً للشعب .

سمع الأسقف بذلك فإبتهج جداً. إذ جاءت الساعة التى طالما ترقبها، وحسب هذا الأمر أعظم هدية قُدمت إليه؛ إذ جثا وصرخ مبتهجاً: «أشكرك أيها السيد الرب، لأنك وهبتنى أن تشرفنى بالحب الكامل نحوك، وسمحت لى أن أُقيد بسلاسل حديدية كرسولك بولس». ولما صلى هكذا قبّل القيود، متضرعاً إلى الله أن يحفظ الكنيسة، هذه التى إئتمنه الرب عليها ليخدمها حوالى ٤٠ عاماً.

إلى روما

خرج القديس فى حراسة مشددة من عشرة جنود ، وقد صاحبه إثنان من كنيسته هما روفوس وزوسيموس اللذان شملهما الحكم بالإعدام .

إذ رأى الجند حب الشعب له والتفافهم حوله عند رحيله تعمدوا الإساءة اليه ومعاملته بكل عنف وقسوة ، حتى دعاهم بالفهود بالرغم من لطفه معهم ، وما دفعه الشعب لهم كى يترفقوا بأسقفهم .

وصلوا إلى سميرنا Smyrna حيث استقبله القديس بوليكاربوس أسقفها ، كما جاء إليه أساقفة كنائس مغنيسية (مانيزيا) Magnesia[٤] وأفسس وترالّيا[٥] Tralles مع وفود من الكنائس يتبركون به ، ويلتقطون دُررّ تعاليمه . استغل الفرصة وكتب رسائل إلى هذه الكنائس ، كما كتب رسالة بعثها إلى روما ، إذ سمع أن بعض المؤمنين يبذلون كل الجهد لينقذوه من الاستشهاد ، جاء فيها :

« لا أطلب منكم سوى أن أكون سكيباً لله مادام المذبح مُعداً ...

أطلب إليكم ألا تظهروا لى عطفاً فى غير أوانه ، بل دعوا الوحوش تأكلنى ، التى بواسطتها يوهب لى البلوغ إلى الله . إننى حنطة الله . اتركونى أُطحن بأنياب الوحوش لأصبح خبزاً نقياً للمسيح . هيِّجوا هذه الوحوش الضارية لتكون قبراً

لى ، ولا تترك شيئاً من جسدى ، حتى إذا ما مُت لا أتعب أحداً ، فعندما لا يعود العالم يرى جسدى أكون تلميذاً حقيقياً للمسيح(٦) .]

فى تراوس

أبحر بالسفينة من سميرنا إلى ترواس ، ليكتب القديس أيضا ثلاث رسائل « إلى فيلادلفيا ، وسميرنا ، والقديس بوليكربس » .

من تراوس أبحر إلى نيوبوليس ، ثم فيلبى ، ثم Epirus و Tyrhene ... وأخيراً إلى منطقة Portus حيث التقى بالأخوة الذين امتزج فرحهم برؤيته وبحزنهم لانتقاله . قابلهم بكل محبة سائلاً إياهم أن يظهروا المحبة الحقيقية ويتشجعوا .

جثا على ركبتيه وصلى لكى يوقف الله موجة الاضطهاد عن الكنيسة ، وأن يزيد محبة الإخوة لبعضهم البعض ...

أخيراً أسرع به الجند إلى الساحة ، وأطلقت الوحوش ليستقبلها بوجه باش ، كمن يُسرع إلى المدينة السماوية الأبدية ، ليعيش مع سيده فى الأمجاد الأبدية . وثب عليه أسدان ، ولم يبقيا منه إلا القليل من العظام . استشهد حوالى سنة ١٠٨ بروما(٧) .

جمع المؤمنون ذخائره وأرسلوها إلى كنيسته بأنطاكيا ، فدفنت خارج السور بالقرب من باب دفنه . وبقيت هنالك حتى أيام ايرونيموس ، ثم تحول هيكل فورتونة فى قلب انطاكية إلى كنيسة مسيحية ، فنقل الامبراطور ثيؤدوسيوس الصغير (٤٠٨ــ٤٥٠) رفات القديس إلى هذه الكنيسة ، وأطلق عليها اسم الشهيد البار تخليداً لذكراه(٨) .

تعيِّد له الكنيسة فى ٧ شهر أبيب .

+ + +

رسائله

إن كان التاريخ يشهد بروعة ما كتبه القديس أغناطيوس من رسائل ، إلا أنها أثارت جدلاً كثيراً أكثر من أى وثائق أخرى من كتابات آباء الكنيسة الأولين ، فقد كتب عنها كثير من الدارسين . وقد ظهرت ١٥ رسالة : ٧ رسائل حقيقية ، و ٨ رسائل مزيفة .

الرسائل الحقيقية موجهة إلى كنائس أفسس ومغنيسية وتراليا (ترالس Tralles) وروما وفيلادلفيا وسميرنا (أزمير) وإلى الشهيد بوليكاربوس . أما المزيفة فموجهة إلى السيدة العذراء ومريم الكاسابيلية (الكسبولة Cassabola) والرسول يوحنا (رسالتان) وهيرون (شماس انطاكى) وإلى كنائس انطاكية وفيلبى وطرطوس (تراسيا) .

وصلت إلينا الرسائل الحقيقية فى مجموعات ثلاث : قصيرة (يونانية) وطويلة ومختصرة (سريانية) . اتفق معظم العلماء على أن النص القصير هو النص الأصلى ، وأما المطول فجاء شارحاً للأصل ، كما قال Lardner فى كتابه Credibility of the Gospel History عام ١٧٤٣ . هكذا رأى كل من جورتن Gorten (١٧٥١) وموسهيم Mosheim (١٧٥٥) وجريسباخ Griesbach (١٧٦٨) وروسنملر Rosenmiller (١٧٩٥) ونيندر Neander (١٨٢٦) الخ ...

حُفظ النص القصير فى مخطوطة يونانية قديمة[٩] . وهى تعود إلى القرن الثانى ، لكنها لا تشمل نص الرسالة إلى أهل روما . وأقدم النسخ التى تتضمن نص الرسالة إلى روما لا تعود إلى ما قبل القرن العاشر[١٠].

ظهرت المشكلة من جديد عندما اكُتشفت ثلاث من هذه الرسائل باللغة السريانية ضمن المخطوطات التى أخذت من دير السيدة العذراء ديبارا Deipara بصحراء نتريا بمصر واودعت بالمتحف البريطانى ، وقام وليم كرتن Cureton بنشرها عام ١٨٤٥ م . هذه الرسائل هى الى بوليكربس وإلى روما وإلى أفسس وهو نص مختصر . لازال البعض يفاضل بينها وبين النص اليونانى القصير ، غير أن

Lightfoot وغيره يرون أن النص السريانى هو ترجمة قديمة لما جاء فى النص القصير اليونانى .

أما من جهة **أصالة الرسائل السبع** فقد تشكك بعض البروتستانت فى أصالتها إذ رأوا انه لا يُعقل أن تكون الكنيسة قد انتظمت بقدر ما جاء فى الرسائل فى عصر تراجان ، غير أن Lightfoot و Harnak و Zan وغيرهم أثبتوا بأدلة داخلية وخارجية تأكيد أصالتها . والواقع أن القديس بوليكاربوس نفسه أشار إلى هذه الرسائل فى رسالته إلى أهل فيلبى وبعث نسخاً منها إليهم[11] ، وذكر هذه الرسائل بترتيبها التقليدى كل من أوريجانوس وإيريناؤس ، كما أيدَّهما فى ذلك يوسابيوس القيصرى[12] .

\+ + +

١ــ راجع للمؤلف : الشهيدان أغناطيوس وبوليكاربوس ، ١٩٦٤ . وأيضاً : قاموس آباء الكنيسة وقديسيها ، جـ ١ ، ١٩٨٥ ، ص ٣٤١ــ٣٤٣ .

2 - Anastase le Bibliothécaire, 2: 42. PG. 5: 404.

3 - In Sanct. Mart. Ignatium. PG. 49: 594.

٤ ــ مغنيسية : مدينة صغيرة بآسيا الصغرى ، واقعة على الجنوب الغربى من أفسس على مقربة من نهر ويندر فى مقاطعة ليديا ، تُدعى الآن جوزيل حصار (عن مجلة الكرمة) .

٥ ــ تراليا أو ترالس ، مدينة فى مقاطعة فريجية بالأناضول ، موقعها الآن قرية سلطان حصاء (عن مجلة الكرمة) .

6 - Ep. to Rom. 2, 4.

٧ــ السنة العاشرة من ملك تراجان (يوسابيوس ٣ : ٣٦) .

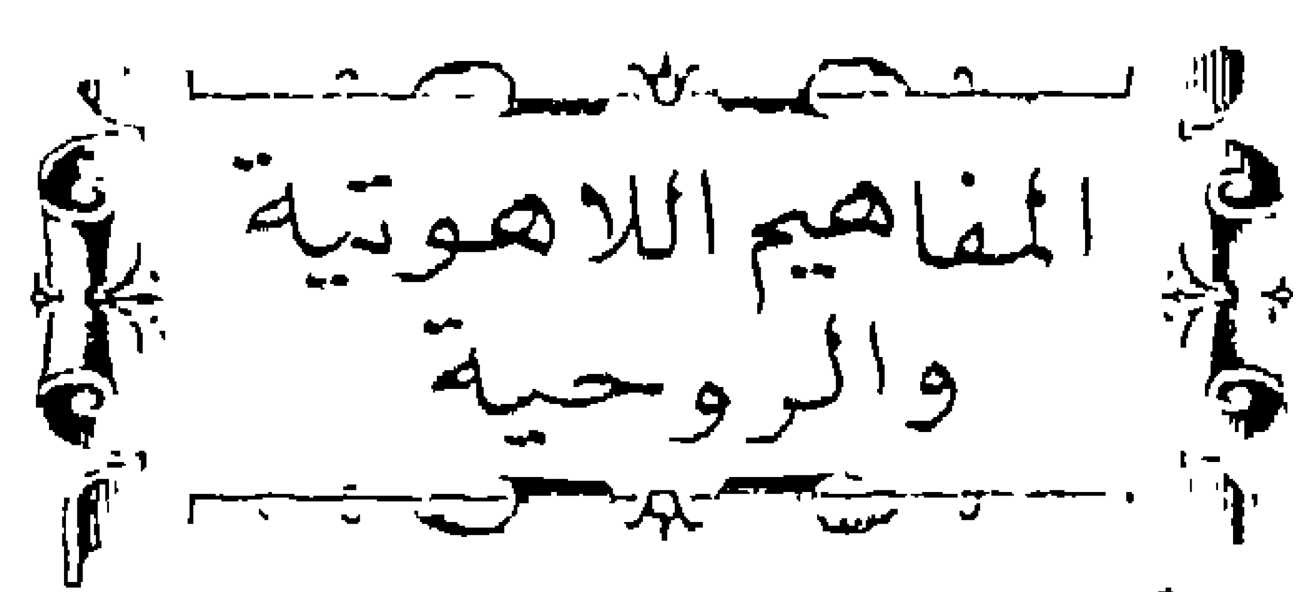
٨ ــالدكتور أسد رستم : آباء الكنيسة ــ القرون الثلاثة الأولى ، ١٩٨٣ ، ص ٣٠ ، ٣١ . Eragrius: His. Ecc. 1: 16.

9 - Codex Mediceus Laurentianus, 57: 7.

10- Codex Paris, Graec., 1457.

11- Ep. of Polycarp 13: 2.

١٢ــأسد رستم ، ص ٣٢ ؛ يوسابيوس ٣ : ٣٦ .



المفاهيم اللاهوتية والروحية

يرى Jules Lebreton أنه من بين كل شهود الكنيسة المسيحية فى بدء القرن الثانى من أسقف وشهيد ليس من يحمل شهرةً مثل القديس أغناطيوس الانطاكى ، ولا من شهد لمسيحه مثله[١] . ومع هذا فإن سرّ شهرته هى اللحظات الأخيرة من القبض عليه واستشهاده ؛ فقصة استشهاده هى سيرة حياته التى تبدأ وتنتهى مع وقائع نياحته . استشهاده أعطى لحياته حيوية خاصة ، وأبرزه ككاتب ولاهوتى[٢] .

لا نعرف للقديس أعمالاً ثقافيةً سوى رسائله التى كتبها بسرعة فى طريقه للاستشهاد وهو تحت حراسة مُشددَّة . لم يكتبها بعد اعداد طويل ، بل فى عجلة شديدة كأسيرٍ يترقبُّ موته سريعاً . لهذا لا نتوقع فيها رسائل لاهوتية تشرح العقيدة المسيحية ، ولا تنظيمية تصف النظام الكنسى ، إنما نجد فيها شهادة مخلصة حية وملتهبة نحو الايمان والحياة المسيحية إذ كان يستعد بفرح لاحتمال العذابات بل والموت من أجل مسيحه ، مشتاقاً أن ينعم الكل معه باكاليل المجد ، كاشفاً عن حبه للكنيسة وخلاص كل نفس .

بالرغم من هذه الظروف قدمت لنا رسائل القديس أغناطيوس مفاهيم إيمانية حية تمس العقيدة المسيحية ، خاصة فى التجسد الإلهى وعمل المسيح الخلاصى والافخارستيا والكنيسة والوحدة ، تكشف عن نظرة الكنيسة الأولى وعقيدتها ، مما يجعل دراسة هذه الرسائل شيقة ونافعة .

اتسمت مفاهيمه اللاهوتية بالآتى :

١ــ إذ جمع القديس أغناطيوس فى شخصه البساطة الشديدة بلا تكلف مع الصراحة وعدم حبه للدعاية والمظاهر وأيضاً الصلابة فى التمسك بالإيمان المستقيم ، كتب لا كدارس باحث ، وإنما كراعٍ يقظ وأب محب مترفق ، يهتم بابراز الحق فى استقامة ، وحفظ اولاده من البدع ، خاصة المعاصرة له مثل (الخياليين) أو الدوسيتيين[٣] Docetists الذين حملوا اتجاهاً نحو انكار التجسد والصلب بكون

الجسد « خيالاً » . كتب ليشعل قلوب أولاده بنار الحب الإلهى ، ويبعث فيهم الإنشغال بالحضرة الإلهية ، والتمتع بالكنيسة الجامعة (الكاثوليكية) كحياة معاشة واتحاد مع المسيح .

٢ــ العقيدة ــ كما تظهر من رسائله ــ ليست فكراً فلسفياً ، وإنما هى حياة معاشة ، يختبرها المؤمن دون فصل بين الإيمان بالله (اللاهوت) وعمله الخلاصى وممارسة الحياة الكنسية على صعيد الروح خلال الواقع العملى مع انشغاله بخلاص اخوته .

يتحدث كشاهد حقيقى للسيد المسيح الساكن فيه ، وكمختَبِّر للحياة الكنسية السرائرية والعملية ، يعيش حول المذبح داخل الهيكل ، ويمارس الحب والوحدة ، كما يكشف عن أبوته العاملة لخلاص كل نفس .

٣ــ يركز على الوحدة المسيحية فى كل رسائله ، فيحسب نفسه مكرساً لهذا العمل : [لقد قمتُ بما فى وسعى القيام به كإنسان يعيش من أجل الوحدة(٤)] .

٤ــ خلافاً للقديس اكليمندس الرومانى ، لا يقتبس من العهد القديم ، ربما لأنه تلقى تربيةً مستقلة عن مجمع اليهود ، بكونه نبتة جديدة ظهرت فى أرض وثنية من زرع مسيحى تقى(٥) .

٥ــ كشفت لنا هذه الرسائل عن روح آبائنا من جهة حبهم الملتهب نحو الله ، وشوقهم لتمتع الكل بالروح الكنسية الإنجيلية ، ورغبتهم الصادقة نحو الاستشهاد مع حزمهم الشديد ضد الهرطقات ومقاومتهم لها ولأصحاب البدع والمنشقين عن الكنيسة ، وفتحهم باب التوبة على مصراعيه أمام الراغبين منهم فى العودة إلى الأحضان الكنسية .

مع حزم القديس بخصوص الهرطقات نراه الإنسان الرقيق الوديع والمتضع ، لا يكُفّ عن أن يطلب من الشعوب المقدسة أن تصلى عنه وعن شعبه ؛ وحينما يتحدث عن نفسه يرى أنه أقل انسان فى شعبه !

٦ـــ جاءت هذه الرسائل بعد حوالى ١٥ عاماً من رسالة القديس اكليمندس الرومانى ، فنجد بينهما بعض التشابه حيث يشترك الكاتبان فى رغبتهما من جهة الكنيسة أن تعيش بنظام وترتيب فى سلام وخضوع للرئاسات ، مع شوق حار نحو الوحدة ؛ لكنه يوجد أيضاً اختلاف واضح بين الأسقفين ، فالقديس اكليمندس لا يقف عند النصح بل بسلطان يقدم مشورةً يلزم اتباعها ؛ أما القديس أغناطيوس فأخذ اتجاهاً آخر ، فمع كونه أسقفاً وما كان له من تقدير خاص كمعترف فى طريقه للاستشهاد لم ينته أسلوب السلطة بل المشورة والنصح الأخوى أو الأبوى[٦] . ففى رسالته إلى أهل تراليا كتب : [فى حبى لكم أكف عن تقديم ملاحظات قاسية أقدمها لكم بخصوص أسقفكم ، لستُ آمركم كرسول ، وانما فقط كشخص ينصحكم[٧]] .

٧ـــ كتابته الرسائل وعيناه تتطلعان لا إلى روما حيث تنتهى حياته الزمنية بل بالحرى إلى السيد المسيح السماوى وهو يُعد له موضعاً فى الأمجاد طبع عليها **إتجاهاً اسخاتولوجياً** (**أو إنقضائياً** .) فى رسالته إلى روما يقول : [عندئذ أصير تلميذاً حقيقياً ليسوع المسيح عندما لا يعود يرى العالم جسدى بعد[٨] .] ؛ [عندما اختفى من هذا العالم استطيع أن أُدعى مؤمناً حقيقياً[٩] .] ؛ [ليس شيء منظور جميلاً ؛ حتى الهنا يسوع المسيح يعلن بصورة أفضل الآن اذ عاد إلى حضن الآب[١٠] .]

هكذا يرتفع قلبه إلى الدهر الآتى لينعم بالتلمذة الحقيقية ، ويحسب بالحق مؤمناً ، بل ويرى مسيحه فى كمال بهاء لاهوته الذى كان مخفياً فى الجسد .

+ + +

١ـــ المسيح المُخلِّص

« المسيح المخلص » هو محور لاهوت القديس أغناطيوس ، الذى استقاه من القديس بولس الرسول متأثراً بل ومتمتعا بدسم لاهوتيات القديس يوحنا الانجيلى[١١] .

(أ) السيد المسيح هو المُعلِّم الذى تتلمذ عليه الأنبياء قبل مجيئه وذلك بعمل الروح القدس الذى سبق فوجه انظارهم إلى المعلم ، المسّيا المخلص ، وقد تحققت نبواتهم واشتياقاتهم بمجيئه .

[يسوع المسيح معلمنا الأوحد ... حتى الأنبياء تتلمذوا له بالروح ، وقد توقعوا مجيئه معلماً[١٢] .]

(ب) أوضح لاهوت السيد المسيح وناسوته بجلاء تام :

[يوجد طبيب واحد ، هو فى الوقت نفسه جسم وروح (انسان وإله) ، مولود gennetos ، وغير مولود ، الله صار انساناً ، حياة حقيقية فى موت (جسد قابل للموت) ، من مريم ومن الله ، فى البدء كان قابلاً للألم واصبح الآن غير قابل للألم ، هو يسوع المسيح ربنا[١٣] .]

[هو بالحقيقة من نسل داود حسب الجسد ، وهو ابن الله حسب ارادة الآب وقوته ، وقد وُلد حقاً من عذراء وعمَّده يوحنا حتى يتمِّم كل بر[١٤] .]

إنه فوق الزمن وغير منظور :

[تطلع إلى ذاك الذى هو فوق الزمن ـــ غير الخاضع للزمن ولا منظور ، الذى لأجلنا صار مرئياً ؛ غير الخاضع للألم صار لحسابنا خاضعاً للألم ، محتملاً كل شىء لأجلنا[١٥] .]

(جـ) حياتنا الجديدة هى فى المسيح يسوع مصدر الحياة كما سنرى فى الحديث عن الخلاص وعن الشركة فى المسيح .

الخـــلاص

اهتم القديس أغناطيوس بعمل السيد المسيح الخلاصى ، معلناً أن قصد الله هو خلاص البشر ، الذى يتحقق بالتجسد الإلهى فالصلب والقيامة . ولعل سبب تركيزه على ذلك مقاومته للدوسيتيين Doceitists « للخياليين » ، الذين ينكرون حقيقة التجسد وبالتالى ينكرون الصلب[١٦] .

فى رأى القديس اغناطيوس[١٧] توجد مملكتان : مملكة الله مصدر الحياة والخلود وحده ومملكة ابليس المؤقته يسودها الفساد والموت . **أما الانسان فبذاته لا تتمتع نفسه بالخلود ... انه فى حاجة أن يتحد بالمسيح واهب الحياة والخلود** . فمن كلماته : [لا ننكر صلاحه (المسيح) ، لأنه لو عاملنا بالمثل كما نعامله لقُضى علينا[١٨] .]

الآن ، كيف يتحقق الخلاص ؟

(أ) السيد المسيح كواهب الحياة وحده قادر أن يطهِّرنا من سلطان الفساد والموت ، إذ يقول :

[وُلد واعتمد لكى يطهر الماء بآلامه[١٩] .]
[ينشر على كنيسته عطر الخلود[٢٠] .]
[بدونه ليست لنا حياة حقيقية[٢١] .]

(ب) لقد صُلِبَ السيدُ المسيح حقاً[٢٢] ، لكى يهبنا بصليبه الحياة ، لذا يدعو الصليب « شجرة الحياة[٢٣] » ، أغصانها هم المؤمنون الثابتون فيه ، يحملون ثماراً غير فاسدة[٢٤] . الصليب هو أساس الاستشهاد كدعوة لقبول الموت مع المصلوب . إذ يقول : [دعونى اقتدى بآلام إلهى ؛ من كان الله معه فليفهم ما أريد ... أنا حنطة الله ! اطحن تحت أنيابها لأصبح خبزاً نقياً للمسيح ... حينئذ أصبح تلميذاً حقيقياً ليسوع المسيح عندما لا يرى العالم جسدى[٢٥] .]

(جـ) بالموت حَطمَّ السيدُ المسيح الشيطانَ ونزع عنا الموت :

[لا تعيشوا كسائر الناس بل بحسب يسوع المسيح الذى مات لأجلكم ، والذى **إذا آمنتم بموته تخلصون من الموت**[٢٦] .]

(د) باتحادنا بجسد المسيح القائم من الاموات نستهين بالموت وننتصر عليه ، إذ تكون الحياة المُقامة ليست فقط فى متناول يد المؤمن بل عاملة فيه خلال شركته مع مسيحه .

[أما أنا فأعرف وأومن أنه ظل فى الجسد حتى بعد قيامته ... فى الحال لمسوه (لو ٢٤ : ٣٩) وآمنوا واتحدوا بجسده وروحه ، فاستهانوا بالموت وانتصروا عليه . وبعد قيامته أكل وشرب مثل البشر ، لكنه كان متحداً بالآب فى الروح[٢٧] .]

يرى ان الكلمة قد تجسد حقاً ووُلد حقاً وصُلب حقاً ومات حقاً أمام السمائيين والأرضيين والذين تحت الأرض ، غايته ان تكون قيامته حقيقة واقعة ، ليهبنا جسده المقام فنقوم فيه ومعه . [وقام حقاً من الموت ، والآب هو الذى أقامه ، وسيقيمنا نحن فى يسوع المسيح وكل الذين آمنوا به ، فبدونه ليست لنا حياة حقيقية[٢٨] .]

(هـ) إن كنا لن نتمتع بالحياة المقامة ما لم نؤمن بالمسيح القائم من الأموات ونتحد به ونسكن فيه ، فإن لهذا الإيمان ولهذه الشركة وجهاً عملياً هو تمتعنا بالحب كسِّمة الله الآب بيسوع المسيح الواهبة الغلبة على نتائج الموت ، أى على الخطية . كأن الايمان يستلزم اتحاداً مع المسيح الحب ؛ بالوحدة والحب ننعم بخلودنا مع الله وفيه .

نظرته للموت

يرى الأب رومانيدس فى كتابه : « لاهوت الكنيسة عند القديس أغناطيوس » أن شوقه إلى الموت ليس عن حماس آخروى ولا عن تعب نفسى إنما عن فهم كتابى (انجيلى) للشيطان حيث يرتبط مع الموت (٢ كو ٢ : ١١) . ففى نظره الخوف من الموت هو استعباد للشيطان ، أما من يتحد بالسيد المسيح ويتتلمذ له فلا يخاف الموت ، لأنه يتمتع بالاتحاد مع الحياة والخلود وعدم الفساد ... بالموت يبلغ إلى الآب والسيد المسيح فينعم بالحياة الخالدة .

[أمامنا شيئان : الموت والحياة ... توجد عُملتان : عملة الله وعملة العالم ، ولكل منهما ختم خاص بها . لغير المؤمنين ختم العالم ، وللمؤمنين القائمين فى المحبة ختم الله الآب بيسوع المسيح . **إن لم نختر بملء حريتنا أن نموت معه لنشترك فى آلامه ، فحياته ليست فينا**[٢٩] .]

[لتأتِ عليّ كل هذه : النار والصليب ، مجابهة الحيوانات المفترسة ، التمزيق والكسر ... لتنصّب عليّ كل عذابات الشيطان ، **على أننى أبلغ يسوع المسيح** [٣٠] .]

[رئيس هذا العالم (الشيطان) يفرح باقصائى بعيداً عن الله وافساد اشتياق إليه؛ ليتكم أيها القاطنون بروما لا تعاونوه بل تكونوا فى جانبى، أى مع الله[٣١].]

[لماذا أُسلِّم نفسى إلى الموت ، إلى النار ، إلى السيف ، إلى الوحوش الضارية !... القريب من السيف هو قريب من الله ، والذى مع الوحوش هو مع الله ، على أن يتم ذلك كله باسم يسوع المسيح ؛ واننى احتمل كل شيء لاشترك فى آلامه[٣٢] .]

جاء فى حواره مع تراجان [أنا كاهن سيدى يسوع المسيح، وله أقدم الذبيحة كل يوم، وأرغب أن **أقدم حياتى ذبيحة** كما **قدَّم** حياته ذبيحة، حباً فىّ.]

٢ـ الكنيسة

(أ) موضع الذبيحة Thysiasterion

إذ كان القديس أغناطيوس متهللاً بالروح وهو فى طريقه للتمتع بالاستشهاد عبّر عن نظرته للكنيسة بكونها جسد المسيح المبذول ؛ إذ يقدم المسيح الأفخارستيا ، جسده ودمه المبذولين لتعيش الكنيسة تنعم مع عريسها بروح البذل . هذا ما دفعه لتعريف الكنيسة «**موضع الذبيحة** » فى أكثر من موضع[٣٣] .

(ب) جماعة حب

بانتصار المسيح على الموت والشيطان ، يستطيع المؤمن بجسد المسيح ، ان **يتحد بحياة الله ومحبته ، بالاتحاد مع قريبه** . الايمان ومحبة القريب حقيقة واحدة ؛ بداية الحياة فى المسيح ونهايتها[٣٤] ، إذ أن الوحدة مع القريب بالحب هى [رمز ومثال للخلود[٣٥]] ؛ [كل الأمور حسنة على السواء ؛ إذا آمنتم وأنتم فى المحبة[٣٦] .]

السيد المسيح هو الحياة الخالدة ، اذ يهبنا الحياة يعطينا الحب الالهى : [فان شرابه أى دمه ... هو المحبة غير الفاسدة(٣٧) .]

كان الخلاص فى مفهومه ليس مجرد تغيير وضع الانسان بالنسبة لله ، ولا مجرد اقامة علاقة جديدة بينهما ، انما هو مشاركة الانسان فى الحياة الالهية وفى حب الآب فى المسيح تتجلى فى حبه للقريب ، فيحصل على الخلود ويتجنب الموت(٣٨) .

الخلاص هو عودة الخلود إلى الذين يشتركون كجماعة واحدة فى المحبة اللانهائية ؛ وهو تبرير الانسان بتدمير الموت وتقييد ابليس ؛ والتمتع بالقوة لدحر الشيطان لاقتناء الحب اللاأنانى لله والقريب .

(جـ) جماعة شكر وتسبيح

إذ نجتمع معاً بالحب كهبة إلهية لا يستطيع الشيطان أن يهيمن علينا ، وتتحول حياتنا إلى حياة شكر لله وتسبيح له .

الكنيسة جماعة أفخارستيا ، ترتبط بذبيحة السيد المسيح (الأفخارستيا) ، فتحمل طبيعة الشكر عوض الجحود ، والتسبيح والفرح بالنصرة والغلبة .

لا يرى القديس أغناطيوس فى سّر الشكر أو الافخارستيا تحقيقاً لواجب كنسى معين وانما تمتع بحياة الحب مع النقاوة ، التى تدخل بنا إلى الخلود ، كما يرى فيه سلاحاً يهب المؤمن غلبة دائمة على عدو الخير .

بمعنى آخر خلال سّر الشكر تظهر الكنيسة من جانبين :

١ـــ جانب ايجابى : تمتع بالحب والنقاوة والوحدة وشركة الخلود مع التسبيح والفرح ... هذه هى سمات الكنيسة المجتمعة بالحق حول المذبح لتشترك فى سّر الأفخارستيا .

٢ـــ جانب سلبى : تقاوم ابليس وتغلبه .

[اهتموا فى أن تجتمعوا بكثافة أكثر لتقديم الشكر والمجد لله ، فعندما تجتمعون

مراراً معاً فى الاجتماع الأفخارستى ، تضمحل قوى الشيطان ، وتنحل قوته أمام اتفاق ايمانكم وتآلفه(٣٩) .]

[لا يخدعن أحد نفسه ، فإذا كان الانسان خارج الهيكل يُحرم من خبز الله ... ومن لا يأتى إلى الاجتماع معا يتكبر ويقطع نفسه عن الشركة(٤٠) .]

[من كان داخل المذبح فهو نقى ، وأما من كان خارج المذبح فهو ليس نقياً(٤١) .]

كنيسة المسيح

مادامت الكنيسة هى جماعة حب وشكر وتسبيح تجتمع حول الذبيحة والمذبح ، لذا يقول القديس اغناطيوس : [حيث يكون المسيح تكون الكنيسة الجامعة (الكاثوليكية)(٤٢)] . إنها ليست مجرد جماعة محبة لبعضها البعض ، ولا شاكرة ، وانما هى قائمة « فى المسيح » .

(د) **كاثوليكية الكنيسة** (جموعية الكنيسة !)

أول من دعى الكنيسة **بالكاثوليكية** هو القديس أغناطيوس ، هذا لا يعنى انها من وضعه ، لكن سجَّل ما كان سائداً فى عصره عن جامعية الكنيسة . وكلمة « كاثوليكية » مركبة من مقطعين ، هما « كاث » و « اولو » KaΘ و oλo ، أى الكل معاً فى وحدة ، وهى كلمة شرقية من واقع الخبرة الشرقية ، لا علاقة لها بالمفهوم الخاص بالكنيسة اللاتينية ، استُخدمت الكلمة فى الليتورجيات الشرقية ، لا لتعنى الوجود فى بقعة معينة أو الوجود الجغرافى حتى فى العالم إنما الوجود الروحى وارتباطه حول المذبح الواحد . صفة الكاثوليكية تقوم على الاتحاد مع المسيح الواحد الذى يجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد (يو ١١ : ٥٢) .

[اجتمعوا فى هيكل واحد لله ، حول مذبح واحد ، فى يسوع المسيح الوحيد ، الذى خرج من آب واحد ، وكان معه واحداً ، وإليه عاد وهو واحد(٤٣) .]

إذ تتحقق الوحدة فى سّر الأفخارستيا ، تكررت كثيراً عبارات « جسد واحد » ، « مذبح واحد » ، « هيكل واحد » الخ ...

إذن كاثوليكية الكنيسة ليست هى مجموعة الكنائس المنتشرة فى العالم ، بل هى جسد المسيح الذى تلتئم فيه كل الشعوب ، تتحد معه اتحاده بالآب .

الوحدة الكنسية

يتوق القديس أغناطيوس إلى الوحدة ، وكأنه قد كرَّس كل حياته وخدمته لهذا الهدف ، هذه الوحدة إنما تقوم كأيقونة حية للوحدة بين الآب والسيد المسيح ، وكعلاقة للحب .

(أ) وحدانية الله : قلما يشدِّد على ذلك ، ذلك انه لم يواجه مشكلة تعدد الآلهة لدى الوثنيين ... مرة واحدة قال : [واحد هو الله ، اظهر نفسه بابنه يسوع المسيح[٤٤] .]

الله الواحد هو الثالوث[٤٥] ، الآب أبو يسوع المسيح[٤٦] ، والمسيح إلهنا[٤٧] ، والروح القدس .

(ب) وحدة الآب والمسيح : مما يسترعى انتباه القارىء تكرار التعبير « الله الآب والمسيح »[٤٨] أو ما يعادلها .

الآب والسيد المسيح هما رجاؤنا المشترك[٤٩] ، مصدرا الحب والرحمة والنجاح[٥٠] ، مصدرا سلطان الكاهن[٥١] .

حياتنا هنا هى « فى المسيح »[٥٢] ، كما فى الله (الآب) »[٥٣] ، وغاية حياتنا هو أن « ننال الله »[٥٤] أو « ننال المسيح »[٥٥] .

المسيحيون هم هياكل الله وهياكل المسيح ، يسكن الله فيهم وهكذا المسيح[٥٦] .

بمعنى آخر تعلن وحدة الآب مع الابن لا مجرد عقيدة ايمانية وإنما تمس حياتنا المسيحية فى هذا العالم ، وفى غايتنا بل وفى رجائنا فى السماء[٥٧] ، غير اننا لا

نجد خلطاً فى الرسائل بين الآب والابن بل تمايزاً واضحاً دون انفصال . الابن يخضع للآب حسب الجسد ، وبتأنسه يتألم دون الآب . هذا التمايز أزلى لا يقوم على أساس التجسد .

(جـ) **وحدة شخص المسيح** : وحدة اللاهوت والناسوت ، آلامه هى آلام الله ، بدمه المهراق على الصليب يحصل المسيحيون على الحياة(٥٨) . ينسب آلام الناسوت إلى اللاهوت(٥٩) ، يصف دم السيد المسيح أنه « دم الله »(٦٠) .

[يوجد طبيب واحد ، هو فى الوقت نفسه جسم وروح (انسان وإله)(٦١) .]

(د) وحدة المسيحيين والكنيسة

منذ بداية الكنيسة قامت بين الكنائس رسائل متبادلة وزيارات ولقاءات على مستوى الأساقفة والكهنة واللاهوتيين . كنيستا أفسس وسميرنا انتابهما القلق على كنيسة انطاكية التى حرمها الاضطهاد راعيها ؛ وانكبت كنيسة روما تعمل لانقاذ الأسقف راعى كنيسة انطاكية من الاستشهاد ، كما لو كان أحد اعضائها ... أما القديس فقد كشف للكل عن مفهوم الاستشهاد معلناً شوقه الحار للتمتع به . لقد طلب من شعب روما الصلاة من اجل كنيسة أنطاكية . عادة عندما يعود السلام إلى كنيسة مضطهدة تفرح معها سائر الكنائس وترسل إليها وفوداً للتهانى(٦٢) .

هذا من جهة وحدة الكنائس فيما بينها ، وقد سبق لنا الحديث عن كاثوليكية الكنيسة أو جامعيتها كأعضاء فى جسد المسيح الواحد الذبيح ... يجتمع الكل حول مسيح واحد ومذبح واحد !

وتتحقق الوحدة فى الكنيسة المحلية خلال الأسقف المنظور الذى يمثل الاسقف غير المنظور(٦٣)، سلطانه ينحدر من الرسل ، وهو صورة الله غير المنظور(٦٤) .

رأينا ان القديس اغناطيوس قد كرَّس حياته من أجل الوحدة ، ففى نظره الأسقف هو حارس الوحدة بكونه راعٍ يهتم بحياة الرعية .

هيكل مقدس

يرى القديس أغناطيوس الكنيسة كجماعة مؤمنين تتمتع بالمقادس الإلهية ، خلال ذبيحة المسيح الكفَّارية ، خاصة عند تقديم سّر الشكر « الأفخارستيا » ... وهو فى هذا لا يفصل بين الكنيسة كجسد المسيح الواحد وكحياة داخلية ، فيرى فى المؤمن هيكلاً مقدساً يحل الله فيه ، كقول الرسول بولس : « أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم ، الذى لكم من الله ، وأنكم لستم لأنفسكم ؛ لأنكم قد اشتريتم بثمن ؛ فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله » ١ كو ٦ : ١٩ ، ٢٠ .

نحن هيكله نقتنيه فينا وهو يقتنينا بدمه الثمين .

[لنعمل ما ينبغى علينا عمله ، معتبرين انه حَّال فينا ، **ونحن هياكله** ، وهو إلهنا الساكن فينا . وهذا سيظهر لنا بكل وضوح إن أحببناه باستقامة(٦٥) .]

[اعتبرتم نفوسكم **حجارة هيكل الآب** أُعدّت لبناء الله ، ورُفعتم إلى فوق بأداة يسوع المسيح ، أى بالصليب ، وبحبل الرّوح القدس . إيمانكم يسحبكم إلى فوق ، والمحبة هى الطريق الذى يؤدى بكم إلى الله .

أنتم اذن رفاق الطريق ، حاملون الله Theophoroi والهيكل Naophoroi والمسيح Christophoroi والقدسات Agiaphoroi(٦٦) .]

حامل الله (الثيؤفورس)

يلقب القديس أغناطيوس نفسَه فى كل افتتاحية من رسائله بالثيؤفورس . وعند محاكمته سأله تراجان الإمبراطور : « ماذا تقصد بحامل الله « ثيؤفورس » ؟ أجابه : « أن يكون السيد المسيح فى قلبه » . ونراه فى النصف السابق يدعو المؤمن « ثيؤفورس » أى حامل الله ، و « ثاؤفورس » أى حامل الهيكل ،

و « خريستوفورس » أى حامل المسيح ، و « أجيافورس » أى حامل القدسات .

غاية إيماننا بالسيد المسيح ان نكتشف مركزنا الجديد ، صرنا قريبين للغاية من الهنا ومن قدساته ... صرنا نحمله فينا كمقدسات مكرسة له ، الأمر الذى يحول قلبنا الى ملكوت مفرح وسط الآلام ، له سماته السماوية ونحن بعد سالكون على الأرض ، نتمتع بالشركة مع السمائيين والقديسين . خلال هذه النظرة الجديدة ننعم بمفاهيم جديدة لعلاقتنا مع الله بل ومع أنفسنا ومع الطغمات السمائية ومع جماعة المؤمنين بل ومع كل البشرية ... يصير لنا فكر المسيح المتسع المملوء حباً نحو الكل !

الشركة مع المسيح

لا يقف الأمر عند حملنا للسيد المسيح ، إنما ننال اتحاداً معه ووجوداً فيه ؛ لذا يكرر القديس أغناطيوس تعبير « فى المسيح » أو « الوجود فيه » ، يريدنا أن نوجد فيه .

[**بكل نقاوة ورزانة اقيموا فى المسيح يسوع ، بالجسد والروح**(٦٧) .]

[أصلى أن توجد فيهم **نعمة الاتحاد** بجسد يسوع المسيح وروحه ، الذى هو حياتنا الأبدى ؛ وحدة الايمان والحب ، التى لا شىء يفضلها(٦٨) .]

[الأمر الوحيد الضرورى هو الوجود فى المسيح يسوع للحياة الأبدية(٦٩) .]

الاقتداء بالمسيح

يقول J. Quasten(٧٠) إنه ليس من كاتب فى الحقبة المسيحية الأولى فى بلاغة أغناطيوس عندما كتب عن « الاقتداء بالمسيح » . إن أردنا أن نعيش حياة المسيح والله لزمنا قبول مبادىء الله والمسيح وسماتهما .

[لا يستطيع الجسديون أن يأتوا أعمالاً روحية ، ولا الروحيون عمل الجسديين ؛ ولا يمكن للإيمان أن يُمارِس عمل الكفر ، ولا الكفر عمل الإيمان .

والأعمال التى تمارسونها حتى فى الجسد هى روحية ، لأنكم تعملون كل شيء فى اتحاد مع يسوع المسيح(٧١) .]

[امتثلوا بيسوع المسيح كما يمتثل هو بالآب(٧٢) .]

[دعونى أمتثل بآلام إلهى(٧٣) .]

الأفخارستيا

كثيراً ما تحدَّثَ القديس فى رسائله عن الأفخارستيا ، لأن الدوسيتيين الذين ينكرون التجسد يرفضون التناول من جسد الرب ودمه : [يمتنعون عن الأفخارستيا والصلاة ، لأنهم ينكرون أن الأفخارستيا جسد مخلصنا يسوع المسيح(٧٤) .]

يمكننا تلخيص نظرته إلى الأفخارستيا فى النقاط التالية :

١ــ الأفخارستيا بالنسبة للمؤمن هى :

(أ) غذاء روحى يشبع النفس ، ويهبها الخلود(٧٥) .

(ب) دواء يشفى المؤمن من أمراض الروح وضعفاتها ومن الموت(٧٦) .

(جـ) تمتع بالوحدة مع الله والكنيسة ، حيث يجتمع المؤمنون حول الأسقف ، وحول مذبح واحد ، ليس لربنا يسوع المسيح سوى جسد واحد وكأس واحدة توحدنا بدمه(٧٧) .

٢ــ يتطلع القديس أغناطيوس إلى الافخارستيا كذبيحة thysia حقيقية . فكثيراً ما يشير إلى المذبح والذبيحة والهيكل(٧٨) .

يؤكد بعض الدارسين انه لا يمكن أن يكون حديثه عن الافخارستيا كذبيحة مجرد استعارات ، وذلك لارتباطها بجانب آخر من أهم جوانب العقيدة المسيحية ، وهى وحدة الكنيسة :

[صلاة واحدة ، تضرع واحد ، عقل واحد ، رجاء واحد فى المحبة وبفرح لا

عيب فيه . هذا هو يسوع المسيح ... اجتمعوا فى هيكل واحد لله حول مذبح واحد فى يسوع المسيح الوحيد(٧٩) .]

٣ــ طقس الافخارستيا هو حياة و « شركة » مع الله خلال الواقع العملى .

يقول الأب جون رومانيدس إن الافخارستيا ــ فى رسائل القديس اغناطيوس ــ ليس عملاً سحرياً ، بل هو إيمان ومحبة يتحدان معاً بجسد المسيح ودمه ، بحيث يمكن أن يُقال إن الإيمان هو هذا الجسد ، والمحبة هى هذا الدم ... مؤكداً ان الرمز هنا لا ينفى الحقيقة ، إذ ننال جسد الرب ودمه المبذوَّلين .

العمـاد

ذُكر العماد فى رسائل القديس أغناطيوس أربع مرات ، فى اثنتين منها يشير إلى عماد السيد المسيح فى الأردن ،والأخريتين إلى سّر الكنيسة .

١ــ [وُلد واعتمد ليطهر المياه بآلامه(٨٠) .]

[عمده يوحنا حتى يتم كل بر ...(٨١)]

جاء النصان الخاصان بالعماد بين الحديث عن أهم أحداث حياة السيد المسيح كالحبل به من العذراء والروح القدس ، ونسبه لداود ، وآلامه ، وقيامته ؛ مما جعل بعض الدارسين يتطلعون إلى عماد السيد المسيح كأحد بنود الايمان الحية فى التقليد الانطاكى .

فكرة تطهير المياه بآلام المخلص أو تكريسها بالمصلوب التى وردت هنا ، كانت منتشرة بين آباء الكنيسة ، نذكر على سبيل المثال :

+ لهذه الغاية اعتمد المخلص هذا الذى لا حاجة به إلى العماد ، حتى يقدِّسَ الماءَ لأجل الذين سيولدون من جديد(٨٢) .

القديس اكليمندس الاسكندرى

+ اعتمد الرب لا ليتطهر بل ليُطهِّر المياه ، حتى اذا ما اغتسلت المياه بجسده الذى لم يعرف الخطية ، جاز لها ان تُستخدم فى العماد[٨٣] .

القديس أمبروسيوس

+ اعتمد المسيح ، أعنى طهّر الماء بعماده[٨٤] .

العلامة ترتليان

نحن نعلم أن اليهود يرون للشيطان ثلاثة مراكز رئيسية : المياه والبرية والهواء ، فكان الأمر يحتاج الى تطهير هذه الثلاثة ؛ طهَّر المياه بعماده ، وطهر البرية بنصرته على التجارب التى أثارها إبليس ضده ، وطهر الهواء بتعليقه على خشبة الصليب .

بعماده طهّر المياه خلال دفنه كما فى القبر وقيامته ليهب خلال المعمودية الحياة الجديدة المُقامة .

٢ــ كتب القديس أغناطيوس الى القديس بوليكربوس : [فليكن لكم عمادكم درعاً ، وإيمانكم خوذة ، ومحبتكم حربة ، وصبركم سلاحاً[٨٥] .]

يُلاحظ أنه يربط العماد بالإيمان مع السلوك الروحى . العماد ليس نهاية الطريق بل هو درع المؤمن الواقى عبر الطريق كله .

٣ــ كتب القديس إلى كنيسة سميرنا موضحاً أنه لا يمنح العماد بدون علم الأسقف[٨٦] .

الاستشهاد

١ــ لا يتحقق الموت مع السيد المسيح والقيامة معه إلا بقبول الألم حتى الاستشهاد . فالاستشهاد هو شرط التتلمذ الحق للمخلص الإلهى ، لذا دعيت الكنيسة « **موضع الذبيحة** »[٨٧] ، لأنها تجتمع حول السيد المسيح الذبيح على الدوام ، خاصة فى سرّ الافخارستيا حيث تقدم ذات ذبيحة الصليب على المذبح . وبتناول جسده ودمه المبذولين يتهيأ المؤمنون لقبول الاستشهاد بفرح .

هكذا يربط القديس أغناطيوس بين الاستشهاد والأفخارستيا بكونهما وسائل سرية لتحقيق الاتحاد مع المسّيا الذبيح .

[انكم متمثلون بالله ، وقد أكملتم عمل الإخوة حتى النهاية بدم الله . وما أن عرفتم بمجيئى من سوريا ، موثقاً لأجل الاسم ... راجياً أن احظى بمعونة صلاتكم ، بمجابهة الوحوش فى روما **لأتمكن من أن أكون حقاً تلميذ المسيح**[٨٨] .]

[هيجّوا هذه الوحوش الضارية لتكون قبراً لى ، ولا تترك شيئاً من جسدى ... **حينئذ أصير تلميذاً حقيقياً ليسوع المسيح عندما لا يرى العالم جسدى** . صلوا إلى المسيح من أجلى حتى عندما**أعدو بفضل الوحوش الضارية ضحية إلهى**[٨٩] .]

٢ـــ يرى البعض أن القديس اغناطيوس قد تأثر بالفكر الميستيكى mysticism (الباطنى أو السرى) الذى للغنوصيين[٩٠] ، إذ يلتهب قلب القديس شوقاً نحو الموت أو فناء ذاته ليقتنى الله . الله الآب يدعوه فى المسيح يسوع وينتظر مجيئه إليه ؛ فليمت اغناطيوس ليحيا فى المسيح كتلميذ حقيقى يلتقى بمعلمه وجهاً لوجه . او بمعنى آخر السيد المسيح الحّال فى اغناطيوس ، والحاضر فى حياته إنما يقتاده عبر الموت إلى حضن الآب فينعم بالحياة الأبدية .

لقد وجدت الكنيسة الأولى فى كلمات القديس أغناطيوس النارية بخصوص مفاهيم الاستشهاد والشوق إليه ، فى رسالته إلى أهل رومية ، فكانت تقرأ مرة ومرات فى أوقات الاستشهاد[٩١] ، لتهيئة النفوس بالشوق نحو الاتحاد مع المسيا المتألم وقبول دعوته للانطلاق نحو الآب ... [**دعونى امتثل بآلام إلهى !**]

لقد قدم لنا لاهوتاً حياً عملياً بخصوص فهم الاستشهاد .

٣ـــ مع ما اظهره القديس من شوق عجيب وشعور بعدم الاستحقاق أن يكون شهيداً للرب غير ان قلبه المنفتح على السماء كان منفتحاً على الكنيسة الكاثوليكية (الجامعة) . لم ينشغل بالأحداث التى يمر بها فى اللحظات

الأخيرة ، وإنما اهتم وهو أسير أن يلتقى بالشعوب ويكتب للكنائس والأساقفة ، مشتاقاً نحو وحدة الكنيسة وبنيانها وشركتها معاً فى المسيح يسوع . وكأن المسيحى الحقيقى وهو يقدم حياته ذبيحة حب لله ينشغل بخلاص اخوته وبنيانهم الروحى وتمتعهم معه بالمجد . الاستشهاد شهادة حب لله والناس ، وانفتاح قلب على السمائيين والأرضيين لحساب ملكوت الله !

الشهادة للسيد المسيح (٩٢)

يكتب القديس أغناطيوس عن شهادتنا للسيد المسيح أمام الأمم ، كأسقف مختبر عرف كيف يربح نفوساً كثيرة للسيد المسيح . لذلك لا ننتظر منه كلاماً منمقاً أو حديثاً شيقاً فحسب وإنما خبرة عملية تمس حياتنا العملية فى الشهادة لانجيلنا ومخلصنا .

١ــ الصلاة من أجل الآخرين : اختبر قوة الصلاة وعملها فى الخدمة والكرازة . لذا لم يكف عن أن يطلب الصلاة من أجل شعبه فى رسائله للشعوب الأخرى ، كما يطلب الصلاة من أجل النفوس البعيدة لكى تبلغ إلى الله بالتوبة .

[صلوا بلا انقطاع من أجل الآخرين ، فإنه يُرجى فيهم التوبة ليبلغوا إلى الله(٩٣) .]

٢ــ القدوة الصالحة: فالكرازة ليست شهادة فم فحسب ، وإنما هى شهادة حياة ، وكشف عن عمل الثالوث القدوس فى سلوكنا اليومى .

[علمِّوهم على الأقل بأعمالكم ، فيكونوا لكم تلاميذاً . قابلوا غضبهم بالهدوء ، وكبرياءهم بالوداعة ، وتجديفهم بالصلاة ... كونوا مترفقين أمام قسوتهم ، ولا تطلبوا الانتقام(٩٤) .]

[انه من الأفضل أن نصمت ونعمل عن أن نتكلم ولا نعمل . فالتعليم حسن ، إذا كان المعلم يعمل ما يعلم به . ليس لنا سوى معلم واحد ، هو الذى قال وعمل كل ما قاله(٩٥) ...]

الاكليـروس

جاهد القديس أغناطيوس ضد الهراطقة بكل حزم ، محذراً شعبه وشعوب الأسقفيات المجاورة منهم بكونهم ذئاباً ترتدى ثياب الحملان ، يتسللون إلى الكنيسة للخطف والهدم . وقد طالب الأب أغناطيوس من الشعب أن يلتف حول الاكليروس بروح الحب والطاعة لأجل وحدة الكنيسة كجسد المسيح وتمتعها بالحياة فيه .

فيما يلى أهم المبادىء التى ذكرها بخصوص الاكليروس :

(أ) الدرجات الكهنوتية الثلاث مع الشعب يلتزمون **بالعمل كإرادة الآب** ، **حسب فكر المسيح** ، **بالروح القدس** :

[إنها (الكنيسة) فرحى الأبدى ، لاسيما إن ثابر أبناؤها على أن يكونوا واحداً مع الأسقف والقساوسة والشمامسة الذين أقيموا معه (مع الأسقف) حسب فكر يسوع المسيح الذى يثبتهم **حسب مشيئته الخاصة وبروحه القدوس**[٩٦] .]

[أسقف واحد مع القساوسة والشمامسة رفاق فى الخدمة ، وهكذا تتممون فى كل شىء **مشيئة الله**[٩٧]] .

الكنيسة كجماعة ليتورجية متعبدة لله حول المذبح لا يمكن أن تقوم بدون الاكليروس فى درجاته الثلاث : [بدون هؤلاء لا توجد كنيسة[٩٨] .]

تأكيده على الاتحاد مع الاكليروس ، خاصة الأسقف ، كعلامة على الاتحاد مع السيد المسيح انما يعنى ان اتحاد المؤمن مع مخلصه وان تحقق خلال علاقة شخصية لكن ليس بطريقة فردية بمعزل عن الكنيسة كجماعة المؤمنين ... لنفس السبب كثيراً ما كرر الحديث عن الأفخارستيا وغيره من الأسرار الكنسية كطريق للتمتع بالشركة مع الله فى المسيح يسوع الذبيح .

(ب) كل ما يتعلق بالكنيسة ينبغى أن يتم بالاشتراك مع الأسقف والقسوس والشمامسة :

[لازموا الأسقف ملازمة المسيح لأبيه ،
واتبعوا لفيف القساوسة اتباعكم للرسل ،
كرموا الشمامسة كاحترامكم لوصية الله .
لا يصنع أحد شيئاً يخص الكنيسة بدون الأسقف(٩٩)] .

جاء هذا الفكر لمقاومة تصرفات الهراطقة الذين يقيمون **اجتماعات باسم السيد المسيح** ، غايتها الخفية مقاومة الكنيسة ، خاصة وأنهم لم يؤمنوا بالأفخارستيا كذبيحة وكجسد الرب واهب القيامة ، لذا يقول :

[يكرم بعضهم الأسقف بالكلام فقط ولا يعتبرونه فى أعمالهم كلها . ويبدو لى أن مثل هؤلاء لا يتصرفون بضمير صالح ، **إذ لا يعقدون اجتماعات شرعية مطابقة لوصية الرب** (١٠٠) .]

[لأنه (المسيح) واحد مع الآب ، هكذا أنتم لا تأتوا عملاً بمعزل عن الأسقف والقساوسة ... بل اعملوا عملكم حسب الشركة ، وهى صلاة واحدة . طلبة واحدة ، فكر واحد ، رجاء واحد فى المحبة وبفرح بلا عيب . هذا هو يسوع المسيح لا يفضله شيء . اجتمعوا فى **هيكل واحد ومذبح واحد** فى يسوع المسيح الوحيد(١٠١)] .

(جـ) فى الخضوع لهم **تحقيق للوحدة** معاً فى المسيح الواحد ، **وتمتع بالحياة المقدسة** فى الرب .

[ينبغى عليكم ... أن تطيعوا الأسقف ولفيف القساوسة ، حتى **تتقدسوا** فى جميع الأمور ...]

[إن كنت أنا نفسى فى زمن قصير قد ارتبطت بأسقفكم برباط روحى لا جسدى ، فكم أنتم **مباركون** . فأنتم المتحدون معه مثل اتحاد الكنيسة بالمسيح ، ومثل اتحاد المسيح بالآب ، حتى **يأتلف الكل فى وحدة** (١٠٢) .]

ثابروا على الاتحاد بإلهنا يسوع المسيح وبالأسقف وبوصايا الرسل ... من يصنع عملاً بدون الأسقف والقساوسة والشمامسة فضميره غير نقى(١٠٣)] .

(د) الوحدة والخضوع للأسقف هما أيقونة للوحدة والخضوع لله أبى ربنا يسوع أسقف الجميع ... كأن الشعب إنما يرى فى **الأسقف** السيد المسيح العامل فيه ، لا شخص الأسقف فى ذاته .

[لا تستهينوا بحداثة أسقفكم ، بل أدّوا له كل احترام من **أجل سلطان الله الآب** .

وإنى أعرف أن قساوستكم القديسين لم يستخفوا به بالرغم من حداثة سنه كما يبدو عليه ، بل كأناس واعين فى الله اظهروا له الخضوع . **ليس له** ، بل لأبى يسوع المسيح أسقف الجميع(١٠٤) .]

يوضح القديس أغناطيوس أن الوحدة مع الأسقف هى صورة حية عن الوحدة مع السيد المسيح :

[كل من ينظر الأسقف صامتاً ، عليه أن يوقره ، لأن رب البيت أرسله ، ليدبر بيته ؛ علينا أن نقبله كما نقبل من أرسله . ولذلك علينا أن نعتبر الاسقف كما نعتبر الرب نفسه(١٠٥) .]

[عندما تطيعون أسقفكم طاعتكم ليسوع المسيح يصير هذا برهاناً على أنكم لا تعيشون حسب العالم ، بل بحسب يسوع المسيح الذى مات لأجلكم(١٠٦) .]

يرى أيضاً أن الأسقف مثال الآب :

[على الجميع أن يحترموا الشمامسة احترامهم ليسوع المسيح ، والأسقف مثال للآب(١٠٧) ...]

(هـ) الخضوع ليس خنوعاً ولا ضعفاً ولا استخفافاً بالشعب ، بل علامة الوحدة ؛ مقدماً خضوع السيد المسيح الواحد فى أبيه والمساوى له فى الجوهر مثالاً .

[اخضعوا للأسقف ، وليخضع بعضكم للبعض الآخر ، كما أن يسوع المسيح كان خاضعاً لأبيه(١٠٨) .]

هنا نلاحظ فى كلمات القديس تكريماً لمفهوم الخضوع ، إنه امتثال بالسيد المسيح ، بل ممارسة وشركة لطبيعة الحب والطاعة والخضوع التى للسيد المسيح . هذا وان الخضوع هو سمة المسيح ، نلتزم بها ليس فقط من جهة الأسقف بل ويخضع البعض للبعض الآخر ... هو سباق للتمتع بروح الخضوع الذى تتسم به النفس داخلياً ! ربما أردف قوله « **وليخضع بعضكم للبعض الآخر** » ، ليعنى أنه كما يخضع الشعب للاكليروس يليق بالاكليروس أن يحملوا طبيعة الخضوع والاتضاع ، فانه من الخطورة أن يظن الكاهن فى نفسه الآمر الناهى ، يأمر فيُطاع . فالطاعة له إنما هى من أجل السيد المسيح العامل الذى الكل ـــ اكليروساً وشعباً ـــ يلتزمون أن يحملوا وداعته .

يظهر بوضوح أن تشديده على الخضوع للأسقف وطلب مشورته فيما يخصَ الكنيسة وعدم اتمام الأسرار الكنسية بدونه مع الاتحاد به لا يعنى تقديم كرامة شخصية للأسقف من الآتى :

I . يطالب الجميع باحترام الشمامسة احترامهم ليسوع المسيح(١٠٩) . إن كان يقول : [لازموا الأسقف يلازمكم الله(١١٠)] ، فانه فى نفس الوقت يحسب كل احترام للشماس احترام للسيد المسيح ... وكأن ما يشغله فى علاقتنا بالاسقف أو الشماس أو بعضنا البعض هو تلاقينا مع ربنا يسوع المسيح .

II . يدعو الشمامسة شركاءه أو رفقاءه فى الخدمة . إن كان للأسقف دور القيادة ففى الرب ، يجمع كل العاملين فى كنيسة الله كشركاء معه فى الخدمة دون استخفاف بدورهم أو وزناتهم ... إنها تنوع فى الخدمة ، كقول الرسول بولس : « وأنواع خدم موجودة ولكن الرب واحد » ١ كو ١٢ : ٥ . .

III . أوضح التزام الأسقف الذى يكرِّمه الشعب :

[حافظ على مركزك بكل عناية ... وابذل جهدك فى سبيل الوحدة التى لا شيء أفضل منها . ساعد الجميع كما يساعدك الله ...

اسهر بروح لا يعرف الكسل[111] .]

لقد سجل لنا القديس أغناطيوس فى رسالته إلى زميله الذى يصغره جداً فى السن بوليكربس أسقف سميرنا اختباراته الرائعة فى ضرورة اهتمام الاسقف بشعبه بكونه أباً يقظاً يهتم بكل انسان على انفراد ليهبه ما يناله من قِبل الرب ... فى أبوته لا يهتم بتلاميذه الصالحين فحسب بل وبالمشاغبين ، ليضمّد جراحاتهم بلزقة (plaster) (ضمادة) الوداعة والحكمة ... يهتم بالسادة كما بالعبيد ، الذكور والاناث .

(و) يعلمنا القديس أكليمندس الرومانى وأيضا الديداكية[112] أن الأسقفية ليست مجرد سلطة تدبيرية ولكنها أيضا كهنوت متعبد ، هكذا أوضح القديس أغناطيوس نفس المفهوم . ففى فكره تكون العلاقة بين الأسقف والأفخارستيا (وكل علم ليتورجى) غير منفصمة ، إذ ان الوحدة مع الأسقف والوحدة مع الآخرين فى الخبز الواحد فى الهيكل هما حقيقة واحدة[113] .

[لا تشتركوا إلا فى أفخارستيا واحدة ،
لأنه ليس لربنا سوى جسد واحد وكأس واحدة توّحدنا بدمه ، ومذبح واحد ،
وأسقف واحد مع القساوسة والشمامسة رفاقى فى الخدمة ، وهكذا تتممون فى كل شيء مشيئة الله[114] .]

يرى القديس أغناطيوس انه لا يجوز أن تقام الأسرار بدون الأسقف وعند الضرورة يسمح للكاهن باتمام الافخارستيا . والسبب فى هذا انه كان لكل مركز ليتورجى أسقف مسئول عنه . وإذ تزايد عدد المؤمنين فى المدن اقتضت الضرورة أن يقوم الكاهن بإتمام الأفخارستيا والعماد الخ ... وصار الفارق بين الأسقف والكاهن قيام الأول بالشرطنة . إذ امتدت الكنيسة إلى القرى صار للقرى أساقفة أقل من أساقفة المدن ، إذ ليس لهم حق الشرطنة (السيامة) . ويرى بعض الدارسين أن أسقف القرية لا يختلف كثيراً عن القسوس .

[لا يفعلّن أحد منكم شيئاً يخص الكنيسة دون إرادة الأسقف . الأفخارستيا هى السرّ الذى يتممه الأسقف أو من ينتدبه . لا يجوز أن تُمنح المعمودية ولا تقام وليمة الأغابى بدون الأسقف(١١٥) .]

يكشف ارتباط الأسقف بالأفخارستيا عن مفهوم رئاسته ووحدة الشعب وخضوعهم له . إن كان الأسقف يمثل السيد المسيح فمسيحنا لا تقوم رئاسته على الأمروالنهى وإنما على حبه وبذله ، ارتفع على الصليب كما على كرسى رئاسته ، وبسط يديه ليحتضن العالم كله ، وفتح جنبه لتجد كل نفس ملجأ لها وسط الأحشاء الإلهية الملتهبة فى استحقاقات الدم الثمين .

مع كل ممارسة لسّر الأفخارستيا يليق بالأسقف أن يحمل روح مسيحه الذى يقدم جسده ودمه ذبيحة حب للآب لحساب العالم ... فيشتاق أن يُبذل من أجل الرعية ... هذا هو مفهوم الرئاسة التى ندركها خلال سّر الأفخارستيا .

رسالة رومية ورئاسة أسقفها (١١٦)

أولا : يقول الأب فيليب السمرائى الكاثوليكى [يقدم القديس أغناطيوس فى رسائله إلى كنائس آسيا النصح والإرشاد ويتحاشى أن « يأمرها أمراً » بالرغم من كونه مقيداً بالسلاسل من أجل المسيح ومسافراً إلى روما ليطرح للوحوش حباً به . وهذا دليل على استقلال كل كنيسة استقلالا داخلياً إذ لا تخضع مباشرة إلا لأسقفها .

أما فى رسالته إلى كنيسة رومية ، فإنه يتحاشى أن لا يأمر هنا فحسب بل يتحاشى أن يسدى لها النصح والارشاد . وقد ملأها من عاطفة الاحترام البليغ والاعتبار السامى لها ، وجل ، ما طلبه منها مترجياً أن لا تحول دون استشهاده .]

وبهذا القول يظن هذا الأب أنه يثبت رئاسة كنيسة روما على الكنيسة فى العالم ، لكنه نسى :

١ـــ أن هناك دالةً قويةً بين أغناطيوس وأساقفة البلاد الأسيوية ، ومعرفة تامة

لكل شئونهم ... لذلك وإن كان قد مدحهم كثيراً كما مدح كنيسة روما لكنه نصحهم وأرشدهم بحكم هذه الدالة .

٢ــ أن أغناطيوس ، لكبر سنه وقوة شخصيته وحكمته الإلهية ، كان الأساقفة **الآخرون** وشعوبهم المتضعة يلجأون اليه ... دون التفكير فى موضوع الرئاسة أو الخضوع له ... لأن حب يسوع والاهتمام بكنيسته ، كان يشغلهم حتى لم يبق لهم وقت للحديث عمن هو الأعظم بينهم ؟!

٣ــ كثيراً ما أستخدم اغناطيوس صيغة الأمر فى رسالته إلى بوليكربس أسقف سميرنا ، فهل كان هذا الأسقف خاضعاً لأغناطيوس ؟!

٤ــ أن هدف رسالته لرومية مختلف تماماً عن هدف رسائله الأخرى ، فالأولى كان يوجه كل اهتمامه نحو كسبهم بالمحبة ألا يعيقوا إضطهاده ... أما الرسائل الاخرى فهدفها حث تلك الكنائس التى حوله للجهاد ونزع الانشقاقات ... الخ .

٥ــ قد إستخدم أسلوب التحذير القاسى الذى لا يليق أن يوجهه إنسان إلى رئيسه ... « رئيس هذا العالم (الشيطان) يفرح باقصائى بعيداً عن الله وإفساد إشتياقى له . ليتكم أيها القاطنون بروما لا تعاونوه ... فلا تتحدثوا عن يسوع المسيح بينما تكون اشتياقاتكم إلى العالم » .

٦ــ الموضوع الرئيسى الذى تعرض له فى أغلب رسائله هو « وحدة الكنيسة » . وقد طالب الشعب بالخضوع للأسقف القائم مقام الله ، والكهنة ممثلى مجلس الرسل والشمامسة خدام يسوع المسيح ، فأين هو موضع الخضوع لأسقف روما ؟!

٧ــ لو كان لأسقف روما حق السيطرة على أساقفة الكراسى الأخرى ، لما جاز لأغناطيوس أن يأمر الأساقفة الآخرين كما يظن الاب السمرائى لأنه لم يكن أسقفاً لروما ، بل كان الأجدر به أن يطلب من أسقف روما أن يهتم بهذه الكراسى ومشاكلها .

ثانياً : يقول الآب السمرائى : « ويكفى أن نذكر فاتحتها حتى يبان إحترام القديس اغناطيوس لها ... إلى الكنيسة المترئسة فى بلاد الرومان ... إلى الكنيسة التى ترأس بالمحبة » .

١ــ ويجيب الدكتور أسد رستم(١١٧) : والواقع أن هنالك غموضاً فى هذين النصين أدى بطبيعة الحال إلى هذا الاختلاف فى الرأى . فما هى « أرض الرومان » بالضبط ، وما هو مقدار إتساعها ؟ وإذا كانت الكنيسة تترأس فى أرض الرومان فما هو نوع هذه الرئاسة ؟ هل هى رئاسة سياسية أم ثقافية أم أدبية أو روحية ؟ وما هو معنى « المحبة » بالضبط ؟ ولماذا خص اغناطيوس هذه الكلمة باداة التعريف فى النص اليونانى ؟

ويقول الدكتور رستم فى كتابه « نحن وروما والفاتيكان »(١١٨) ، وتميزت بعض الكنائس فى هذا الوقت بميزات معينة أفاضت عليها شيئاً من النفوذ لم يكن لغيرها .

فالسيد نفسه أسس كنيسة أورشليم وجميع الرسل عملوا فيها ويعقوب أخو الرب تولى أمورها وفيها عقد أول المجامع . ولا تزال وحدها قبلة انظار المؤمنين فى اقطار العالم .

وكنيسة أنطاكية كانت كنيسة عاصمة ولاية الشرق واكبر مدنه وأهمها ... وكانت مركزاً ثقافياً هاما .

ومثل هذا يصح إلى حد بعيد عن كنيسة الإسكندرية ، فالاسكندرية كانت لا تزال اكبر مدن الشرق كله وأوسعها متجراً وأسبقها علماً وثقافة . وكانت جاليتها اليهودية أهم جاليات اليهود خارج فلسطين ، ولها كلمتها بينهم . فسبقت كنيسة الإسكندرية سائر كنائس العالم إلى التذرع بالعلم والفلسفة والعكف على الأسفار المقدسة والدفاع عن العقيدة فاصبحت هى المعلمة الأولى .

وإذا كانت انطاكية عاصمة ولاية الشرق وأفسس عاصمة آسيا الساحلية والاسكندرية عاصمة مصر والقيروان ، فان رومه كانت فى هذه القرون الأولى

عاصمة الامبراطورية بأسرها ، وإليها تشد الرحال وفيها تفصل المشاكل وعنها تصدر الاحكام . فأمسى أسقفها ؛ والحالة هذه له خطورته ، إذ أن أى تصرف يصنعه إنما يراه الحكام كما لو ارتكبه المسيحيون فى الدولة الرومانية .

هذا لا يعنى أن لأسقف روما السيطرة على أساقفة العالم لكن مركزه فى العاصمة قبل انقسام المملكة يجعل تصرفاته لها خطورتها . مثال ذلك أى تصرف يصدر من أسقف يقطن بين البوذيين أو الملحدين ... إنما هذا التصرف لا ينسب إلى الأسقف بل كما لو كان صادرا عن كل المسيحيين ، لأنهم لا يحتكون بأسقف غيره .

هذا قبل إنقسام المملكة الرومانية ، أما وقد انقسمت المملكة إلى شرقية وغربية لم يعد لأسقف روما خطورته الأولى . وهنا لا أقصد بالخطورة السلطة أو السيطرة إنما كشخص مسئول له مكانته الدينية ورتبته الكهنوتية بين السلطات المدنية .

ولكى نعرف كيف حاولت كنيسة روما أن تستغل (بعد ذلك) السلطان المدنى فى السيطرة على الكنيسة راجع كتاب « عصر المجامع » .

٢ـــ لو صح القول بأن لأسقف روما الرئاسة عليه لوجَّه الحديث إليه لا إلى كنيسة روما . وكان الأجدر به أن يذكر فى المقدمة « إلى الأسقف الرئيس على كنيسة العالم » ... لا « الكنيسة التى ترأس المكان السائد فى بلاد الرومان » .

٣ـــ لو كان لأسقف روما الرئاسة على الكنيسة الجامعة فى العالم ، لطلب منه أن يعد أسقفا لانطاكية يخلفه . لكننا نجده يطلب من شعب روما أن يصلى لأجل كنيسة أنطاكيا ، وهو نفس الطلب الذى إلتمسه فى بقية رسائله ، بل نجده طلب من بوليكربُس الاهتمام بشئون كنيسة انطاكية أكثر من طلبه لشعب روما فى هذا الشأن .

الزيجة

لا يتحدث كثيراً عن الزيجة . طلب أن يكون الاتحاد فى الزيجة بموافقة

الأسقف حتى يكون الزواج حسب الرب ، يحمل رمز الحب بين السيد المسيح وكنيسته العروس[١١٩] .

البتوليـة

فى نص فريد يجمع القديس أغناطيوس بين البتولية والتواضع ، والعفة هنا هى اكرام لجسد الرب ، وهى ذبيحة مقدمة من أجل الكنيسة : [البتولية ليست احتقاراً للزيجة ... ولا نلمح هذا الاستعلاء ، لأن العلاقة بين الرجل والمرأة كعلاقة المسيح بالكنيسة[١٢٠] .]

الصمـت

يقدم لنا السيد المسيح مثلاً حياً للمعلم الذى يعمل بكلامه كما بصمته ، وكأنه يليق فى عبادتنا كما فى كرازتنا أن نسلك فى المسيح يسوع ربنا ، به ننطق بكلماتنا ، وبه نعلن شبعنا بصمتنا .

[من امتلك الحق ، يحدثه يسوع ؛ ويستطيع أن يصغى حتى إلى صمته (صمت السيد المسيح) ، فيكتمل ويعمل بكلمته وصمته (صمت المؤمن المدرك لصمت السيد المسيح)[١٢١] .]

1 - J. Lebreton, Jacques Zeiller: The History of the Primitive Church, London 1944, vol. 2, p. 349.
2 - Rev. H. S. Holland: The Apostolic Fathers, SPCK London, p. 116.

٣ ــ كلمة « دوسيت » مأخوذة عن اليونانية δokε'w ، تعنى « أبدو I seem » . ظهر هذا الاتجاه ـــ اكثر منه تعليم محدد رسمى ـــ منذ القرن الأول ، ينادى بان السيد المسيح لم يكن له جسد حقيقى بل ظاهرى ، وبالتالى لم يتألم ولا صُلب ... ظهر هذا الاتجاه بأكثر قوة فى الغنوسية فى القرن الثانى .

- Cross: Dict. of the Christian Church, p. 413.
4 - Ep. to Philad. 8.

٥ ــ الأصول المسيحية الشرقية : (١) رسائل رعوية ، ترجمها وقدم لها جورج صابر ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ٣٣ .

6 - J. Lebreton, p. 351-2.
7 - Tral. 3:3.
8 - Rom. 4: 1-2.
9 - Rom. 3:2.
10- Rom. 3:3.
11- Quasten: Patrology, vol. 1, p. 66.
12- Magn. 9: 1-2.
13- Eph. 7:2.
14- Smyrn. 1:1.
15- Polyc. 3:2.

١٦ ــ مغنيسيا ١١ : ١ ؛ تراليا ٩ : ١ ــ ١٠ : ١ .
١٧ ــ الأب يوحنا رومانيدس : لاهوت الكنيسة عند القديس اغناطيوس الانطاكى ، ترجمة الأب ميشال نجم .
١٨ ــ مغنيسيا ١٠ .
١٩ ــ أفسس ١٨ .
٢٠ ــ أفسس ١٧ .
٢١ ــ تراليا ٩ : ٢ .

٢٢ــ تراليا ٩ : ١ .

٢٣ــ ازمير ١ : ٢ .

٢٤ــ تراليا ١١ : ٢ .

٢٥ــ روما ١١ : ٣ ؛ ٤ : ١ ، ٢ .

٢٦ــ تراليا ٢ .

٢٧ــ أزمير ٣ : ١ــ٣ .

٢٨ــ تراليا ٩ : ٢ .

29- Magn. 5.
30 Rom. 5.
31- Rom. 7.
32- Smyrn. 4.
33- Ephes. 5: 2; Tral. 7: 2; Philad. 4.
34- Ephes. 14.
35- Magn. 6.
36- Philad. 9.
37- Rom. 7.
38- Ephes. 20; Rom. 7. Smyrn. 7.
39- Ephes. 13.
40- Ephes. 5.
41- Trall. 7.
42- Smyrn. 8.
43- Magnes. 7:2.
44- Magnes. 8.
45- Tral. 2: 1-2.
46- Ephes. 2:1.
47- Ephes. 9:1.
48- Philad. inscr. 1:1; 3:2; Polyc. insc.; Ephes. inscr; 21:2; Magnes. inscr.; Trall. 1:1; 12:2; Smyrn. inscr.
49- Ephes. 21:2.
50- Philad. 1; Trall. 1.
51- Philad. 1.
52- Ephes. 3:1; 8:2; 10:3; 11:1,2; 12:2; 20:2; 21:2.
53- Ephes. 6:2; Magnes. 3:3; 14; Trall; 4:1; 8:2; Polycarb. 1:1.
54- Ephes. 12:2; Magnes 14:21; Trall 12:2; 13:3; Rom. 1:1; 2:2; 4:1; 9:2; Smyrn. 12:1; Polyc. 2:3; 7:1.

55- Rom. 5:3; 6:1.
56- Philad. 7:2; Eph. 9:2; Magn. 12.
57- Lebreton. p. 359.
58- Ephes. 20.
59- Rom. 1.
60- Ephes. 1:1.
61- Ephes. 7.
62- Philad. 10; Smyrn. 11; Polyc. 7.
63- Magnes. 3.
64- Ephes. 6; Magnes. 6; Tral. 3.
65- Ephes. 15:3.
66- Ephes. 9: 1,2.
67- Ephes. 10:3.
68- Magnes. 1:2.
69- Ephes. 11:1.
70- Quasten: Patrology, vol. 1, p. 70,71.
71- Ephes. 8:2.
72- Philad. 7:2.
73- Rom. 6:3.
74- Smyrn. 7:1.
75- Ephes. 20:2.
76- Ephes. 20:2.
77- Philad. 4.
78- Magnes. 7:1; Tral. 8:1; Rom. 7:1; Philad. 4:1.; Smyrn. 7:1.
79- Magnes. 7: 1,2.
80- Ephes. 18.
81- Smyrn. 1.
82- Les Eclogae, 7.
83- Expositio Evangelii secundun Lucan, 2:38.
84- Adv. Judaeos, 8.
85- Polyc. 6.
86- Samyr. 8.
87- Ephes. 5:2; Trall. 7:2; Philad. 4.
88- Ephes. 1: 1,2.
89- Rom. 4:2.
90- Lebreton, p. 357.
91- St. Irenaeus: Adv. Haer. 5: 28: 4; Acts of Perpetua and Felicitus 14; Origen: Der Oratione 20; In Cant., Prolog.

٩٢ــ للمؤلف : القديسان الشهيدان أغناطيوس وبوليكربُس ، ص ٧٢ .

93- Ephes. 10:1.
94- Ephes. 10: 1,2.
95- Ephes. 15:1.
96- Philad. inscr.
97- Philad., 4.
98- Tral. 3.
99- Smyrn. 8.
100- Magnes. 4.
101- Magnes. 7: 1,2.
102- Ephes. 2,5.
103- Trall. 7.
104- Magnes. 3.
105- Ephes. 6:1.
106- Trall. 2.
107- Trall. 3.
108- Magnes. 13.
109- Trall. 3.
110- Polyc. 6.
111- Polyc. 1.
112- Clem. 44: 4; Didache 15.

١١٣ــ راجع كتاب الأب جون رومانيدس ...

114- Philad. 4.
115- Samyr. 8.

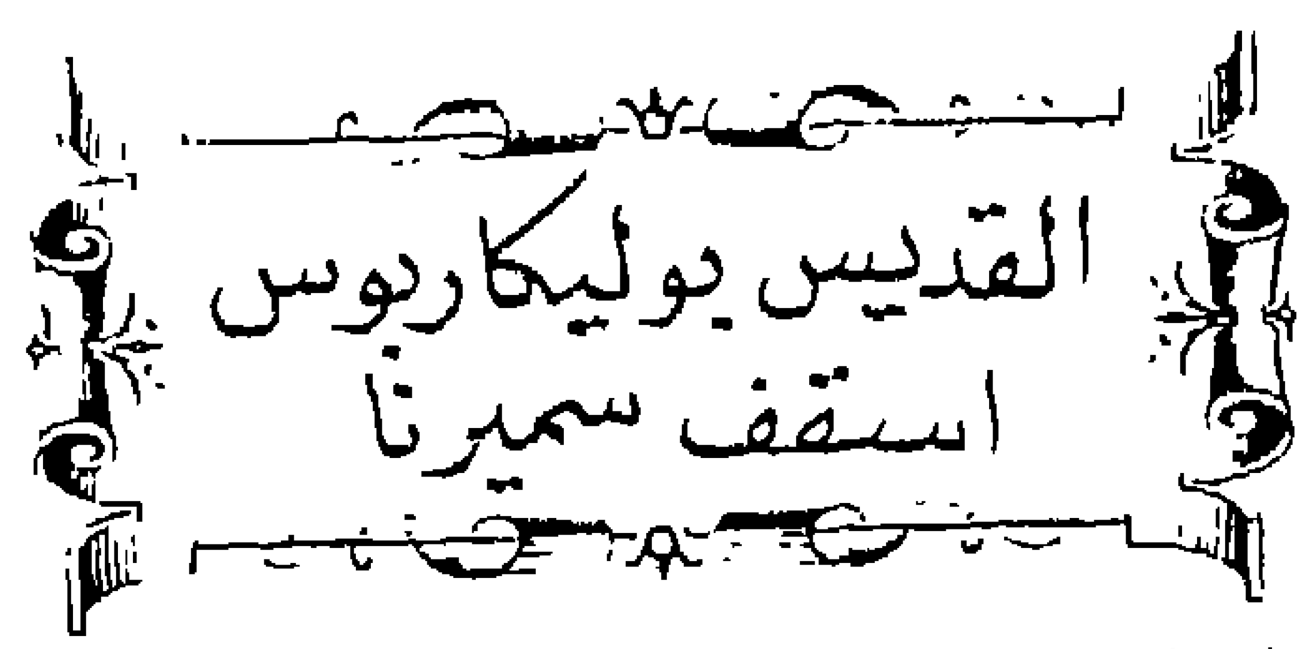
١١٦ــ المؤلف : الشهيدان أغناطيوس وبوليكربس ، ص ٣٥ــ٤١ .

١١٧ــ الدكتور أسد رستم : كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ، مجلداً، ص ٥٤ .

١١٨ــ الحديث التالى مقتطفات عن اقواله ، ص ١٠ــ١٣ :

119- Polyc. 6:1; 5:2.
120- Polyc. 5:1.
121- Ephes. 15:2.

\+ + +



ST. POLYCARP OF SMYRNA

من أهم الشخصيات الكنسية فى ولاية آسيا الصغرى فى النصف الأول من القرن الثانى[1] ؛ استحق لقب « معلم آسيا ، وأب المسيحيين ، ومحطم الآلهة[2] » .

كما نرى فى رسالته ووقائع استشهاده هو انسان وقور ، ارتعب الجند من هيبته ووداعته وبشاشته عندما أرادوا القبض عليه ، لم يخف عذابات الموت ، وكان قلبه متسعاً بالحب نحو الغير يصلى لأجلهم فى لحظات استشهاده .

لا نعرف شيئاً عن نشأته ، إنما حوكم حوالى سنة ١٥٥ م وكان عمره حوالى ٨٦ عاماً ، لذا فقد وُلد حوالى سنة ٦٩ م ، وتعمد فى صباه .

يروى عنه كلارك C.P.S. Clarke أن سيدة تقية تدعى كالستو Callisto اشترته بناء على رؤيا ، وأودعته منزلها ، وعندما نمى جعلته مدبراً لممتلكاتها . سافرت لأمر ما وسلمت مخازنها له ، فالتف حوله الأيتام والأرامل والفقراء فكان يعطيهم بسخاء . وإذ رجعت السيدة أخبرها العبد زميله بما حدث ، لكنها إذ فتحت المخازن وجدتها مملوءة كما كانت . أمرت السيدة بعقاب العبد الزميل لكن بوليكربوس تشفّع فيه واخبرها بحقيقة الأمر فدهشت كالستو من عمل الله ، وكتبت لبوليكربوس وصيتها أن يرث كل ما تملكه بعد وفاتها ، أما هو فلم يشغله هذا الأمر .

يرى البعض أن بوكوليس Bucolus أسقف سميرنا سامه شماساً ، فشهد للمخلص بالكلام كما بحياته ، وكان يواجه الأمم واليهود والهراطقة ؛ فسامه كاهناً وهو صغير السن ، وقد قال عنه الأسقف إنه مستحق أن يكون مشيراً ومشاركاً له فى التعليم .

ويرى آخرون انه قد تتلمذ على يدّى القديس يوحنا الحبيب ، وقد تعرَّف على عدد ممن عينَّهم الرب ، وربما قام القديس يوحنا نفسه بسيامته أسقفا على سميرنا (أزمير) .

بوليكاربوس أسقف سميرنا

قال عنه تلميذه **القديس إيريناؤس** (٣) : [وأما **بوليكاربوس** ليس فقط قد تَعلَّم بواسطة الرسل ، وتحدث مع كثيرين ممن شاهدوا المسيح ، بل وأيضا تَعلَّم بواسطة الرسل فى آسيا ؛ وأُقيم أسقفاً فى سميرنا ، هذا الذى رأيته فى صغرى .]

يقول **العلامة ترتليان** إن القديس يوحنا الحبيب هو الذى أقامه أسقفاً ، وذلك قبل نفيه إلى جزيرة بطمس .

قيل إنه ملاك كنيسة سميرنا الذى أشار إليه سفر الرؤيا (٢ : ٨) ، وهو الوحيد من بين الأساقفة السبعة الذى وجده باراً ، غنياً فى الإيمان ، فقيراً فى مادياته ، مقاوماً للمجدفين ، ينتظر دخوله فى ضيق .

قال عنه **القديس إيريناؤس** : [إنه إلى الآن لم يزل ثابتاً فى مخيلتى نوع الاحتشام والرصانة الذى كان يتصف به القديس **بوليكاربوس** مع احترام هيئته ووقار طلعته وقداسة سيرته ، وتلك الارشادات الإلهية التى كان يعلِّم بها رعيته . ويأبلغ من ذلك ، كأنى أسمع ألفاظه التى كان ينطق بها عن الأحاديث التى تمت بينه وبين القديس يوحنا الانجيلى وغيره من القديسين الذين شاهدوا يسوع المسيح على الأرض ، وترددوا معه ، وعن الحقائق التى تسلمها وتعلمها منهم .]

سيم أسقفاً وهو فى حوالى الثلاثين من عمره .

القديسان بوليكاربوس وأغناطيوس

ارتبط اسم القديس بوليكاربوس بالقديس أغناطيوس ، فقد توقف الأخير وهو فى طريقه إلى روما للاستشهاد فى سميرنا . استقبله أسقف سميرنا بتكريم لائق به كمعلم عظيم ومعترف فى طريقه إلى الاستشهاد ، وقد لحقه بعد حوالى ٤٠ عاماً مقدماً حياته ذبيحة حب بالاستشهاد .

اهتم القديس بوليكربوس برسائل القديس أغناطيوس فجمعها وأرفقها بخطاب من عندياته .

عندما بلغ القديس أغناطيوس ترواس بعث برسالة إلى القديس بوليكربوس ، تكشف عن شخصية الأخير :

[أرحب بفرح بمشاعرك وأفكارك الثابتة فى الله كصخرة لا تتزعزع ، لذلك مجدتُ الربَّ بلا حدود لأنه أهَّلنى لرؤية وجهك الذى بلا عيب ، وأرجو ان أتمتع به فى الله(٤) .]

بالفعل واجه القديس الاستشهاد كصخرة لا تتزعزع !

بوليكاربوس والهراطقة

قاوم القديس **بوليكاربوس** الهراطقة ، خاصةً مرقيون ، ويشهد عنه **القديس ايريناؤس** أنه ردّ كثيرين ممن انحرفوا وراء الهراطقة (أتباع فالنتينوس وأتباع مرقيون) الى الكنيسة الكاثوليكية (الجامعة)(٥) .

التقى القديس **بوليكاربوس** بمرقيون ، فسأله الأخير : « أتعرفنا ؟ » أجابه : « أعرفك ، انك بكر الشيطان » .

ذهب مرقيون إلى روما سنة ١٤٠ م متخفياً وبدأ ينشر بدعته ، والتف حوله عدد من المسيحيين ، فطردته الكنيسة . وفى سنة ١٥٤ م اذ كان القديس **بوليكاربوس** هناك ردّ كثيرين من اتباع مرقيون(٦) . ندم مرقيون على ما فعله وارتضى الخضوع للكنيسة لكنه مات قبل أن تتم عودته .

القديس بوليكاربوس الشهيد

تقدم لنا رسالة كنيسة سميرنا (عام ١٥٦ م) إلى المسيحيين فى فيلوميليون Philomelion بفريجيا العظمى تفصيلاً عن استشهاد القديس **بوليكاربوس** الذى تم بعد فترة قصيرة من عودته من روما . وتُعتبر هذه الرسالة أقدم وثيقة عن استشهاد شخص وأول عمل من « أعمال الشهداء » acta martyrum ، وإن كانت لا

تُصنف ضمن أعمال الشهداء ، وإنما ضمن الرسائل . **يوقع** على الوثيقة شخص يدعى مرقيون ، كتبها بعد استشهاد القديس بفترة وجيزة[٧] . تكشف لنا الوثيقة عن موقف المؤمن من الاستشهاد والشهداء .

أضيف إلى هذه الوثيقة ملاحظات كُتبت فى وقت متأخر ، تقدم لنا انطباعاً رائعاً عن سمو شخصية بوليكاربوس.

وقد جاءت رواية استشهاده فى اختصار هكذا[٨] :

إذ شرع مرقس أوريليوس فى اضطهاد المسيحيين صب والى آسيا جامات غضبه عليهم ، واحتمل مسيحيو سميرنا الكثير . قرر الوثنيون القبض على الأسقف ، وتحت ضغط الشعب اضطر إلى الاختفاء ... أخيراً عرفوا الموضع ، وجاء الجند يقبضون عليه .

طلب من الجند أن يمهلوه ساعةً واحدة ليصلى . وقد تعجبوا من هيبته ووداعته وبشاشته وعذوبة حديثه ، حتى قال أحدهم : « لماذا هذا الاجتهاد البليغ فى طلب موت هذا الشيخ الوقور ؟ »

حينما طلب منه الوالى ستاثيوس كوادراتوس Statius Quadratus أن يحلف بحياة قيصر ويلعن المسيح فيطلقه أجابه : [**لقد مضت ستة وثمانون عاماً أخدم فيها المسيح ، وشراً لم يفعل معى قط ، بل أقتبل منه كل يوم نعماً جديدة ، فكيف أجدف على ملكى الذى يخلصنى ؟**]

وحينما هدده بالحرق وطرحه للوحوش ، قال : [**إنى لا أخاف النار التى تحرق الجسد ، بل تلك النار الدائمة التى تحرق النفس** . وأما ما توعدتنى به من أنك تطرحنى للوحوش المفترسة ، فهذا أيضاً لا أبالى به . احضر الوحوش ، واضرم النار ، فها أنا مستعد للحريق والافتراس .]

وحينما حاول الجند تسميره على خشبة حتى لا يتحرك من شدة عذابات النار ، قال لهم : [اتركونى هكذا ، فإن ذاك الذى وهبنى قوة لكى احتمل شدة حريق النار ، هو نفسه سيجعلنى ألبث فيها بهدوء دون حاجة إلى مساميركم .]

أوثقوا يديه وراء ظهره وحملوه واضعين إياه على الحطب كما لو كان ذبيحة على مذبح ، أما هو فصلى للرب ، شاكراً إياه انه سمح له أن يموت شهيداً ، وان يشركه فى شرب كأس آلام الابن الوحيد .

أوردت هذه الوثيقة أول شهادة عن تقدير الكنيسة لرفات الشهداء ، إذ جاء فيها :

[أخذنا بعد ذلك رفاته الباقية ، الثمينة أكثر من الحجارة الكريمة ، والأسمى من الذهب ، وأودعناها فى مكان لائق . ليسمح الرب لنا ـ قدر المستطاع ـ أن نجتمع بالفرح والحبور لنحتفل باستشهاده ـ يوم ميلاده ![8]]

هكذا تطلعت الكنيسة إلى الموت ، خاصة الاستشهاد ، كيوم ميلاد المؤمن ، يستحق أن يُعيد له ... ربما لهذا السبب كان **القديس يوحنا الذهبى الفم** يقاوم فكرة الاحتفال بأعياد ميلاد الأشخاص متطلعاً إلى عيد ميلادنا الحقيقى هو يوم خروجنا غالبين ومنتصرين من هذا العالم لنلتقى مع مسيحنا وجهاً لوجه .

تتحدث الوثيقة التى نشير إليها هنا إلى **تكريم الشهداء** :

[نسجد له لأنه ابن الله ، ونحب الشهداء لأنهم تلاميذ الرب يقتدون به ، يستحقون ذلك من أجل محبتهم الفائقة لملكهم ومعلمهم[9] .]

لم يبدأ الاحتفال بالشهداء بواسطة أحبائهم وعائلاتهم كعلاقات شخصية تمس الشهيد بهم ، وإنما منذ البداية قامت الكنيسة ككل بالاحتفال بفرح وسرور كعمل كنسى مفرح يمجد نعمة الله العاملة فى حياة الكنيسة . اعتمد بعض الدارسين على ما ورد فى وقائع استشهاد بوليكاربوس : « لذكرى الشهداء الأولين[10] » ، بأن عيد الشهيد بوليكاربوس الذى بدأ عام ١٥٦ م فى سميرنا حسبه المؤمنون « عيد الكنيسة[11] » أو عيد الشهداء .

أما سيرة بوليكاربوس Vita Polycarbi التى تُنسب إلى الكاهن بيونيوس Pionios فإنها من نتاج القرن الرابع/الخامس ، وقد نُسبت خطأً إلى بيونيوس الشهيد الذى نال اكليله سنة ٢٥٠ م فى سميرنا بينما كان يحتفل بذكرى

بوليكاربوس . وتنحصر خدمات هذا القديس الشهيد التاريخية فى أنه حفظ لنا نص الرسالة فى استشهاد بوليكاربوس المشار إليها أعلاه لا سيرة بوليكاربوس(١٢) .

يتطلع القديس بوليكاربوس إلى الاستشهاد كهبة إلهية ، إذ نراه يشكر الآب بفرح من أجل هذه العطية وغيرها ، مثبتاً شكره بكلمة « آمين » التى استخدمت فى الليتورجيا المسيحية(١٣) .

كاثوليكية الكنيسة

عُرف تعبير « كاثوليكية » أولاً فى كتابات القديس أغناطيوس الأنطاكى ، معلناً : [حيث يوجد يسوع المسيح توجد الكنيسة الكاثوليكية] . وقد ورد هذا التعبير ثلاث مرات فى رسالة سميرنا التى وصفت استشهاد القديس بوليكاربوس ، مرتان عُنى بها « الجامعة » أما المرة الثالثة قرب نهاية الرسالة فجاءت لتحمل معنيين ، جامعية الكنيسة وأرثوذكسية إيمانها . لقد ميزت الرسالة بين جسد الكنيسة الجامعة تحت قيادة قادتها الارثوذكس وبين الجماعات المنشقة تحت قيادة الهراطقة(١٤) .

رجل صلاة وعبادة

تكشف الوثيقة الخاصة باستشهاده عن شخصية القديس بوليكاربوس كرجل صلاة ، فعند القبض عليه طلب من الجند امهاله وقتاً للصلاة ، وقبيل استشهاده صار يصلى ... لقد أدرك ان الصلاة هى مصدر القوة .

1 - Eusebius: H.E. 5: 20; Irenaeus: Adv. Haer. 3:3.

٢ــ الأصول المسيحية الشرقية : رسائل رعوية (١) ، ص ١٥٥ ؛ المناهل المسيحية ١٠ ، استشهاد بوليكاربوس ١٠ .

3 - Adv. Haer. 3:3:4.

4 - Polycarp 1:1. -

5 - Euseb. H.E. 4:14;
F.L. Cross: The Early Christian Fathers, London 1960; p. 19.

6 - St. Irenaeus: Adv. Haer. 3:4.

7 - Quasten: Patrology, vol., p. 77.

٨ــ للمؤلف : الشهيدان اغناطيوس وبوليكاربس ، ص ٨٩ الخ .

8 - 18:2.

9 - 17:3.

10- H. Achelis: Die Martyrologien, p. 17f. Texts in Lietzmann: Die drei ätesten Martyrologien (Kl, Texte 2).

11- Hanz Leitzmann: A History of the Early Church, 1974. vol. 2, p. 138.

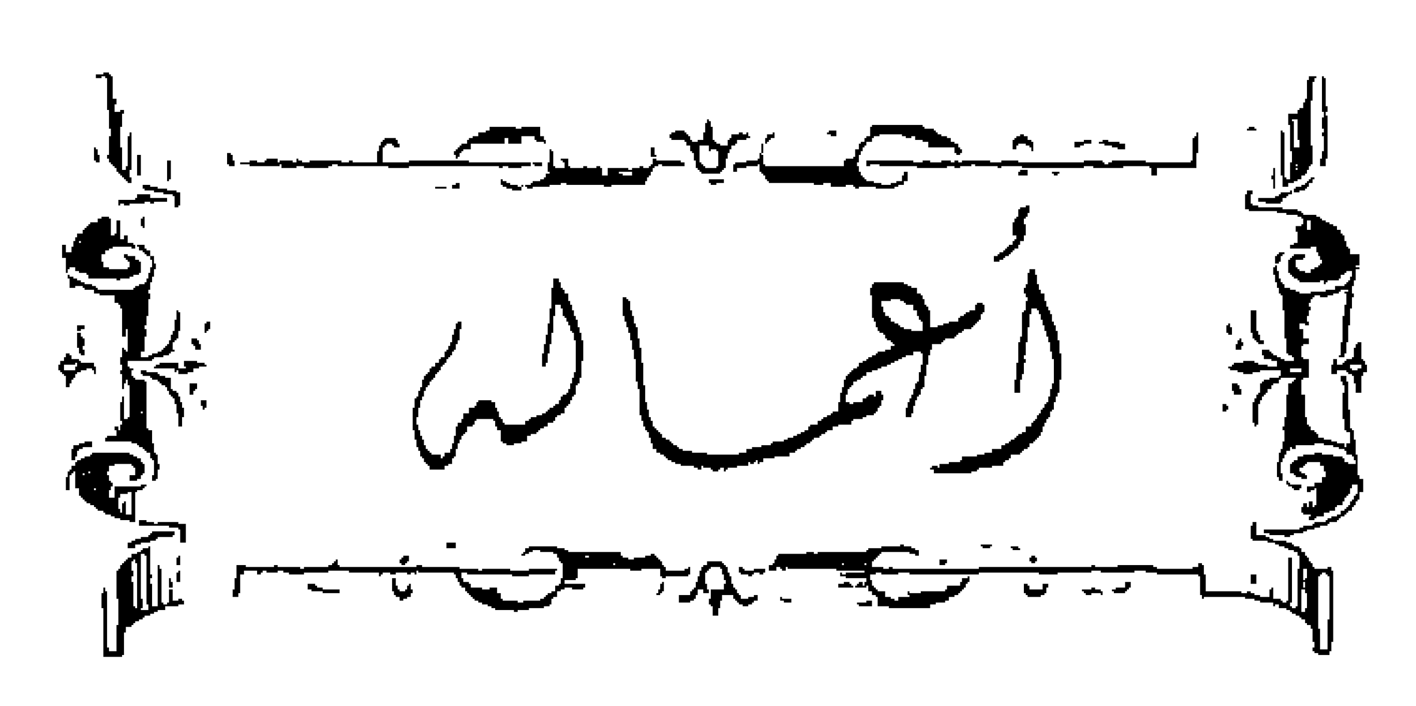
12- Eusebius: H.E. 4:15; E. Schwartz: De Pionio et Polycarbo Gottingen, 1905.

د. أسد رستم : آباء الكنيسة ، ص ٤١ .

13- Martyr. Polyc. 14: 1-3;
Karl Baus: Handbook of Church History vol. 1, From the Apostolic Community to Constantine, 1965, p. 142.

14- Kenneth Scott Latourette: A History of Christianity, 1953, p. 130.

+ + +



أهم أعماله رسالة وجهها إلى أهل فيلبى ، وأخبار محاورة جرت بينه وبين أنيكيتس Anicetos أسقف روما . فقد توجه إلى روما سنة ١٥٤ م ، وجادل أسقفها أنيكيتس الحمصى فى قضية عيد الفصح . فأصر هذا على الاحتفال بالعيد فى يوم الأحد وتشبث بوليكاربوس بالرابع عشر من نيسان ، مهما كان اليوم الذى يوافق هذا التاريخ[١] حسب التقليد الرسولى فى آسيا ؛ فبقى كل منهما على عادة بلاده ، واشتركا فى خدمة الأسرار الإلهية[٢] ، فقد حافظ الاثنان على وحدة الكنيسة بالرغم من اختلافهما فى تحديد موعد العيد .

الرسالة إلى أهل فيلبى

هذه الرسالة لها علاقة وثيقة برسائل القديس أغناطيوس ؛ فهى إن لم تكن كلها فجزء منها كان معاصراً لرسائل القديس اغناطيوس .

يخبّرنا القديس إيريناؤس[٣] أن القديس **بوليكاربوس** بعث عدة رسائل إلى الكنائس المسيحية المجاورة وإلى بعض الأساقفة زملائه . لم يصلنا من هذه الرسائل سوى رسالته إلى أهل فيلبى ، وصلتنا بنصها الكامل فى ترجمة لاتينية ، أما المخطوطات اليونانية فلم تحوِ سوى الفصول ١ــ٩ : ٢ .

طلب أهل فيلبى من القديس **بوليكاربوس** نسخة من رسائل القديس أغناطيوس ، فارسلها ومعها رسالة وجهها إليهم ، هذه الرسالة مدعمة بحجج قوية على صحتها ، شهد بذلك القديس إيريناؤس[٤] ، وكثير من الآباء .

اتفق أغلب علماء العصر الحديث على صحة هذه الرسالة .

ويصعب أن يوجد ما يبرر تزوير هذه الرسالة ، وإن كان البعض يرى بأن الأصحاح الثالث عشر منها دخيل عليها .

طور P.N.Harrison النظرية القائلة بأن الوثيقة المدعوة « **رسالة بوليكاربوس** »

فى حقيقتها تحوى رسالتين كتبهما إلى أهل فيلبى فى زمنين مختلفين نُسخا فى مخطوطة واحدة امتزجا إلى رسالة واحدة . الأولى هى فصل ١٣ وربما أيضاً فصل ١٤ ، كانت رسالة قصيرة كرسالة مرافقة لصور رسائل القديس أغناطيوس ، ارسلت فى سبتمبر من السنة التى استشهد فيها القديس أغناطيوس . أما الرسالة الثانية وتحوى فصول ١ـــ١٢ كتبها القديس بعد ٢٠ عاماً من الرسالة الأولى أو أكثر(٥) ، ما بين سنة ١٣٥ ، ١٣٧ م .

مميزاتهـا

رسالة القديس بوليكاربوس إلى أهل فيلبى لها أهمية كبرى ، فهى تكشف لنا عن حالة الكنيسة البكر فى أوربا ، والتى كانت عزيزة على القديس بولس الرسول .

تمتاز بأنها غزيرة من جهة الحكمة العملية ، مقتبساً الكثير عن نصوص الكتاب المقدس .

إنها تعكس لنا روح القديس يوحنا فى وداعته كالحمل وملامح الهدوء . فقد كان محباً كما كان يوحنا ، وقد انعكس صوت « ابن الرعد » على بوليكاربوس فى توبيخاته .

الجانب العقيدى

تكشف هذه الرسالة التى ترجع إلى القرن الثانى عن بنود الإيمان المسيحى قبل ظهور الهرطقات الخاصة بلاهوت السيد المسيح ... فالرسالة تعلن عن الإيمان الثالوثى : الآب والابن والروح القدس ؛ وتجسد الكلمة وصلبه وموته ؛ والقيامة من الأموات ؛ والدينونة .

تجسد الكلمة وموته

تدافع الرسالة عن التعليم الخاص بالتجسد وموت السيد المسيح على الصليب للرد على المعلمين الكذبة :

[كل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد هو ضد

المسيح ؛ ومن لا يعترف بشهادة الصليب هو من الشيطان ؛ ومن يحرف كلمات الرب لأجل شهواته قائلاً إنه ليس قيامة ولا دينونة ، فهو بكر ابليس[٦] .]

الايمان العملى

جاءت الرسالة عملية ، فالإيمان يجب أن يكون بلا انحراف وفى نفس الوقت يلزم أن يترجم عملياً فى حياة الاكليروس والشعب :

١ــ من جهة الاكليروس تحدث عن واجبات الشمامسة[٧] والقسوس[٨] .

٢ــ من جهة الشعب ، حثهم على الفضيلة[٩] ، المثابرة فى الجهاد[١٠] ، وصنع الخير[١١] .

الاقتداء بالسيد المسيح والحياة به

يتحدث عن الايمان الحىّ بالسيد المسيح الواهب الثمر مع الاقتداء به والطاعة لوصاياه :

[لنركز انظارنا دوماً على رجائنا وعربون برنا ، يسوع المسيح ، الذى حمل خطايانا فى جسده على الخشبة ، والذى لم يوجد فى فمه غش (١ بط ٢ : ٢٤ ، ٢٢) ، والذى لأجلنا احتمل كل شيء لكى نحيا فيه .

فلنتشبه باحتماله ...[١٢]]

[**اتبعوا مثال الرب** ، ثابتين غير متزعزعين فى إلايمان ، محبين الاخوة ...[١٣]]

الاهتمام بخلاص الآخرين فى وداعة وحب

إذ يتحدث عن القس فالنز وزوجته اللذين بسبب الطمع انحرفا عن الايمان ، قائلا : [إننى حزين جداً يا إخوة من أجل فالنز ومن أجل زوجته أيضاً ، ياليت الرب يمنحهما توبة صادقة ! عالجوا هذا الأمر بالذات باعتدال ، ولا تحسبوهما أعداء ، بل حاولوا اعادتهما كعضوين مريضين تائهين ، ومتى عادا يصبح جسدكم كاملاً ، اذا فعلتم هذا فإنكم تبنون أنفسكم[١٤] .]

هكذا يحسب البحث عن النفس المنحرفة ليس خيراً نقدمه للغير بل لأنفسنا ، لأنه مادامت توجد نفس ضائعة فنحن غير كاملين . بعودة النفوس المنحرفة يحل السلام على الكنيسة ويكمل البنيان .

الجانب التنظيمى

لم يشر القديس بوليكاربوس إلى أسقف فيلبى ، إنما تحدث عن الطاعة الواجب تقديمها للقسوس والشمامسة ، لعله لسبب أو آخر لم يكن بفيلبى أسقف ، وإنما كان يدير أمورها مجمع القساوسة(١٥) .

تصور الرسالة الكاهن المثالى فى العبارات التالية :

[ينبغى أن يكون القسوس عطوفين ورحماء على الجميع ، فيردون الذين ضلوا ، ويزورون المرضى ، ولا يهملون الأرملة واليتيم والفقير ، بل دائماً يكونون « معتنين بأمور حسنة قدام الرب والناس » (راجع رو ١٢ : ١٧ ؛ ٢ كو ٨ : ٢١) ، ممتنعين عن كل غضب ، ومحاباة للناس ، أو اصدار حكم ظالم ، هاربين من كل محبة للمال ، غير متعجلين فى الحكم ضد أحد ، غير قاسين فى الحكم ، عالمين اننا جميعاً مدينون بالخطية(١٦) .

الكنيسة والدولة

جدير بالملاحظة ان الكنيسة فى بدء انطلاقها لم تدخل فى التيار السياسى وبقيت هكذا بالنسبة لبعض الكنائس كالكنيسة القبطية الأرثوذكسية ، لكنها تشعر بالمسئولية نحو رجال السياسة كقادة لهم دورهم فى حياة البشر ، وأيضا فى حياة الكنائس المحلية ، خاصة ان كان القادة يضطهدون الكنيسة ويقاومون الايمان .

[صلوا لأجل الملوك (والرؤساء) (١ تى ٢ : ٢) ، والسلاطين والأمراء ، صلوا من أجل كل الذين يضطهدونكم ويبغضونكم ، ومن أجل أعداء الصليب ، حتى تكون ثمرتكم واضحة للجميع ، وتكونوا كاملين فيه (المسيح)(١٧) ...]

1 - F.E. Brightman: The Quartodecimen Question, Journ. Theol. Stud., 1923-1924, 254-270.

2 - Source Chrietienne, t. 10: 192; G. Bardy: L'Eglise Romaine sous le pontificat de S. Anicet, Rech, Sc, Rel., 1927, 496-501.

الدكتور أسد رستم : آباء الكنيسة ـــ القرون الثلاثة الأولى ، ص ٣٩ .

3 - Eusebius: H.E. 5: 20: 8.

4 - Adv. Haer. 3:3.

5 - J. Quasten: Patrology, vol., p. 79-80; P.N. Harrison: Polycarp's Two Epistles to the Philippans, Cambridge, 1936.

6 - 7:1.

7 - Ch. 5.

8 - Ch. 6.

9 - Ch. 2.

10- Ch. 8

11- Ch. 10.

12- Ch. 8:1; 2.

13- Ch. 10:1.

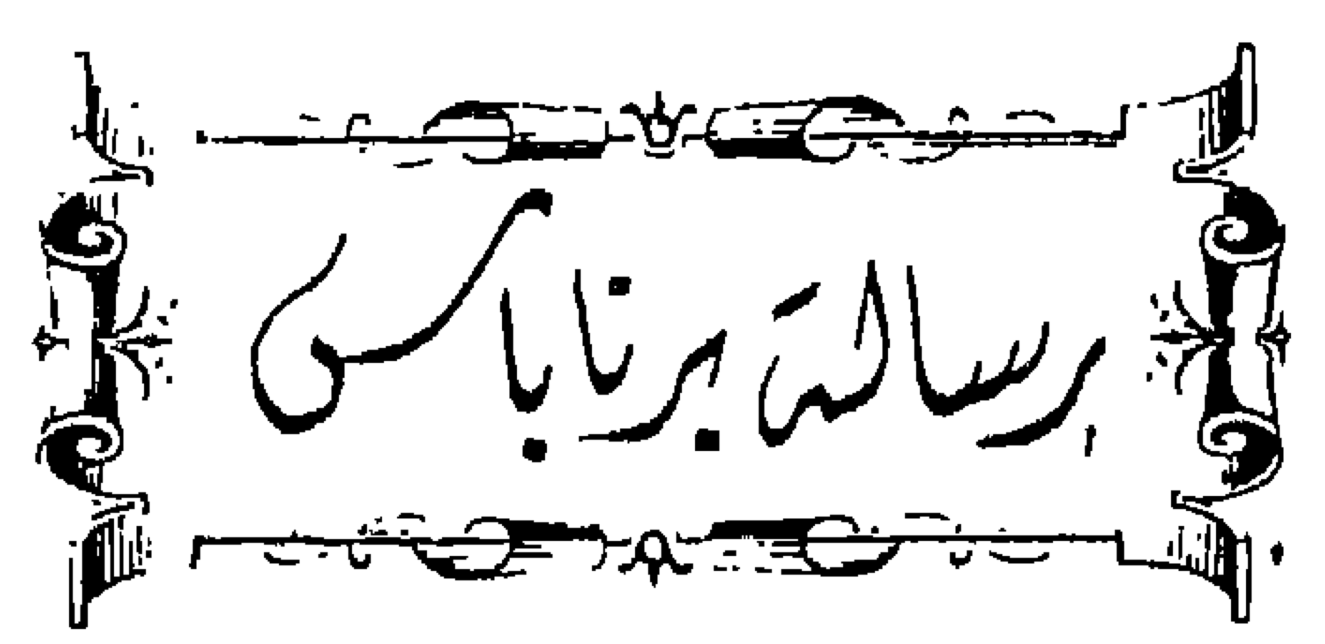
14- Ch. 11:4.

15- Quasten: Patrology, vol. 1, p. 80.

16- Ch. 6:1.

17- Ch. 12.

+ + +



THE EPISTLE OF BERNABAS

فى الدراسات السابقة لكتابات الآباء الرسوليين التقينا بآباء أساقفة عظماء هم القديسون اكليمندس الرومانى واغناطيوس وبوليكاربوس؛ وفى شخصياتهم ظهرت الكنيسة المسيحية الأولى وتجلت أمامنا . أما الوثائق الأخرى الخاصة بالآباء الرسوليين فلها طابع مختلف ، فلا تقدم لنا نفس المعرفة . رسالة برناباس عمل غير أكيد ، وهرماس شخص مجهول ، والديداكية عمل لا يُعرف واضعه ... هكذا لا تظهر الكنيسة فى أشخاص رجال عظماء ، لكنها تُعلن أيضاً من خلال كتّاب مجهولين أو ليسوا بذى قدر يذكر تاريخياً ، فنتعرف خلال الوثائق على حال الشعب وجهادهم وغاياتهم وعبادتهم[1] .

رسالة برناباس هى مقال لاهوتى أو عظة ، لها مظهر الرسالة ، وإن كان ينقصها وجود تحية افتتاحية وخاتمة ، ولا تحوى أموراً شخصية . واضعها لم يذكر اسمه ، إنما هدف إلى تعليم « المعرفة gnosis الكاملة والإيمان » .

واضعها

لم تشر الرسالة إلى أن برناباس هو واضعها ، وليس فيها من دليل على أنها من وضع أحد الرسل ، لكن يوجد تقليد قديم ينسبها إلى الرسول برنابا رفيق الرسول بولس وشريكه فى الخدمة . ناسخ المخطوط الأصل السينائى فى Codex Sinaiticus الذى يرجع إلى القرن الرابع ربما اعتبر هذه الرسالة ضمن كتب العهد الجديد القانونية وأثبت نصها بعد سفر الرؤيا . واقتبس القديس اكليمندس الاسكندرى[2] الكثير منها ونسبها إلى الرسول برنابا . كذلك العلامة أوريجانوس[3] اعتبرها من الكتاب المقدس ، أما يوسابيوس فصنفها من بين الكتب المختلفة فى أمرها ، ثم جاء القديس جيروم واعتبرها من الكتب الأبوكريفا ، وان كان الاثنان ـــ يوسابيوس وجيروم ـــ ينسبانها إلى برنابا رفيق بولس الرسول .

ترفض الأبحاث الحديثة نسبتها إلى الرسول برنابا لنظرتها القاسية نحو العهد القديم ، ولأنه واضح من الفصل السادس عشر أنها كُتبت بعد خراب أورشليم . يذكر الكاتب نفسه : [من جهتى ، لا أقدم لكم النصائح كمعلم بل كواحِدٍ منكم[٤] .]

الزمان والمكان (٥)

ربما يشير استخدامها للتفسير الرمزى على طريقة فيلون الاسكندرى ـــ ومدرسة اسكندرية المسيحية ـــ إلى أن الكاتب اسكندرى . وربما لهذا السبب احتلت الرسالة مركزاً خاصاً بين اللاهوتيين الاسكندريين .

أما من جهة الزمان فقد جاءت الآراء متباينة .

١ـــ يرى هرنك (هرناخ) Harnack فى الاشارة إلى إعادة بناء الهيكل (فصل ١٦ : ٣ـــ٤) دليلاً أن الرسالة كتبت فى أثناء بناء هيكل جوبتر Jupiter Capitolinus فى عاليا Aelia ، فى موضع الهيكل ، فى نهاية عهد أدريانوس Hadrian (١١٧ـــ١٣٨ م) ، مقرراً انها كتبت حوالى عام ١٣٠ أو ١٣١ م . غير أن النص يبين أن واضع الرسالة لا يعنى بناءً مادياً للهيكل بل يقصد بناء النفس الروحى لهيكل لله ، وذلك بفكر انجيلى . بهذا تكون الرسالة كتبت فى اى وقت بعد سنة ٧٠ م .

٢ـــ يرى فرنسيس فونك Funk أن ماجاء فى الفصل الرابع (٤ : ٥) من هذه الرسالة نقلاً عن سفر دانيال (٧ : ٢٤ ، ٧ : ٧ـــ٨) ان الملك الحادى عشر هو الامبراطور نروه Nerva (٩٦ـــ٩٨ م) ، لأنه هو الملك الرابع الذى اخضع الملوك الثلاثة فاسبسيان وتيطس ودومتيانوس .

٣ـــ يرى ليتزمان Litzmann أن الاشارة هى إلى خراب الهيكل الثانى فى أثناء ثورة بن كوذبة Bar Cochba حوالى سنة ١٣٥ م .

لمن كُتبت ؟

وجَّه الكاتب رسالته هذه إلى رعية مسيحية مجهولة ، سبق أن بشر فيها

بالانجيل ، ويدعو هؤلاء المسيحيين بالأولاد والبنات ، أبناء الفرح ، أبناء المحبة ، اخوة الخ[٦] ... ويرى اوريجانوس انها رسالة جامعة كُتبت للكنيسة المسيحية فى العالم .

أقسامها

تضم الرسالة قسمين رئيسيين ؛ قسم نظرى ، والآخر عملى .

١ــ القسم النظرى [١ــ١٧] : **قسم عقيدى** ، هدفه كما جاء فى الفصل الأول (١ : ٥) [أن تصير معرفتكم كاملة جنباً إلى جنب مع إيمانكم .] وقد أراد الكاتب بهذا أن يكشف للقارىء عن أهمية العهد القديم ومعنى اعلانه ، مظهراً أن اليهود قد أساءوا فهم الشريعة لأنهم فسرّوها حرفياً . بعد رفضه للتفسير الحرفى قدم وجهة نظره : المعنى الروحى الأصيل ، أى الرمزى .

تفسير اليهود الحرفى للشريعة القديمة ليس من الله ، إنما هى خدعة سقط فيها اليهود بواسطة ملاك شرير [٩ : ٤] ، الذى قادهم إلى الضلال ، وجعل من عبادتهم ما شابه العبادة الوثنية [١٦ : ٢] .

تكاد تعالج نفس موضوع الرسالة إلى العبرانيين ، وإن كانت أقل منها عمقاً وأصالة[٧] .

يرى البعض أن هذا القسم جدلى ضد حركة التهود ، وهى من الحركات الكبرى والقوية التى صاحبت نشأة الكنيسة المسيحية منذ العصر الرسولى ، انبثقت عن يهود متنصرين متعلقين بالناموس الموسوى وفخورين به ، لا ليتمموه بالروح كما اوضح السيد المسيح ورسله وإنما أرادوا تطبيقه بكل شرائعه وطقوسه حرفيا[٨] .

قام بهذا العمل الجدلى يهودى متنصر اسكندرى ــ كما يرى كثير من الباحثين ــ لمواجهة هذا الخطر العظيم الذى يحدق بالكنيسة[٩] ، إذ نجده يكتب هكذا :

[فى هذه الأيام الشريرة التى يعمل فيها الشيطان بسلطانه[١٠]] .

[اقترب الشك العظيم الذى كُتب عنه كما يقول أنوخ[11] .]

٢ــ القسم العملى [١٨ــ٢١] : يهتم بالجانب السلوكى الاخلاقى ، على نمط يشبه ما جاء فى الديداكية ، تستخدم ما يسمى بالطريقين : طريق الفضيلة أو الرذيلة ؛ النور أو الظلمة .

1 - Jules Lebreton: The History of the Primitive Church, vol. 2, p. 366-367.
2 - Stromata 2:6:20.
3 - Against Celsus 1:63.
4 - Ch. 1:8; cf 4:6,9; 6:5.
5 - Cf. F. L. Cross: The Early Christian Fathers, London 1960, p. 22; Quasten: Patrology, vol 1, p. 80, 90.

أسد رستم : آباء الكنيسة ، القرون الثلاثة الأولى ، ١٩٨٣ ص ٤٦ .

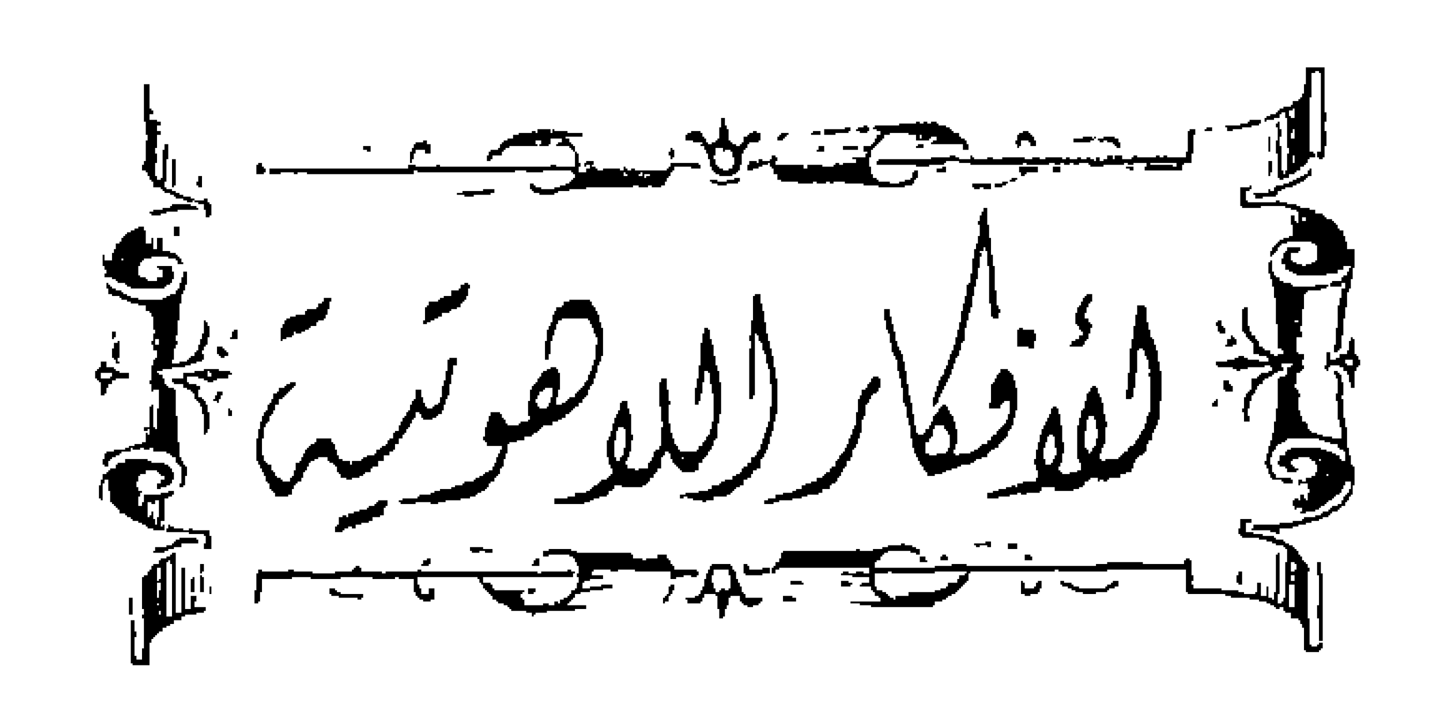
٦ــ سلسلة آباء الكنيسة : ١ــ الآباء الرسوليون تعريب الياس معوض مطران حلب ، ص ٧٣ .

٧ــ الأنبا يؤانس : الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل ، ١٩٨٧ ، ص ٤٠٤ .

٨ــ للتعرف على حركة التهود راجع المرجع السابق ، ص ٨٨ــ١٠٣ .

9 - J. Lebreton, p. 367.
10- ch. 2:1.
11- ch. 4:3.

+ + +



السيد المسيح

مولود من الآب قبل الدهور ، خاطبه الآب عندما قال : « لنخلق الانسان على صورتنا ومثالنا» .

استخدم برناباس مثل الشمس ، وهو مثل شائع فى اللاهوت الاسكندرى لتوضيح التجسد :

[لو لم يصر انساناً كيف كان يمكن للبشر أن يعاينوه لكى يخلصوا ، ناظرين انهم بلا قدرة عندما يتفرسون فى الشمس ويحدق إلى أشعتها ببصره ؟!(1)]

جاء التجسد بدافعين :

[الأول : جاء ابن الله فى الجسد للسبب التالى : لكى يملأ قياس (كأس) إثم أولئك الذين اضطهدوا أنبياءه حتى الموت ؛ لهذا السبب احتمل الألم .

الثانى : كان يريد أن يتألم لأجلنا(2) .]

الشريعة الموسوية

لم يقصد الله حفظها حرفياً إنما لكى تُفسر رمزياً ، وأن ملاكاً شريراً قد ضلل اليهود بقبولهم التفسير الحرفى .

١ــ من جهة الختان : الله لا يريد ختان الجسد بل ختان القلب والآذان .

[يقول فى موضع آخر ، إنه ختن قلوبنا ... يقول الرب : « اختتنوا قلوبكم » (راجع إر ٤ : ٤) ...

هكذا ختن حتى آذاننا لكى تسمع صوته ونؤمن ...

الختان ليس ختان الجسد ، لقد تجاوزه ، لأن ملاك الشر قد ضللهم . إليكم ما يقوله الرب الهكم : « لا تزرعوا فى الأشواك ؛ اختتنوا للرب » ار ٤ : ٣ ، ٤ . ماذا يقول أيضاً ؟ « اختتنوا غرلة قلوبكم ولا تصلبوا رقابكم » تث ١٠ : ١٦ . هوذا يقول الرب : « كل الأمم غُلف ، وكل بيت اسرائيل غلف القلوب » ار ٩ : ٢٦ .

المصريون أيضاً يستخدمون الختان .

تعلموا أيها الأبناء الأحباء واعرفوا ان ابراهيم الذى طبَّق الختان أول الجميع طبقه روحياً ، واضعاً المسيح نصب عينيه ، وقد حصل على كل التعليم بأحرف ثلاثة . يقول الكتاب حول هذا الموضوع ان ابراهيم ختن رجال أهل بيته وعددهم ثمانية عشر وثلاثمائة (تك ١٧ : ٢٣ ؛ ١٤ : ١٤) . لاحظ ان العدد ١٨ جاء أولا ثم رقم ٣٠٠ . العدد ١٠ يكتب بحرف (I) وعدد ٨ "H" . فالعددان "IH" يعنيان يسوع (ايسوس) المسيح . والحرف "T" هو شكل الصليب ويعنى « نعمة » ، فالرقم ٣٠٠ الذى يُعبر عنه بالحرف T مضافاً إليه الحرفان الأولان IHT يدل على (يسوع) المسيح مع الصليب[٣] .

٢ــ من جهة الصليب : اوضحت الرسالة ان غاية الشريعة الوحيدة هى توجيه المؤمنين نحو التدبير المسيحى ، الخلاص بصليب المسيح ، كما تشير إلى « مجد يسوع » .

(أ) أشار إلى الصليب عند حديثه عن ختان ابراهيم ، إذ ختن عبيده الـ ٣١٨ ؛ وكما لاحظنا أن الرقم يشير الى « صليب يسوع » .

(ب) أشار إلى مجىء المسيا المتألم خلال تيس عزازيل المذكور فى سفر اللاويين ١٦ : ٧ــ١٠ ، خاتماً حديثه عنه بالقول على لسان السيد المسيح : [من أراد أن يرى ملكوتى يجب عليه أن يتألم ويتعذب ليحصل علىّ[٤]] .

(جـ) أشار موسى إلى الصليب ببسط يديه[٥] ، وباقامة الحية النحاسية[٦] .

٣ــ من جهة الهيكل : إنحصر ذهن اليهود فى الهيكل الخارجى الحجرى بأورشليم ، ولم ينشغلوا بهيكل القلب الداخلى الروحى .

[إنى أقول لكم أيضاً عن الهيكل ، إن هؤلاء الضالين الأشقياء انحصر رجاؤهم فى بناء الهيكل ، وليس بالله صانعهم . لقد فعلوا كما يفعل الوثنيون عندما حصروا الله فى الهيكل كالصنم ، لكنه سوف يهدم الهيكل . تعلموا : « من قاس السموات بالشبر وكال بالكيل (تراب) الأرض ؟ ألست أنا يقول الرب ؟ السموات كرسّى ، والأرض موطىء قدمىّ . أين البيت الذى تبنون لى ؟ وأين مكان راحتى ؟ » (راجع إش ٤٠ : ١٢ ؛ ٦٦ : ١ ... قبل أن يكون لنا الإيمان بالرب كان داخلنا حقيراً فاسداً كهيكل مبنى بأيدٍ بشرية . كان هذا الهيكل مليئاً بعبادة الأصنام . ومسكناً للشيطان عندما كنا نعمل ما يخالف الرب . انتبهوا حتى يأتى البناء عظيماً ، لأنه يبنى باسم الرب ... يُبنى بعد نوالنا غفران الخطايا ووضع رجائنا فى الرب وتجديدنا ، فيُعاد بناؤنا ، ويسكن الرب فى داخلنا .

كيف يتم ذلك ؟ كلمته ــ وهى غرض ايماننا ودعوة موعده وحكمة وصاياه وتعاليمه ــ تتنبأ فينا ، وتفتح لنا باب الهيكل ، أى تفتح فمنا بالصلاة ، نحن الذين كنا مستعدين للموت ، ويهبنا مغفرة الخطايا ، ويدخل بنا إلى الهيكل غير الفاسد . من أراد ان يخلص لا يتطلع إلى الانسان وإنما الى الساكن فيه ... هذا ما يعنيه الهيكل الروحى الذى بناه الله(٢٧) .]

٤ــ من جهة الذبائح والتقدمات

[قال لهم : « لأنى لم أكلم آباءكم ولا أوصيتهم يوم اخرجتهم من أرض مصر من جهة محرقة وذبيحة ، بل إنما أوصيتهم بهذا الأمر ، قائلاً : لا يفكرن أحد فى السوء على قريبه فى قلوبكم ، ولا تحبوا يمين الزور » إر ٧ : ٢٢ ، ٢٣ ؛ زك ٨ : ١٧ ... إنه يقول : « الذبيحة لله روح منسحق » مز ٥١ : ١٧ ؛ القلب المنسحق عطر للرب الذى جبله(٨) .]

٥ــ تحريم بعض الأطعمة

اذ حرم عليهم بعض الاطعمة (لا ١١ ؛ تث ١٤ : ٤) إنما هدف الله إلا ما هو أسمى من أمر الأكل :

[لم يكن عدم الأكل أمراً إلهياً ، لأن موسى تكلم عن الأكل بالروح وبطريقة رمزية .

تكلم أولاً عن الخنزير ، وقد عنى بذلك ألا يكون لك اتصال بمن كانت أخلاقهم كالخنزير ، أى أولئك الذين ينسون الرب وهم فى حياة التنعم يتقلبون ، ولا يذكرونه إلا عندما يشعرون بالاحتياج ، وذلك كالخنازير التى لا تعرف أصحابها الا عندما يعضها الجوع ، فتصرخ لتحصل على الأكل .

« لا تأكل النسر والأنوق والعقاب والغراب » (لا ١١ : ١٣) ، أى لا تكون لك علاقة مع من لا يعرفون أن يكسبوا عيشهم الا بالقنص الشرير وافتراس لحوم الآخرين ، فتراهم يسلكون مسلك البراءة وما هم بأبرياء . انهم يتربصون بفريستهم لينقضوا عليها ...

لا يكون لك علاقة بالكفرة (منكرى الايمان) الذى هم الآن أموات ويشبهون الأسماك الملونة التى لا تسبح كبقية الأسماك ، بل تستقر فى الأعماق منتظرة فريستها لتنقض عليها (لا ١١ : ٩—١١)[٩] ...]

العماد

١— فى الفصلين ٦،١١ يعرض بطريقة غير مباشرة عمل المعمودية فى حياة المؤمن ، حيث تقدم له البنوة لله ، وتختم نفسه بصورة الله ومثاله :

[يجددنا بغفران خطايانا ، ليغيرنا إلى طابع آخر ، فتصير لنا النفس التى للأطفال كأنه يخلقنا ثانية . يتحدث الكتاب المقدس عنا عندما يقدم لنا حديث الآب مع الابن : « لنخلق الانسان على صورتنا ومثالنا »[١٠] .]

يوم الرب

الاحتفال باليوم الثامن من الاسبوع ، أى الأحد ، لأنه يوم القيامة ، وذلك بدلاً من سبت اليهود ... فبالقيامة تطهرت قلوبنا وتهيأت ليوم الرب ببره .

[قيل : « قدسوا يوم السبت للرب بأيدٍ نظيفة وقلوب نقية » (راجع خر ٢٠ : ٨ ؛ مز ٢٤ : ٤)... نخطىء إن اعتقدنا أننا نستطيع أن نقدس اليوم الذى

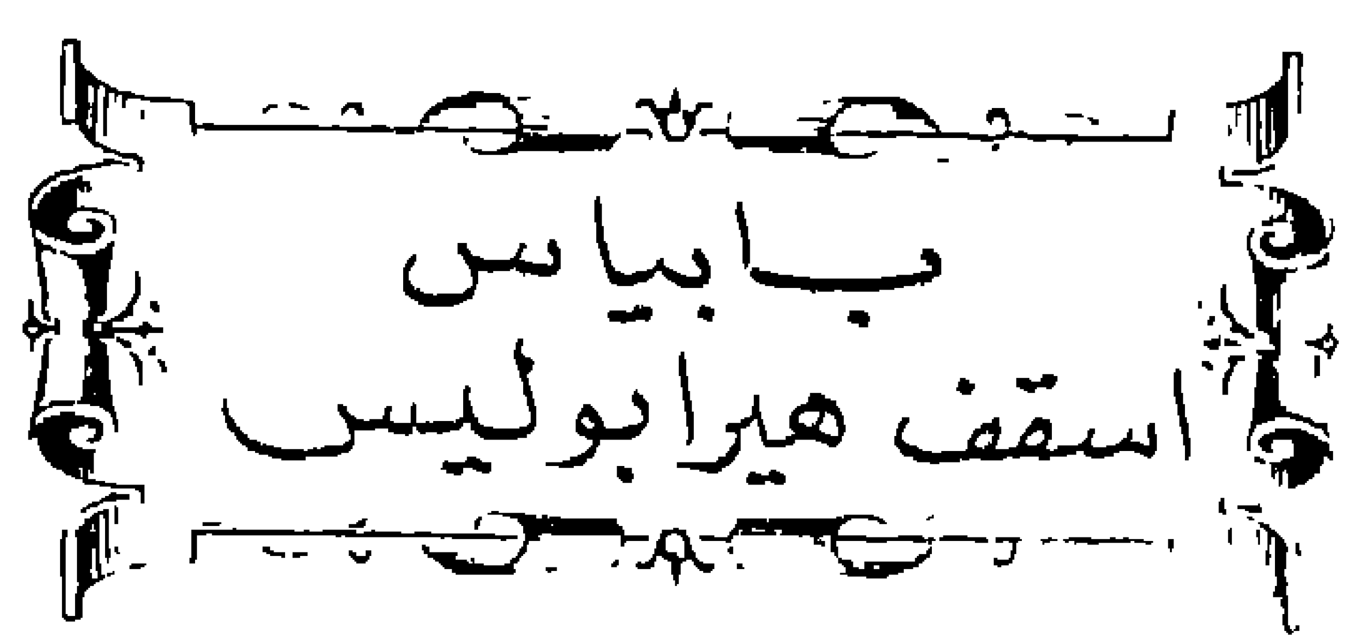
قدسه الرب دون أن نكون أنقياء القلوب . إننا لا نستطيع أن نقدس اليوم ، ولا أن نرتاح فيه بكرامة إلا اذا كنا جديرين بتبرير نفوسنا بوضع قدمنا على طريق الوعد ، بعد تدميرنا لكل إثم ، وتقديسنا بيسوع ، **عندئذ نستطيع أن نقدس السبت بتقديسنا أولاً** ... لذلك نعيد اليوم الثامن بفرح ؛ اليوم الذى قام فيه المسيح من الأموات وظهر وصعد إلى السموات(١١) .]

الألفية Chilioi

واضع الرسالة من اتباع الألفية Chiliasm ؛ اعتبر ستة أيام الخلقة هى ستة آلاف سنة ، لأن ألف سنة كيوم واحد عند الرب (مز ٩٠ : ٤) . وخلص إلى القول بانه فى هذه الآلاف الستة تكتمل كل الأشياء بعد ان يتحطم هذا الزمن الشرير وتُعطى الفرصة كاملة للخطاة للتوبة ، عندئذ يأتى ابن الله ليدين الاشرار ويغير الشمس والقمر والنجوم ويرتاح فى اليوم السابع(١٢) .

1 - Ch. 5:5.
2 - Ch. 5:11-13.
3 - Ch. 9:1-9.
4 - Ch. 7:11.
5 - Ch. 12:3.
6 - Ch. 12:5-7.
7 - Ch. 16.
8 - Ch. 12.
9 - Ch. 10.
10- Ch. 6:11-12.
11- Ch. 15.
12- Ch. 15:4-5.

\+ + +



PAPIAS OF HIERAPOLIS

تعرفنا على بابياس (وُلد ما بين ٦٠ ، ٧٠ م) وكتاباته وأفكاره غالباً من خلال كتابات القديس إيريناؤس ويوسابيوس[١] القيصرى . يرى الأول أن بابياس تلميذ القديس يوحنا الحبيب ، ورفيق القديس بوليكاربوس أسقف انطاكية . صار أسقفاً على هيرابوليس فى فريجية بآسيا الصغرى .

تفسير كلام الرب Logion Kyriakon Exegseis

يذكر القديس ايريناؤس المعاصر له انه وضع خمسة كتب[٢] ، وقد مدح هذا العمل جداً ، إذ تطلع إليه انه على اتصال بأزمنة الرسل[٣] . قد وُجد هذا العمل حتى القرن الرابع عشر ما لم يكن بعد ذلك ، لكنه لم يُعثر بعد على نسخة[٤] .

احتكاماً إلى ما ورد فى رسالة الانجيلى يوحنا : « الذى كان من البدء ، الذى سمعناه ، الذى رأيناه بعيوننا ... نخبركم به » فى نهاية القرن الأول الميلادى ، حدث صدى له لدى كثيرين من الذين عاشوا بعد ذلك ، وشاهدوا بأعينهم ، وسمعوا بآذانهم ، ليسجلوا للكنيسة ما استطاعوا تسجيله[٥] ؛ من بينهم بابياس تلميذ القديس يوحنا الحبيب الذى عمد إلى جمع التقليد الذى تلقاه من أفواه من وعى أحاديث الرسل والتلاميذ . فوضع كتابه هذا ذا الخمسة مقالات فى « تفسير كلام الرب » Exposition of Oracles of the Lord ، كتبه مؤخراً فى نهاية حياته ما بين عام ١٣٠ ، ١٤٠ م[٦] .

اهتمامه بالتقليد

يقول[٧] Richardson : [لقد قامت الكرازة المسيحية على العهد القديم والتقليد الحىّ ليسوع ، هذا الذى تناقله فماً من فمٍ . ففي الكنيسة الأولى كان الشعور **بالشهادة** الشخصية قوياً للغاية . فبابياس مثلاً سجل لنا تفضيله « الصوت الحى » عن الكتب .]

مع ما لهذا العمل من عيوب لكنه يحمل قيمة خاصة من جهة اهتمامه بالتقليد بما يحويه من تعليم الرسل الشفوى . فقد لخص بابياس عمله هذا فى المقدمة ، قائلاً :

[لا أتردد فى أن أضيف ما تعلمته وما أتذكره جيداً من تفاسير تسلمتها من الشيوخ ، لأنى واثق من صحته تماماً . انا لم افرح ، كمعظم الناس ، بالذين قالوا أشياء كثيرة ، بل بمن يعلمون الحق ؛ ولا أفرح بمن يرددون وصايا الآخرين ، بل بأولئك الذين أعادوا ما أعطاه الرب للإيمان واستقوا من الحق نفسه . واذا جاءنى أحد ممن تبع القسوس نظرت فى كلام الشيوخ مما قاله اندراوس أو بطرس أو فيلبس أو توما أو يعقوب أو يوحنا أو متى أو أحد تلاميذ الرب ، أو أرستون أو يوحنا الشيخ . فإننى ما ظننت أن ما يُستقى من الكتب يفيدنى بقدر ما ينقله الصوت الحىّ الباقى(٨) .] هكذا يهتم بابياس بصوت التقليد الشفوى الحىّ الذى تسلم خلال تلاميذ الرب بكونه صوتاً إنجيلياً يعلن عن الحق .

ويلاحظ فى هذا النص الآتى :

١ــ استخدم كلمة شيوخ هنا بالمعنى العام كقول Lightfoot ليشير إلى آباء الكنيسة فى الجيل السابق له .

٢ــ كرَّر اسم « يوحنا » مرتين ، الأولى مع بطرس يعقوب ومتى وبقية الرسل ، والآخر خارج دائرة الرسل ذكره بعد ارستيون Aristion ؛ الأول القديس يوحنا الانجيلى والثانى شخصية مشهورة ، وقد وُجدت فى أفسس مقبرتان باسم يوحنا حتى أيام يوسابيوس القيصرى .

لم يتوخَ بابياس الدقة ، خاصة فى أمرين :

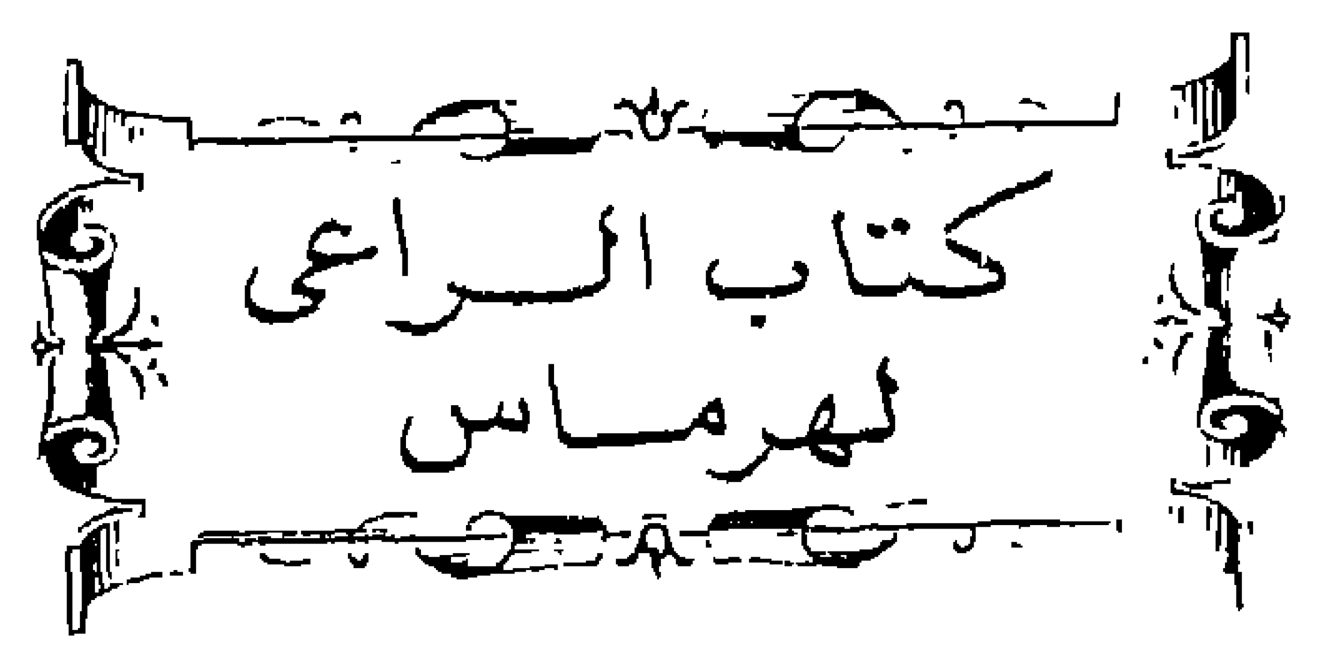
(أ) حسب القديس مرقس الانجيلى مترجماً للقديس بطرس ، وقد فنَّد قداسة البابا شنودة الثالث فى كتابه « القديس الانجيلى ناظر الاله مرقس » هذا الرأى .

(ب) انتقد يوسابيوس القيصرى(٨) على ما تحدث به من قيام مُلك ألفى زمنى بعد القيامة من الأموات ، بصورة خيالية متوهماً أن السيد المسيح يعود إلى الأرض

وفى مملكته توجد ١٠,٠٠٠ كرمة كل كرمة بها ١٠,٠٠٠ غصن ، وكل غصن به ١٠,٠٠٠ عنقود ، وكل عنقود يحوى ١٠,٠٠٠ حبة من العنب ، وكل حبة عصيرها يملأ ٢٥ مكيالاً من الخمر ! صورة خيالية سقط فيها خلال دفاعه عن المسيحية ضد اليهود ، متخيلاً ان ما ورد فى العصر المسيانى من سلام وبركات إنما هى أمور حرفية زمنية تتحقق فى مجيئه الثانى ... وقد أخذ بعض الآباء هذه الفكرة عنه لا كعقيدة مدروسة وإنما خلال أحاديثهم العابرة ؛ من بينهم القديس أغسطينوس الذى تدارك الأمر فيما بعد ودرسه فى جدية بالروح الانجيلى الكنسى وحسب من يعتنق هذه العقيدة إنما يُحسب منحرفاً عن الإيمان .

1- Irenaeus: Adv. Haer. 5:33:4; Eusebius: H.E., 3:36:1, 2.
2- Ibid.
3- Jean Danielou: The Theology of Jewish Christianity, p. 46.
4- F. F. Bruce: Tradition, Old and New, Michgan 1972, p. 108.
٥ـ المؤلف : مقدمات فى علم الباترولوجى ، ١٩٧٤ ، ص ٩٥ .
6- J. B. Lightfoot: The Apostolic Fathers, Michigan, 1974, p. 262.
7 - Early Christian Fathers, p. 21, 22.
8 - Eusebius 3:39:11- 13; Irenaeus: Adv. Haer. 5:32.

+ + +



THE SHEPHERD OF HERMAS

يُدرج كتاب الراعى لهرماس بين كتابات الآباء الرسوليين ، لكنه فى الحقيقة ينتمى إلى الرؤى الأبوكريفا . هو كتاب رؤى قُدمت لهرماس خلال رمزين سماويين : الأول إمرأة عجوز كشفت له الرؤى الأربعة الأولى والثانى ملاك التوبة ظهر فى شكل راعٍ فى الرؤيا الخامسة قدم له الوصايا والأمثال .

هرمـاس

جاء فى القانون الموراتورى Muratorian Fragmenton the Conon الذى يعود إلى القرن الثانى أن هرماس صاحب كتاب الراعى هو أخو بيوس الأول أسقف روما (١٤٠ـــ١٥٠ م) ، وارتأى أوريجانوس[1] أن صاحب هذا الكتاب هو هرماس المذكور فى رومية ١٦ : ١٤ .

ما يقوله صاحب كتاب « الراعى » عن نفسه يصعب فيه التمييز بين ما هو رمز وما هو حقيقى . يقول عن نفسه إنه كان عبداً ، بيع فى روما إلى سيدة رومانية تسمى روده Rhoda ؛ فأحس فى بادىء الأمر بعاطفة الأخوة من نحوها ، ثم تطلع إلى جمالها فاشتهى أن تكون له إمرأة (رؤيا ١ : ١) . اطلقت سبيله ، واشتغل بالزراعة والتجارة فصار غنياً . تزوج من إمرأة ثرثارة ، واغفل أمر عائلته ، فانغمس أولاده فى الشر (رؤ ١ : ٣) ، وافتقر بسببهم (رؤيا ١ : ٢ ؛ ٢ : ٣ ؛ ٣ : ٦) .

يصوّر نفسه أحياناً رجلاً فاضلاً عنيفاً بعيداً عن كل الشهوات الشريرة ، بسيطاً مجانباً للشر (رؤ ١ : ٢) ، وأحياناً أخرى ، كاذباً متكلماً بالرياء (رؤيا ٣) .

إذ حدث اضطهاد ، تمسّك هو وزوجته بالإيمان ، بينما أنكر أولاده الإيمان ،

وتحمس للتوبة ، فوضع كتابه « الراعى » ليحث الخطاة على التوبة ، مظهراً أن نقاوة الكنيسة فى خطر بسبب استفحال الخطية ، وأن النهاية قد اقتربت .

ضياع أولاده لم يحطمه بل أثار فيه الرغبة فى الكرازة مشتاقاً أن يراهم تائبين ومعهم كل نفس بشرية ، وقد فرح بتوبة أهل بيته فعلاً (مثل ٧ : ٤) ، كما أعلن له الملاك انه سيعيد إليه حاله الأول الذى كان عليه قبل دماره ودمار أولاده .

تاريخ كتابته

جاء فى الرؤيا الثانية (٤ : ٣) أن الكنيسة قد أمرته أن يُعد نسختين لما يراه ، وأن يضع إحداهما تحت تصرف اكليمندس ليرسلها إلى المدن التى فى الخارج .

هنا يوجد نوع من التناقض ، إذ كيف يمكن أن يكون هرماس أخاً لبيوس أسقف روما الذى لم يجلس على كرسى روما قبل سنة ١٤٠ م بينما كان اكليمندس واضع الرسالة إلى كورنثوس أسقفا من سنة ٩٠ الى ١٠٠ م ؟ يعالج البعض هذا التناقض بالقول إن هذا العمل بدأ فى زمن اكليمندس وانتهى فى عهد بيوس[٢] .

نظرة الكنيسة الأولى لكتاب الراعى[٣]

توجد شهادات من القرن الثانى ، إذ يستشهد به القديس إيريناؤس[٤] والقديس اكليمندس الاسكندرى[٥] والعلامة أوريجانوس[٦] ، وينظرون إليه كسفر قانونى . وُوجد فى المخطوطة الاسكندرانية للكتاب المقدس مع رسالة برناباس بعد الكتب المقدسة [ربما ككتاب كنسى هام] .

يعترف العلامة أوريجانوس أنه يوجد فى عصره من يحط من قدر هذا الكتاب . ويجعله يوسابيوس فى عداد الكتب المضادة للكتاب المقدس[٧] ، وأما القديس أثناسيوس[٨] فمع اعتباره كتاباً نافعاً إلا أنه يجعله من الكتب غير القانونية .

أما بالنسبة للغرب فقد اعتبره العلامة ترتليان كتاباً يحبذ الزناة[٩] . ويقول القديس جيروم[١٠] إن هذا الكتاب كان منسيا فى الغرب فى القرن الرابع .

سماته

١ــ يمكننا القول بان هرماس كان انساناً تقياً ،متمسكاًبالإيمان ، ثبت وسط الاضطهاد .

٢ــ لم يكن هرماس مدرباً فى العقيدة ، وإن كان حسن النية . نراه يخلط بين ابن الله والروح القدس (قابل المثل ٩ : ١ بالمثل ٦ : ٥) .

٣ــ لم يكن الكاتب أديباً ، فقد جاءت لغته بسيطة وعامية ؛ وبالنظر إلى طابعه النبوى نجد صعوبة إن لم نقل عدم امكانية فهم بعض الأمور . كما يلاحظ أن هناك حشواً وتكراراً لبعض الحقائق . ولاشك انه لو تولت هذا الكتاب يد كاتب بارع لجاء أدق تعبيراً ، وخلا من التكرار والتطويل . هذا ما حمل بعض العلماء إلى **الشك فى وحدة الكتاب** ، فقالوا إنه مؤلف اشترك فى وضعه أكثر من كاتب ، استند كتّابه إلى أساس واحد وراحوا يبنون عليه[١١] ، غير أن الكتاب بلغته ، ونسق كتابته ، ومجرى التفكير الذى فيه ، والمقصد الذى يهدف اليه يثبت خطأ ما يزعم به هؤلاء العلماء. فالكاتب يستقى من الكتاب المقدس من غير أن يورد آية من آياته بحرفيتها ، ويستقى أيضاً من الكتب المنحولة ومن كتب المسيحيين والوثنيين على السواء ، ومن اللاتينية والكتبة اللاتين . ويستشم مما فى الكتاب من الكلمات والتعبيرات اللاتينية، انه كتب فى بلاد تستعمل فيها اللغة اللاتينية بجانب اللغة اليونانية ، ويجوز أن يكون قد كُتب فى روما . وبالنظر إلى العبرية التى فيه فقد يجوز أن يكون الكاتب من أصل عبرانى[١٢] .

٤ــ ليس من بين كل كتابات الآباء الرسوليين ما يهتم بالجانب التعليمى instructive أكثر من كتاب الراعى ، وليس من بينها ما هو أصعب منه فى التفسير من جهة تاريخه ومحتوياته وسماته وتعاليمه ... فجميعها أمور تحت البحث[١٣] . حقاً انه يكشف عن بساطة الحياة المسيحية وما تتسم به من اشتراكية مع عمق فى الروحانية ، لكن كما قلنا أفكاره غير كاملة بل وغامضة ، يثير مشكلة ويعطى رأياً ، لكنه قبل أن يكمله يأتى برأى آخر .

ما أحبه آباء الكنيسة الأولى فيه ليس فكره اللاهوتى وإنما تعليمه السلوكى الأخلاقى وفهمه للحياة المسيحية[١٤] .

٥ــ كتاب الراعى غزير المادة جمّ الفائدة لمؤرخ الكنيسة فى النصف الاول من القرن الثانى . فاننا نلتقى فيه بجميع طبقات المسيحيين ، بالصالحين والأشرار . فهناك أساقفة وكهنة وشمامسة أتقياء أمناء ، وهنالك أيضاً كهنة مهملون طامعون وشمامسة أكلوا أموال الأرامل واليتامى . وفيه يبهر نور الشهداء الثابتين فى الايمان كما ينبو البصر عن الجاحدين المجدفين وفيه المسيحى المخلص ، والمرائى ، والغنى الذى لا يكترث للفقراء ، والمؤمن الحقيقى الذى يبذل بسخاء ، واهمال بعض المسيحيين وطمعهم وتمسكهم بحطام الدنيا . يعتبر هذا الكتاب أشبه بمراجعة كنيسة روما لنفسها أو فحصها ذاتها[١٥] .

1 - Comm. in Rom. 10:31.
2 - J. Quasten: Patrology, vol. 1, p. 92-93.
٣ ــ سلسلة آباء الكنيسة : ١ــ الآباء الرسوليون ، تعريب مطران حلب إلياس معوض ، ١٩٧٠ ، ص ١٦٧ ، ١٦٨ .

4 - Eusebius: H.E. 5:8.
5 - Stromata 1:29.
6 - Comm. on Matt. 14:1.
7 - Eusebius: H.E. 3:25.
8 - Letter on the Acto of the Niciene Council, 18.
9 - De Pudicitia 10.
10- De vir, il. 10.

١١ــ ان شمبانيى من الآباء الانطونيين ، باريس سنة ١٨٦٣ يعتقد بأن هرماس العهد الجديد كتب الرؤى الأربعة الاولى ، أما بقية الكتاب فمن صنع شقيق البابا بيوس . وهيلغنفلد فى كتابه (Novum Testam, extra canonem rec, 2d ed) يعتقد بأنه جرت ثلاث تحويرات للكتاب يعددها كالآتى :

(Hermas Pastoralis, H. Apacalypticus, H. secundarius).

أما ف . سبيتا فى كتابه (Zur Gesch. und Liter. des Urchristentums, Vol. 2, (Göttingen 1896, p. 241) فيعتقد بأن كتاب « الراعى » هو رؤيا

يهودية حورها مسيحى فى عهد الامبراطور كلوديوس . وهناك أيضاً كتاب آخرون لم يقبلوا بصحة هذه الافتراضات بل حاولوا ان يبرهنوا على وحدة هذا الكتاب نذكر منهم :

A. Link. P. Baumgartner. F. Funk (Die Einheit d. Hirten, in Kirchengesch. Abhandlungen u. Unters, 3, Paderborn, 1907 p. 230-261). C. Turner (The journal of theological studies, London, 21, 1920, p. 193-209), and others. E. Grosse. Brauckmann (de compositione Pastoris Hermae, Göttingen 1910).

ان هذا الأخير يعتقد بأن هرماس كتب كتابه فى البداية لأجل عائلته ، لكنه بعد فترة وجيزة حوره وأضاف عليه بعض الأفكار لأجل الكنيسة ، ويرجع بأن هرماس لم يكتب كتابه فى مناسبة واحدة بل كتبه فى عدة مناسبات .

١٢ــ سلسلة آباء الكنيسة : ١ــ الآباء الرسوليون ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

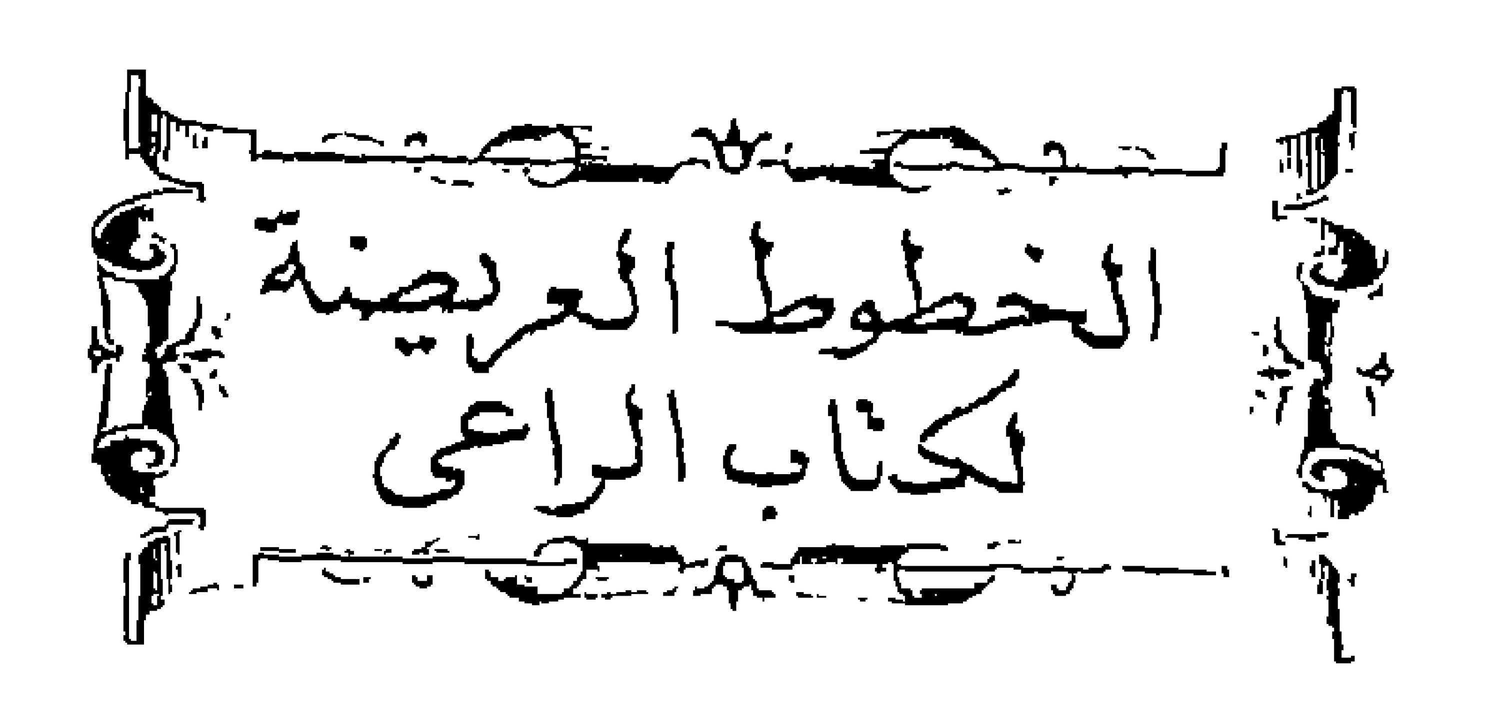
13- Jules Lebreton: The History of the Primitive Church, London 1944, vol. 2, p. 369, 370.

14- Ibid, 370.

15- J. Quasten: Patrology, vol. 1, p. 96-97.

الدكتور أسد رستم : آباء الكنيسة ــ القرون الثلاثة الأولى ، ١٩٨٣ ، ص ٥٢ .

+ + +



أقسامه

يحوى كتاب الراعى ثلاث مجموعات : خمس رؤى ، واثنتى عشرة وصية وعشرة استعارات أو أمثال ، غير أن واضع الكتاب يقدم تقسيماً آخر وهو :

١ـــ القسم الأول يحوى الأربع رؤى الأولى التى أعلنتها الكنيسة له .

٢ـــ القسم الثانى يبدأ بالرؤيا الخامسة حيث يقدم الراعى الوصايا والأمثال ، وهو القسم الأطول والأهم .

الرؤى الخمس

تظهر الكنيسة فى أربع رؤى متعاقبة :

فى **الرؤيا الأولى** تظهر كإمرأة عجوز ضعيفة جالسة على كرسى ، تحضه على التوبة عن خطاياه وخطايا عائلته .

فى **الرؤيا الثانية** تستعيد الكنيسة قوتها .

فى **الرؤيا الثالثة** تظهر صبية صغيرة جميلة ؛ جاء فيها :

[إنك تسأل لماذا ظهرت المرأة فى المرة الأولى مسنة وجالسة على مقعد ؟ لأنك كنت عجوزاً بروحك ، لا قوة فيها بسبب فتورك وتشككك . كما أن الشيوخ يفقدون الأمل فى العودة إلى الشباب ، وكل آمالهم تنحصر فى انتظارهم الرقاد الأخير ، كذلك أنتم المسترخون فى الأمور الحياتية إنكم قد أسلمتم ذواتكم إلى اليأس بدلاً من أن تلقوا همومكم على المخلص ، وأثقلتم قلوبكم بالأحزان وشاخت من الأسى .

أريد أن أعرف لماذا كانت المرأة جالسة على المقعد ؟
قال : لأن كل كسيح يضطر أن يجلس ، لا يمكنه إلا أن يجلس .
هذا هو معنى الرؤيا الأولى .

في **الرؤيا الثانية** رأت المرأة تنتصب على قدميها بوجه أكثر فتّوة واشراقاً ، إلا أن جسدها وشعرها كانا جسد وشعر إمرأة مسنة . إن هذا يشبه المثل الآتي : انسان شيخ أقعدته همومه واحزانه واستولى عليه اليأس ، وكان ينتظر يومه الأخير تخلصاً من اليأس الذي استولى عليه ، وفجأة سقطت عليه ثروة ما كان يحلم بها ، وبسبب هذه الثروة نسى ضعفه ، وسرت فيه الحياة من جديد ، وتجددت قواه التي انهكتها الأشغال السابقة ، فخرج من سريره فرحاً ، ووقف على قدميه . كذلك أنت عندما سمعت اعلان المخلص لك . فقد ترآف بك وتحنن عليك ، وعادت إليك القوة بعد أن طرحت الضعف جانباً ، وتركزت في الايمان ...

في **الرؤيا الثالثة** ظهرت المرأة شابة فرحة وجميلة، كان شكلها رائعاً. كما أن اعلان الخير ينسى الرجل الحزين أحزانه وأتعابه الماضية ، ولا يفكر إلا في البشارة الجديدة ، فتعود إليه كل القوى التي تفعل الخير ويشعر بأن روحه قد عاد الشباب بالفرح الذي انتابه ، كذلك أنت ، قد شعرت بأن الشبوبية قد عادت إلى نفسك لدى رؤيتك هذه الخيرات . إذا كنت قد رأيتها جالسة على مقعد فلأنها أرادت أن تبرهن على رسوخ مركزها وثباته(١) ...]

يلاحظ في هذا التفسير الآتي :

١ــ عدم الفصل بين الحياة الشخصية وحياة الجماعة ، أو بين حياة العضو وحياة الكنيسة ... عندما يسقط الانسان تبدو الكنيسة وكأنها امرأة مسنة لا تقوى على الوقوف ؛ وحينما يقبل نعمة الله ووعوده يتجدد شبابها . حياتنا متلاحمة معاً بكوننا جسد المسيح الواحد ، ما نمارسه أو نفكر فيه إنما هو لحساب الجماعة كلها .

٢ــ تركز الرؤى على الرجاء أو اليأس ؛ فالخطية تحطم نفس الانسان ، وتدخل به إلى اليأس ، فينهار رجاؤه وشبابه ، مشتهياً الموت ؛ أما نعمة الله فتبعث الرجاء وتجدد مثل النسر شبابه .

٣ــ المظهر الخارجي لا يكشف عن تمام الحقيقة ، فالعجوز جالسة على

مقعد والفتاة أيضاً . الأولى تجلس لأنها عاجزة عن الحركة أو القيام بعمل ، والثانية تجلس كمن يحكم ، ثابتة فى حياتها ، صاحبة سلطان .

٤ــ التحول من حالة شيخوخة إلى الشبوبية إنما يعنى أن المخلص يخلق أو يعيد خلقتنا بالميلاد الجديد . فالحاجة لا إلى اصلاح جزئى بل إلى الحياة الجديدة ... يقيمنا من جديد على صورته . وكما يقول الرسول بولس : « تلبسوا الانسان الجديد المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق » أف ٤ : ٢٤ .

٥ــ يرى البعض(٢) أن التحول السريع من الشيخوخة إلى الشبوبية فى حياة المؤمن إنما يعنى أن الشر ليس متأصلاً بعمق شديد كما نظن ، وأن هذا الانطباع يتثبت بالأكثر فى بقية الكتاب. فالمسيحى بالتوبة ــ المعمودية الثانية ــ يتجدد ذهنه يومياً فلا يشيخ ، وان كان قد شاخ يعود الى الحياة الشابة من جديد !

فى **الرؤيا الثالثة** تطل الكنيسة (السيدة الشابة) على هرماس لتريه برجاً عالياً فى طور البناء ، فتظهر أن الكنيسة تصير فى القريب مُثلى ، غير أن كل حجر لا يصلح للبناء يُرذل ، هكذا كل خاطىء يُمنع من الشركة الحقة فى الكنيسة ما لم يتب ، خاصة وأن الوقت مقصر .

فى **الرؤيا الرابعة** يظهر تنين قبيح مُرعب فوق رأسه أربعة ألوان : أسود وأحمر نارى وذهبى وأبيض يرمز إلى الأخطار والاضطهادات المحدقة ، لكنه لا يؤذى المؤمن الثابت فى إيمانه . ويظهر وراء التنين الكنيسة فى هيئة عروس جميلة متوّجة رمز السعادة والتطويب للمؤمنين وضمان قبولهم فى الكنيسة الخالدة المقبلة .

يقول : [بعد أن اجتزت التنين التقيت بعد ثلاثين خطوة بفتاة مزينة كأنها خارجة من عرس يوشحها البياض، وتنتعل حذاءً أبيض، وتغطى رأسها حتى الجبين ، وتلبس فوقه تاجاً ، وكان شعرها أبيض ... فغمرتنى رؤيتها فرحاً ، فصافحتنى ... وقالت : « ألم تلتقِ بشىء فى طريقك ؟ قلت : نعم . لقد التقيت بتنين يمكنه أن يهدم مدينة ، إلا إننى نجوت منه بقدرة الله ورحمته » . فقالت : إذا كنت قد نجوت ، فلأنك ألقيت همومك عى الله ، وفتحت له قلبك ، وآمنت أن لا خلاص لأى إنسان إلا بواسطة اسمه العظيم . لذلك أرسل الله ملاكه الموكل إليه أمر الحيوانات ، المُسمى ثاغرى ، ولجّم فمه حتى لا

يقضى عليك ، لقد نجوت بايمانك من نكبة عظيمة ، فلم تتزعزع أمام وحش هائل كهذا . اذهب وفسر لمختارى الله اعماله المجيدة ، وقل لهم إن هذا الوحش هو صورة للأحزان المستقبلة العظيمة . استعدوا وتوبوا من أعماق قلوبكم ... آمنوا بالمخلص أيها المؤمنون المتأرجحون ...

سألتها عن الألوان الأربعة التى فوق رأس الحيوان ، فأجابتنى ، قائلة ...

« الأسود هو العالم الذى تسكن فيه .

أما النارى الدموى فإن العالم سيهلك بالنار والدم .

أما الجزء المذهب فهو أنتم الذين تهربون من هذا العالم ؛ فكما أن الذهب يُختبر بالنار ويصبح صالحاً للاستعمال ، كذلك أنتم الذين تقطنون هذا العالم تُختبرون ...

أما الجزء الأبيض فانه الدهر الآتى الذى يقطنه مختارو الله ، لأن المختارين لحياة أبدية يكونون طاهرين بلا دنس[٣] .]

الرؤيا الخامسة : يظهر ملاك التوبة فى ثوب راعٍ يدبر أمور التوبة ، ويضمن نتائجها ويعلن عن الوصايا الواجب حفظها .

هنا نلاحظ أن ملاك التوبة لم يظهر لهرماس إلا بعدما تمتع برؤية الكنيسة الشابة الجميلة الغالبة للتنين ، المتوجة باكليل النصرة ، المتوشحة بالقداسة (البياض) ، المنتعلة بحذاء أبيض ، أى تسلك الطريق الملوكى بالنقاوة ، المحتشمة (تغطى رأسها حتى الجبين) ، الحكيمة (شعرها أبيض) ... هذا المنظر بعث فيه فرحاً يسنده على قبول الوصية والجهاد من أجلها فى الرب .

لا يستطيع المؤمن أن يحب الوصية ، ويتقبلها بفرح ، ما لم يكتشف الحياة الكنسية المجيدة الغالبة للشر ، والحاملة قداسة مسيحها . وكأن الوصية ليست أوامر ونواهٍ ، إنما هى الطريق الملوكى الذى فيه ننعم بمسيحنا واهب الغلبة والحياة المقدسة .

الوصايا الاثنتا عشرة

تسلم هرماس من ملاك التوبة الذى يتقدمه فى شكل راع الوصايا التى تتضمن التعاليم المسيحية التى يجب تطبيقها عملياً ، وهى :

١ــ الإيمان بالله الخالق وخشيته التى تبعث التعفف .

٢ــ البساطة وعدم النميمة وعدم الانشقاق وحب العطاء .

٣ــ الصدق أو الحق : الله الساكن فينا هو الحق !

[أحبب الحق ، ولا ينطق فمك إلا به ، ليرى الناس جميعاً حقيقة الروح الذى أسكنه الله فيك ، وهكذا يتمجد الرب الساكن فيك ؛ لأن الله حق فى كل أقواله ، وليس فيه كذب قط(٤) .]

٤ــ طهارة المتزوجين

[إذا اكتشف (الزوج) أن (زوجته) تزنى ، ورفضت أن تتوب ، فإنه يكون شريكاً معها فى زناها وخطيتها إن عاش معها(٥) .]

[ليصرفها وليبقَ وحده . ولكن إن تزوج ثانية بعد ترك زوجته فهو يزنى .

قلت : وإذا تابت المرأة بعد تركه لها ، وأرادت أن تعود إلى زوجها ، ألا يجب أن يقبلها ؟

أجاب : بالتأكيد .

قلت : وإذا رفض قبولها ؟

قال : إنه يخطىء ويتحمل مسئولية كبرى ، لأنه يجب دائماً قبول التائب لمرة واحدة لا أكثر ، لذلك لا يجوز لرجل أن يتزوج مرة أخرى وكذلك المرأة(٦) .]

[لا يجوز لمن غفر له أن يخطىء ، بل وجب عليه أن يبقى فى الطهارة(٧) .]

[للانسان توبة واحدة ، أما إذا أخطأ ثانية وتاب فتوبته باطلة ، ومن الصعب أن يجد الحياة(٨) .]

ربما عنى هذا عدم الاستهتار خاصة فى بعض الخطايا كالزنا والقتل وانكار

الإيمان ... فانه بعد العماد إن سقط الانسان فليتب ، لكنه لا يتهاون مستهتراً بطول اناة الله فيسقط ليتوب !

٥ــ طول الأناة :

[إن كنت طويل الأناة فالروح القدس الذى يسكن فيك يبقى نقياً ولن يزورك فكر شرير قط .

إن كان قلبك طاهراً ، فالروح الذى فيك يبتهج ويتهلل ، إذ يعمل فى سعة بيتك الذى تحكمه البساطة بصفاء ، أما إذا دخله الغضب ، فينزعج الروح القدس المملوء رقة بتلوث المكان الذى يعيش فيه ويحاول مغادرته ...

طول الأناة يفوق العسل حلاوة ...[٩]]

٦ــ السلوك فى طريق العدل لا الظلم :

[يصحب **الانسان ملاكان** ، ملاك العدل وملاك الشر ... عندما تشعر بالتذمر والمرارة فاعلم أن الشيطان يسكن **فيك**... فابتعد عنه ولا تصدقه ، لأن أعماله تضر عبيد الله[١٠] .]

٧ــ خف الله لا الشيطان :

[اخش الرب واحفظ وصاياه التى تقويك فى كل أمورك ، فلا يكون مثيل لأعمالك ...

لا تخشَ الشيطان إذا خشيت الرب ، فإن خشيتك لله تعطيك سلطاناً على الشيطان[١١] .]

٨ــ اصنع الخير وكف عن الشر :

[إن فعلت الصلاح تحيا فى الله ، ويحيا أيضاً الذين يفعلون الخير مثلك[١٢] .]

٩ــ الكف عن الشك :

[إذا تسلل الشك إلى قلبك لن تنال شيئاً ... أما الذين يطلبون واثقين فإنهم ينالون ما يريدون ، لأن صلاتهم تخلو من التردد والشك[١٣] .]

١٠ـــ الكآبـــة :

[اطرد عنك الحزن (الكآبة) ، فانه شقيق الشك والغضب[١٤] .]

[الروح القدس القاطن فيك لا يحتمل الكآبة ولا الانزعاج[١٥] .]

[الكآبة إذا امتزجت بالصلاة يمنعها من الصعود نقية[١٦] .]

١١ـــ الأنبياء الكذبة : الاتضاع يميز النبى الصادق من النبى الكذاب[١٧] .

١٢ـــ ترك الشهوات الشريرة :

[قبل كل شيء إياك واشتهاء إمرأة غريبة والترف والتنعم بالباطل والسكر وكل شهوة أو لذة صبيانية . الشهوة الشريرة إذا رأتك مُسلحاً بخوف الله تُولى هاربة ، ولا تجسر قط أن تظهر أمامك إذا رأتك مستعداً لمقاومتها ، حينئذ تتوج رأسك باكليل الظفر ؛ فاقترب من الرغبة الصالحة ... وكرس نفسك لها ، وضع نفسك تحت تصرفها ، وهكذا تستطيع أن تسيطر على الشهوة الشريرة ، وتتحكم بها بارادتك[١٨] .]

[يجيد الشيطان الصراع ، لكنه لا يغلب إذا صمدتم فى وجهه ، بل ينحدر ويهرب خجلاً .

الأشخاص الفارغون هم الذين يخافون الشيطان كقوة[١٩] .]

[لا تخافوا مطلقاً تهديدات الشيطان ، فإنه مشلول كأعصاب ميت[٢٠]]

الأمثال

جاءت الخمسة أمثال الأولى من نوع الوصايا .

المثل الأول : التغرب

[إنكم تعلمون يا عبيد الله أنكم تقطنون أرضاً غريبة ، وأن بلدكم بعيد جداً وليس ههنا ... فلماذا تقتنون الأراضى الشاسعة والقصور والأبنية والمساكن مادمتم تعرفون أن المدينة التى ستستوطنونها ليست هنا ؟!

من يهيىء نفسه لهذه الحياة يصعب عليه أن يعود إلى مدينته الحقيقية[٢١] .

المثل الثانى : الكرمة وشجرة الدردار (محبة الفقراء)

الكرمة تشبه الغنى واالدردار يشبه الفقير ؛ الكرمة إن تركت على الأرض لا تحمل ثمراً كثيراً ، لكنها إن تسلقت شجرة الدردار تعطى ثمراً كثيراً ؛ هكذا يجب أن يتلازم الغنى مع الفقير . الغنى يستنزف ثروته اهتمامه من خدمة الله ، لكن انشغاله بالفقير يحقق له ثمراً متزايداً لدى الرب .

المثل الثالث : الأشجار العارية فى الشتاء

[الأشجار التى تراها هم سكان هذا العالم ... لأن الصديقين والخطاة لا يتميزون فى هذا العالم بل جميعهم يتشابهون . هذا العالم بالنسبة للصديقين هو بمثابة الشتاء ، ولا يتميزون عن الخطاة الذين يسكنون معهم . ففى الشتاء تفقد الأشجار أوراقها وتصبح متشابهة تماماً ، ويصعب التمييز بين الأشجار الميتة والأشجار الحية[٢٢] .]

المثل الرابع : تمييز الأشجار فى الصيف

[كما أن ثمار الأشجار تظهر فى الصيف ، وتعرف كل شجرة من ثمارها ، كذلك سيُعرف الصديقون المثقلون بأوراق تعطى ظلاً من ثمارهم . أما الوثنيون والخطاة الذين ترمز لهم الأشجار اليابسة ، فسيظهرون فى الدهر الآتى على حالتهم : يابسين عقيمين ، ويُلقى بهم فى النار كالخشب اليابس ، لأن أعمالهم كانت شريرة[٢٣] .]

المثل الخامس : مفهوم الصوم الحقيقى

[اسمع . فإن الله لا يريد صوماً باطلاً كهذا الصوم ؛ إن صمت هكذا فأنت لا تعمل شيئاً للبر .

صُم للرب هكذا :
لا تصنع الشر ،
واخدم بقلب نقى ،

واحفظ وصايا الله ،
وسِّر حسب أوامره ،
ولا تترك للشهوة الشريرة منفذاً إلى قلبك .
وثق بالله .

فإن إن فعلت هذا ، وخشيت الله ، تكون قد صمت صوماً عظيماً مقبولاً لدى الله(٢٤) .]

يركز الراعى فى وصيته على الحياة الداخلية ، مقدماً مثلاً لذلك : انسان سلَّم حقله لعبده الأمين ولم يوصه إلا بتسييجه ، وإذ سيج العبد الحقل رأى الحقل مملوءِ أشواكاً فقام بتنقيته والاهتمام بفلاحته . عاد صاحب الكرم وفرح بما صنعه عبده ، وكرّمه أمام ابنه الحبيب وكل مستشاريه وأصدقائه ، قائلاً لهم إن هذا العبد صنع بكامل حريته أكثر مما أمره به ، لذلك يجعله وارثاً مع ابنه الحبيب . وبعد أيام صنع سيده عشاءً وأرسل الكثير من الأطعمة للعبد الأمين ، فاحتفظ بقدر حاجته ووزع الباقى على رفقائه العبيد ... سمع السيد فصمم بالأكثر أن يجعله وارثاً .

تحدث أيضا عن الطهارة : [احفظ جسدك طاهراً بلا دنس حتى يتال شهادة الروح القدس الساكن فيه(٢٥) .]

الأربعة أمثال التالية [٦ـــ٩] تعالج فى شىء من التفصيل موضوع **التوبة** ، بينما فى المثل الأخير [١٠] يعود فيظهر البرج مرة أخرى ، ويعلم ملاك التوبة هرماس أن ينقى عائلته من كل شر ، وأنْ ينصح كل أحد بالتوبة .

المثل السادس : حوار بين ملاك الشهوة والخداع وملاك العقاب فى ثوبى راعيين

أخذه ملاك التوبة إلى الحقل ليرىَ راعييّ الأغنام :

الراعى الأول : هو ملاك الشهوة والخداع فى شكل شاب يرتدى لباساً أصفر ، وجهه يشع فرحاً لأن قطيعاً كبيراً يقفز متهللاً من مكان إلى آخر ليحيا فى الشهوة ، هؤلاء هم الذين انفصلوا عن الله نهائياً ، وتركوا حياتهم فى أيدى

شهوات العالم ، وأهانوا اسم الله دون توبة ؛ ونصيبهم هو الموت . ويوجد فى قطيعه أيضا خراف فى نفس المكان تلهو ولا تتهلل ؛ هؤلاء هم الغارقون فى الشهوة لكنهم لا يهينون الله ، وقد بقى فيهم رجاء التوبة . هم فى فساد لكنهم بالتوبة يخلصون من الموت الأبدى .

الراعى الثانى : هو ملاك العقاب ، طويل القامة ، وحشى الهيئة ، يلبس عباءة بيضاء من جلد الماعز ، وعلى كتفيه جراباً ، وفى يده عصى ثقيلة معقدة وسوط كبير . يستلم ملاك العقاب من الراعى الشاب الخراف الغارقة دون أن تهلل ، ويضعها فى مكان منحدر مملوء بالأشواك والعليق ، وكان الراعى يضربها بقسوة ، الأمر الذى أثار شفقة هرماس جداً عليها ...

قال له ملاك التوبة : [عندما تحلّ بهم المحن الكثيرة **تصير لهم آلامهم مدرسة لثقافتهم** ، فيتقدون فى الإيمان ، ويصرفون بقية أيامهم يخدمون الله بقلب نقى ، وإذا ما تابوا يتذكرون الأعمال الرديئة التى ارتكبوها ، ويعرفون أنها هى التى سببت لهم ما أصابهم وما نالوه من عقاب عادل من الله ، وينجحون فى كل مشاريعهم التى يقدمون عليها دون أن يمسهم ضرر[٢٦] .]

المثل السابع : هرماس يتألم بسبب خطايا عائلته

مرمرت عائلته ملاك العقاب أو الملاك الديان ... وإذ تابت من كل قلبها طلب هرماس من الملاك أن يعفيه من الضيق ، وإن كان ملاك التوبة طلب منه أن يحمل الصليب باختياره .

يقول ملاك التوبة : [يجب على التائب أن يفرض الألم على نفسه ، وأن يكون متواضعاً فى أعماله ، وأن يحتمل آلاما متعددة ، فإن احتمل بصبر ما يصيبه من آلام ، يترآف خالق الكون به ، ويشفيه من كل شروره ، لأنه يعرف مكنونات القلوب ، ويتطلع إليه ، ويفحص نقاوته[٢٧] .] مثل ٧ : ٤ ، ٥ .

المثل الثامن : شجرة الصفصاف وعمل النعمة

أراه الراعى شجرة صفصاف كانت تظلل سهولاً وجبالاً ، وقد اجتمع تحتها كل الذين دعوا باسم المسيح . وكان ملاك الرب العظيم بقامته الفارعة يقف تحت

الشجرة وفى يده منجل ، وكان يقطع به أغصاناً ، ويوزعها على الجمع المحتشد تحت ظلالها . وكانت الأغصان صغيرة لا تتجاوز طول الشبر . وبعد أن استلم الجميع أغصانهم وضع ملاك الرب المنجل جانباً ، وظهرت الشجرة كأنها لم تمس .

شجرة الصفصاف — كما قال ملاك التوبة — هى الناموس أو ابن الله ، ربما قصد بها **كلمة الله** أو الوصية المكتوبة ، أو كلمة الله المتجسد ، فإن كل مؤمن بالكلمة المتجسد يكون كمن تمتع بغصن ، ويلتزم أن يبقى أميناً فى إيمانه بالحياة الانجيلية الحية .

وملاك الرب العظيم هو رئيس الملائكة ميخائيل ، الموكل إليه حفظ إيمان الكنيسة .

جاء وقت استلام الأغصان وفحصها بدقة ، فماذا وجد ؟

١— أُعطى لمن كانت أغصانهم يانعة ومثمرة أكاليل كأنها مصنوعة من أغصان النخيل على رؤوسهم وأُدخلوا فى البرج ، هؤلاء هم الذين صارعوا الشيطان وغلبوه ، وتحملوا الموت من أجل الوصية فتمتعوا بإكليل النصرة .

٢— الذين قدموا أغصانهم يانعة دون ثمر أرسلهم إلى البرج بعد ختمهم بخاتم ، وهناك صاروا يلبسون ثياباً بيضاء كالثلج . هؤلاء هم الذين طبقوا الناموس وتحملوا اضطهادات ولم ينكروا إسم المسيح .

٣— سلم الملاك العظيم لملاك التوبة بقية الجموع ثم غادر المكان ، وصار ملاك التوبة يفحص أغصانهم فوجدها هكذا :

(أ) البعض يابسة دون أن ينخرها السوس .

(ب) البعض نصف يابسة [المترددون الذين هم ليسوا أحياء ولا أموات] .

(جـ) البعض نصف يابسة ومشققة [المترددون النمامون] .

(د) البعض نصف خضراء مشققة [مؤمنون لكنهم يطلبون المجد الباطل] .

(هـ) البعض نصف خضراء ونصف يابسة [المنغمسون فى الزمنيات] .

(و) البعض خضراء بثلثيها والثلث الباقى يابس [الذين انكروا الإيمان أحياناً وأعلنوه أحياناً .]

(ز) البعض يابسة بثلثيها والثلث الباقى أخضر [الذين بعد قبولهم الإيمان عادوا إلى طريق الأمم] .

(ح) البعض خضراء كلها إلا القليل من طرفها [المؤمنون الذين سقطوا عن ضعف] .

(ط) البعض يابسة كلها إلا قليل من طرفها اخضر [المؤمنون الذين يصنعون الإثم لكنهم يفتخرون باسم الله ويستقبلون خدام الله بفرح .]

أخذ ملاك التوبة من الناس الأغصان وزرعها فى الأرض مترجياً أن تعود إليها الحياة بالتوبة ، وصار يسقيها ، لأن الخالق يريد الحياة لكل من تسّلم غصناً من هذه الأغصان .

جاءت الجماعات مصطفة حسب ترتيب تسليمهم الأغصان ، وعاد يفحص الأغصان . البعض عادت إليها الخضرة ، والأخرى أكلها السوس ؛ البعض صار بها براعم ثمر والأخرى بقيت عقيمة ...

سأل هرماس : لماذا لم يتب الجميع ؟ فأجابه ملاك التوبة : [يعطى الله روح التوبة للقلوب التى تنتقى وتتطهر ، أما الخبيثة فتكون توبتها مرائية ، ولن يعطيها روح التوبة ، لئلا تهين اسمه[٢٨] .]

المثل التاسع : الكنيسة كبرج عجيب

قاد ملاك التوبة هرماس إلى جبل اركاديا ، وهو جبل لولبى ، **واجلسه فوق** القمة ، وأراه سهلاً عظيماً تحيطه دائرة من إثنى عشر جبلاً ، ولكل جبل شكل خاص به . **هذه الجبال تمثل إثنى عشر سبطاً يقطنون كل العالم** ، كرز لهم الرسل بابن الله ، أى تشير إلى الكنائس المحلية المنتشرة فى العالم ، لها ثقافاتها الخاصة وطقوسها الخاصة ، لذا ظهرت الجبال مختلفة الشكل ، التى ربما تشير إلى المؤمنين الذين بينهم من هم أمناء ومنهم من هم غير أمناء :

١ ــ جبل أسود [المؤمنون الذين جدّفوا على الرب وخانوا خدامه] .

٢ ــ جبل عارٍ لا عشب فيه [المراؤون ومعلمو الفساد] .

٣ ــ جبل ملىء بالأشواك والعليق [الأغنياء المرتبكون بهموم العالم] .

٤ ــ جبل نصفه مملوء عشباً ؛ وكانت رؤوسى الأعشاب خضراء ، والقسم القريب من الجذور يابساً ، وكانت الحرارة تيبس بعض الأعشاب [المرتدون الذين يشهدون للرب بأفواههم أما قلوبهم فبعيدة عنه] .

٥ ــ جبل معشب ووعر [المؤمنون العصاة المعجبين بأنفسهم كمُعلّمين] .

٦ ــ جبل ملء بالحفر الصغيرة والكبيرة ، فيها عشب ذابل [الحاقدون] .

٧ ــ جبل ملء بالأعشاب النضرة ، ترعى فيها الحيوانات فيزداد نضارة وبهاءً [البسطاء الراضين عن خدام الله المملؤون رحمة وحباً] .

٨ ــ جبل ملىء بالينابيع تشرب منها مخلوقات الله [الرسل والمعلمون] .

٩ ــ جبل بدون ماء ، فيه زحافات مميتة [الشمامسة السالبين ما لله] .

١٠ــ جبل فيه أشجار كبيرة تستظل تحتها قطعان الغنم [الاساقفة الأمناء] .

١١ــ جبل مُغطى بغابة كثيفة من الأشجار المثمرة شهية [المتألمون لأجل الله] .

١٢ــ جبل أبيض يبعث فى النفس بهجة وعذوبة [المؤمنون البسطاء كأطفال أبرياء] .

هذه صورة الشعب المسيحى بين الأمم ، منهم من هم مثل جبل أسود ومنها ما هو أبيض ؛ منها ما يحمل ثمار الروح الشهية ومنها ما هو عقيم ؛ منها ما بها ينابيع نعمة الله المروية للنفوس ، ومنها ما يقتله الجفاف الروحى الخ ...

أراه أيضاً **صخرة بيضاء** كانت تقوم مرتفعة فى وسط السهل ، وكانت

الصخرة أعلى من الجبال ومربعة ، تستطيع أن تسع العالم ؛ كانت الصخرة قديمة وبابها محفور فى أحد جوانبها ، وقد ظهر له الباب محفوراً حفراً حديثاً . كانت الصخرة أكثر لمعاناً من الشمس حتى أن أشعتها أثارت أعجابه . الصخرة القديمة هى ابن الله الأزلى ، صخر الدهور الذى يسع العالم كله ككنيسة مقدسة يحملها بذراعيه ، أما الباب الجديد فيشير إلى تجسده ، به ندخل إليه وننعم بخلاصه ونحيا فى ملكوته .

كان حول الباب **إثنتا عشر عذراء** : أربعة منهن ، وهن أجملهن ، كن يقمن عند الزوايا ، أما الباقيات فكن يقفن بين كل زاويتين ، إثنتين إثنتين . وكن يلبسن لباساً من الكتان ، ويأتزرن مآزر جميلة ، وكانت أكتافهن عارية كأنها أُعدت لحمل شيء ما ، وكن يقفن مستعدات فرحات .

العذارى الواقفات عند الزاوية هن : الإيمان والعفة والقوة وطول الأناة ؛ أما الواقفات بينهن فهن : البساطة والبراءة والنقاوة والصفاء والحقيقة والفطنة والتصافى والمحبة . من حمل هذه الأسماء مع اسم ابن الله يمكنه أن يدخل ملكوت السموات .

كان المشهد مثيراً ورائعاً ، ومحيراً ، فقد رأى العذارى الناعمات اللواتى **يقفن بنعومتهن وقفة رجولية كأنهن يتهيأن ليحملن السماء كلها** [٩ : ٢ : ٥] . هكذا تتمتع نفس المؤمن الحقيقى برقة شديدة ولطف زائد ، فتكون كمجموعة من العذارى الجميلات الرقيقات ، لكنها تحمل قوة وتسلك بحزم وفى نضج كمن يحمل السماء عينها ! إنها تحمل صورة ابن الله وسماته الوديع كل الوداعة ليجتذب الخطاة بحبه اللانهائى ، حازماً ضد الشر ، يقتل ابليس ويهدم سلطانه .

رأى أيضا **ستة رجال** مقبلين بقاماتهم الطويلة ومشيتهم الرصينة وهيئتهم المتشابهة ، وقد استدعوا عدداً من الناس طوال القامة مشرقى الطلعة أقوياء ، وأمرهم الستة أن يبنوا فوق الصخرة وفوق الباب برجاً . هؤلاء الرجال هم الملائكة المحيطون بابن الله ، ثلاثة عن اليمين وثلاثة عن اليسار ، يحثون المؤمنين للعمل الكنسى ، لبناء كنيسة الله على الإيمان بالمسيح الصخرة والباب .

كانت العذارى يطلبن من الرجال أن يسرعوا فى بناء البرج ، **وكن يمددن أيديهن كمن يردن أن يستلمن شيئاً** .

بناء على أمر الرجال الستة اقتلع الرجال **عشرة حجارة مربعة برّاقة غير منحوته** ، إستلمتها العذارى ، وحملن إياها ، ودخلن بها من الباب ، وسلمن إياها إلى الرجال الذين أوكل إليهم أمر بناء البرج . هذه الحجارة أستخرجت من أعماق البحر ، وتعاونت العذارى معاً على حملهن حجراً حجراً . هذه الحجارة هى الجيل الأول من المؤمنين الذين كانوا يُحملون من البحر كمن يُنتزعون من الطبيعة الميتة ، ويدخلون بالإيمان بابن الله مع سلوكهم الحياة المقدسة الجديدة (العذارى) إلى بناء ملكوت الله الروحى أى إلى الكنيسة .

كان بناء البرج يتم فوق الصخرة وفوق الباب ، وقد تغطت الحجارة كلها بتلاحمها معاً مع الصخرة التى صارت أساساً للبرج ... وبعد الحجارة العشرة أُستخرج من الأعماق خمسة وعشرون حجراً دخلت فى البناء كما حدث مع العشرة حجارة ؛ ثم خمسة وثلاثون ثم أربعون ، وهكذا **أصبح أساس البرج مؤلفاً من أربعة صفوف** . توقف استخراج الحجارة من الأعماق ، وتوقف البناؤون قليلاً عن البناء ، ثم أمر الرجال الستة جموع الفعلة بجلب الحجارة للبناء من الجبال . فانطلقوا يحملون حجارة مختلفة الألوان ، وكانوا ينحتونها ويسلمونها للعذارى اللواتى كن ينقلنها من الباب ويسلمنها لبناء البرج . وعندما كانت هذه الحجارة توضع فى مكانها من البناء تفقد الوانها وتصبح كلها بيضاء . إنها تمثل الكنيسة التى تصبح قلباً واحداً نقياً وبهياً فى المسيح يسوع .

الحجارة التى لم تتسلمها العذارى لم تدخل من الباب ولم تكن ملائمة للبناء ، بلا بهاء ، ولم يتغير لونها إلى الأبيض الناصع .

توقف العمل قليلاً وبقيت العذارى حارسات البرج حتى يأتى صاحب البرج ، **فقبّلنه** العذارى ودرن معه حول البرج . **صار يفحص البرج بدقة متحسساً كل حجر** ، **وكان يضرب بعضها بعصا فى يده** ، فكان بعضها يسوّد والبعض يتفتت أو يتشقق أو يُبتر ، وظهر البعض ليس بالأبيض ولا أسود ، وظهرت حجارة انها خشنة لا تصلح للبناء والبعض ملطخاً ... هذه حجارة لا

تصلح للبناء ، نُزعت عن البرج واستبدلت بغيرها ، أتوا بها لا من الجبال بل من سهل مجاور . حفروا السهل فعثروا على حجارة لامعة مكعبة وبعضها مستدير . هؤلاء هم الأغنياء الذين عاشوا حياة سهلة لكنهم لم يتركوا الايمان ولم يخرج من فمهم كلمة بطالة ، إذ **نُزع عنهم حب الغنى صاروا حجارة حية لامعة فى بيت الرب** ...

بعض الحجارة الكروية احتاجت إلى نحتها لتوضع فى البناء . وهكذا نرى **صاحب البرج يشتاق أن يستخدم كل حجر فى البناء** ، لكن الحجارة التى لا تستجيب تُرذل ، ويُلقى بها بعيداً عن البرج ...

جاء ملاك التوبة بعد يومين لتنظيف المكان خارج البرج ، فكان يلقى كل حجر لا يدخل فى البناء بعدما يبذل كل الجهد لتسليم كل حجر للعذارى الست حتى المفتت والمشقق لعله يصلح فى البناء .

المثل العاشر : ينبه ملاك العقاب هرماس وعائلته بالتوبة ، معلناً أن العذارى فرحات بوجودهن عنده ، وانه ينصحهن ألا يتركن بيت هرماس ، فقبلت العذارى النصيحة فرحات .

1 - Vision 3: 11-13.

استندت أحياناً على ترجمتين عربيتين فى نصوص هرماس :

+ سلسلة آباء الكنيسة : ١ـــ الآباء الرسوليون ، تعريب الياس معوض مطران حلب ، ١٩٨٠ .

+ اقدم النصوص المسيحية : سلسلة النصوص اللاهوتية : ١ـــ اقليمندس الرومانى ، راعى هرماس ، تعريب الأب جورج نصور ، الكسليك ، ١٩٧٥ .

2 - Lebreton: The History of the Primitive Church, vol. 2, p. 372.
3 - Vision 4: 2, 3.
4 - Commandment 3: 1.
5 - Ibid 4: 1,5.
6 - Ibid 4: 1: 6-8.
7 - Ibid 4: 3: 2.
8 - Ibid 4: 3: 6.
9 - Ibid 5: 1: 2-6.
10- Ibid 6: 2: 1. 5, 6.
11- Ibid 7: 1, 2.

12- Ibid 8: 12.
13- Ibid 9: 5, 6.
14- Ibid 10: 1: 1.
15- Ibid 10: 2: 6.
16- Ibid 10: 3: 3.
17- Ibid 11: 8.
18- Ibid 12: 2: 1-5.
19- Ibid 12: 5: 2.
20- Ibid 12: 6: 2.
21- Simil. 1: 1, 2.
22- Ibid 3: 2: 3.
23- Ibid 4: 3: 4.
24- Ibid 5: 1: 4, 5.
25- Ibid 5: 7: 1.
26- Ibid. 6: 3: 6.
27- Ibid 7: 4, 5.
28- Ibid 8: 6: 2.

+ + +



التوبة

جاء فى الوصية الرابعة حوار بين هرماس وملاك التوبة عن موضوع التوبة وغفران الخطايا بعد نوال المعمودية .

[قلت : أيمكنني ياسيدى أن أسألك سؤالاً آخر ؟

فقال : تكلم .

قلت : سمعت بعض المعلمين يقولون إنه ليس هناك توبة غير التى نلناها عند المعمودية حيث نلنا غفران الخطايا السابقة .

فقال لى : ما سمعته صحيح . وهذا هو الواقع . فالذى نال مغفرة الخطايا لا يجب عليه أن يخطىء ، بل أن يبقى فى النقاوة . ولكن ما دمت ترغب فى أن تتحقق من كل شىء ، اسمع ما أقوله لك . لا تفسح المجال للذين آمنوا الآن وسيؤمنون ... **إنى أقول لك إن الانسان يخطى خطية عظيمة إذا وقع فى التجربة بعد تلك الدعوة العظيمة الشريفة ؛ للإنسان توبة واحدة ؛ ولكنه إذ يخطىء المرة بعد الأخرى ، فالتوبة غير مفيدة**[1] ...]

(أ) يلاحظ هنا أن ملاك التوبة يفتح باب التوبة أمام الساقطين بعد العماد فى خطية عظيمة ، ربما **عنى بها جحود الإيمان** وقت الضيق والاضطهاد حيث ثارت فى الكنيسة مناقشات كثيرة حول إمكانية قبول توبتهم ؛ لكنه يضع أمام التائبين فرصة نهائية ، **فلا تُستغل طول أناة الله ومراحمه للسقوط المتكرر** .

هنا لا يتحدث ملاك التوبة عن السقوط فى الضعفات التى يئن منها الجميع ، إنما عن خطايا معينة تمس إيمان الإنسان أو قدسية حياته بأكملها ...

(ب) تحمل التوبة سمة « الجامعية » فلا يُستبعد خاطىء ما منها ؛ لا يستبعد الإنسان الدنس ولا الجاحد ، وإنما يستبعد فقط من يصر على عدم التوبة .

(جـ) يلاحظ هنا أن **التوبة تترجم إلى عمل** ، أو إلى حياة إيمانية عاملة . التائب حجر حىّ تتلقفه الإثنتا عشرة عذراء اللواتى هن : الايمان والعفة والقوة وطول الاناة والبساطة والحب الخ[3] . أما غايتها فهو التمتع بالعضوية الكنسية الروحية ، البناء الأبدى القائم على السيد المسيح الصخرة المتسعة لكل البشر ، والباب المفتوح لكل تائب[4] .

(د) **التوبة حياة شخصية** خفية وليست مجرد ممارسات ظاهرة ، هذه الحياة **لا تختبر خارج الحياة الجماعية الكنسية** ... فالمؤمن يبقى حجراً لا قيمة له ، ولا يتغير لونه إلى البياض والبهاء ما لم تدخل به العذارى إلى البرج ليصير مع إخوته بناءً مترابطاً وبهياً .

فى المثال ٩ يبرز انه لا مكان للمؤمن فى البرج أى فى الكنيسة بدون التوبة ، وأيضاً لا خلاص إلا بدخول البرج . كأنه بالتوبة نتمتع بالحياة الكنسية الحقة ، وبالحياة الكنسية نخلص من الخطية وننعم بحياة القداسة المجيدة .

الإيمان الثالوثى

لم يذكر هرماس قط اسم « يسوع المسيح » بل دائماً يدعوه ابن الله أو السيد ، كما خلط فى المثل التاسع بين الروح القدس وابن الله ، إذ يقول له ملاك التوبة : [أريد أن أريك كل ما اظهره لك الروح القدس الذى خاطبك باسم الكنيسة ، هذا الروح هو ابن الله[5] .]

وفى مثل ٥ : ٦ : ٥ـ٧ جعل الروح القدس الخالق متجسداً ...

هكذا حدث لبس فى نظرته للثالوث ، ما لم يكن الخطأ فى النساخة منذ عصر مبكر .

الكنيسة

١ـ ان كان كتاب « الراعى » هو دعوة حارة للتوبة ، فهو فى الحقيقة دعوة للدخول إلى العضوية الكنسية حيث جماعة التائبين المتمتعين بنعمة الله وعمله الخلاصى . رأينا فى المثل التاسع على وجه الخصوص ، كيف نزع ابن الله ،

صاحب البرج ، من كنيسته الحجارة غير اللائقة ، ولم يقبل عودتها لتكون جزءاً لا يتجزأ من البناء بطريق آخر غير التوبة العملية والمستندة على ابن الله ، الصخرة المتسعة لكل البشر .

٢ـــ الكنيسة ـــ عند هرماس ـــ هى أول المخلوقات ، لم يُخلق العالم إلا لأجلنا(٦) .

٣ـــ لا يتجاهل هرماس ضعفات الكنيسة ، بل يتحدث عنها باسهاب فى الرؤيا الثالثة ، ومع وجود هذه الضعفات كان مملوءاً رجاءً فى الله الذى يبنى الكنيسة كبرج بسرعة(٧) .

٤ـــ تحدث بطريقة غير مباشرة عن النظام الكهنوتى ، فقد مدح محبة الأساقفة الروحيين ، وفى صراحة وبخ الكهنة (القسوس) والشمامسة على أخطائهم .

٥ـــ بغض النظر عما للإكليروس من فضائل أو ضعفات فانه يتطلع إلى الكنيسة نفسها كأم للمسيحيين .

إنها كأم تنصح أبناءها قائلة : [اسمعوا يا أولادى ؛ لقد ربيتكم ببساطة عظيمة وبراءة وقداسة(٨) ...]

٦ـــ يتحدث عن وحدة الكنيسة فيما بينها ووحدتها مع مسيحها ، إذ رآها برجاً كما لو كانت حجراً واحداً منفرداً(٩) ، كما رآها والصخرة القائمة عليها كتلة واحدة(١٠) .

المعمودية

١ـــ لا يتمتع أحد بالعضوية الكنسية ما لم يتقبل المعمودية :

[سألتها : لماذا يُبنى هذا البرج فوق الماء ياسيدتى ؟

فقالت : لقد قلت لك من قبل ... إن حياتنا خلصت وتخلص بالماء . للبرج أساس ، وأساسه كلمة اسم الله العظيم الممجد ، قائم بقوة السيد غير المنظورة(١١) .]

٢ــ تسمى المعمودية ختماً :

[الذين لا يحملون اسم ابن الله هم أموات ، إلا أنهم عندما ينالون الختم يخلعون الموت ويلبسون الحياة . الختم هو ماء المعمودية ، ينزلون فى الماء أمواتاً ويخرجون منه أحياء . لقد أُعلن هذا الختم لهم أيضاً فاستخدموه ليدخلوا ملكوت السموات[١٢] .]

ويُلاحظ أن العماد هو نزول الى الماء كما إلى القبر وخروج منه كما بقيامة السيد المسيح ، يتم **بالتغطيس** كشركة فى دفن المسيح وتمتع بقيامته ، كقول الرسول بولس : « فدفنا معه بالمعمودية للموت ؛ حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً فى جدة الحياة » رو ٦ : ٤ .

٣ــ يرى هرماس أن الرسل والمعلمين نزلوا إلى الجحيم ليعمدوا الذين رقدوا فى الفضيلة والايمان بابن الله قبل مجىء السيد المسيح ، ويصيروا معهم حجارة ميتة فى البرج الأبدى ... هكذا يرى العماد ضرورياً حتى لرجال العهد القديم الذين ماتوا على رجاء الخلاص ... هذه النظرة مبالغ فيها ، لكنها تكشف عن مدى أهمية المعمودية فى العصر الرسولى للتمتع بالخلاص .

الاخلاق .

١ــ يقول كواستن Quasten إنه جدير بالملاحظة وأمر هام أن هرماس يميز بين الوصية والمشورة ؛ الوصية تأمر بما يجب الالتزام به ، أما المشورة فتعنى أن الانسان يتمم ما بعد المشورة بمحض ارادته .

[سأظهر لك وصاياه ، فان فعلت ما هو أكثر تنال مجداً أعظم وحظاً أوفر عند الله[١٣] .]

من الأعمال التى بها نمارس ما هو أكثر من الوصايا : الصوم والبتولية والاستشهاد .

كأن المسيحية لا تقف عند حدود معينة ، أو لا تعرف للوصية حداً ، إذ يشتاق المؤمن أن يُبذل كل يوم فى أصوامه ، وأن يسمو بمشاعره فيقدم نفسه بتولاً لا تنشغل إلا بعريسها السماوى ؛ ويشتهى أن يموت من أجل من مات عنه .

٢ــ لكل انسان ملاكان ، ملاك البر يحث الانسان على الحياة الفاضلة من تقوى وطهارة وقداسة الخ ... وملاك الشر يثير فيه الشر . كل من الملاكين يريدان السكنى فى القلب ؛ الأول أنيس ومتواضع ووديع والثانى عنيف وبغوض وأحمق[١٣] .

٣ــ يتطلع هرماس إلى الغنى كعائق فى الحياة الروحية ، بل أحياناً يقود إلى انكار السيد[١٤] .

الزواج

فى رأيه لا يجوز لأحد الزوجين أن يتزوج بسبب زنى الطرف الآخر ، لكنه يمكنه أن ينفصل عنه ، وإن تاب الطرف الآخر فليقبل توبته[١٥] .

يجوز الزواج بعد وفاة الطرف الآخر ، وإن بقى الشخص بدون زواج ينال شرفاً عظيماً ومجداً أمام السيد[١٦] .

مخطوطات وطبعات « الراعى »

يقول مطران حلب الياس معوض [لم يكن الراعى لعام ١٨٥٦ معروفاً إلا فى ترجمة لاتينية يرجح انها من القرن الثانى ، وقد طبعت هذه أولاً فى باريس عام ١٥١٣ ، وفى عام ١٨٥٧ طبعت عن مخطوطة من القرن الرابع عشر ترجمة لاتينية ثانية تستند على الأرجح إلى الترجمة الأولى ، ويغلب على الظن أنها من القرن الرابع أو الخامس .

اما المخطوطة اليونانية « للراعى » فأن أول من وجدها هو قسطنطين سيمونيدس المزوِّر وذلك عام ١٨٥٥ ، فى دير القديس غريغوريوس فى جبل آثوس . وهذه المخطوطة المنسوخة بخط كثيف هى من القرن الرابع عشر ؛ تتألف من عشر ورقات ، والورقة الأخيرة منها مفقودة . انتزع سيمونيدس من ورقات المخطوطة ، الخامسة والسادسة والتاسعة ، ونقل الورقات الباقية باعتناء ، ولم يسم الدير الذى وجدت فيه . ثم باع الورقات الثلاث الأصلية مع الورقات المنقولة الى مكتبة ليبزيغ ، وهكذا عرفت التسعة أعشار من المخطوطة اليونانية « للراعى » ، وقد نشره Anger and Dindorf ، فى ليبزيغ سنة ١٨٥٦ . ثم أخذ سيمونيدس

يطلع على العالم ، شيئاً فشيئاً ، بمخطوطات جديدة « للراعى » حتى أوصلها الى عشر مخطوطات ، أقدمها ادعى بأنه اكتشفها فى جبل سيناء عام ١٨٥٢ ويعود تاريخها الى القرن الاول ، وهى بالنتيجة اقدم كل المخطوطات فى العالم . ولما كان سيمونيدس قد وعد باحضار مخطوطة هرماس كما هى ، جاءت دائرة الشرطة فى برلين ، باشارة من الكساندر ليكورغو استاذ الجامعة آنذاك ، ورئيس أساقفة سيروس ، وتينوس فيما بعد ، فضبطتِ غرفته والمواد التى كان يهيئها لتقديم هذه المخطوطة ، الامر الذى اضطره إلى مغادرة المانيا والشخوص الى انجلترا حيث تابع عمله كخداع . وفى عام ١٨٥٩ نشر فى لندن بحثاً بعنوان « القليل من الكثير عن الأب الرسولى هرماس » ، ونشر فى آخر البحث صورة عن مخطوطتين قديمتين من عمله ، مستنداً الى الترجمة اللاتينية . على أن Hulgenfeld الذى طبع لهرماس أخذ عن سيمونيدس النهاية المزيفة لكن هارنك بيّن زيفها . وفى عام ١٨٨٠ صادف ان كان اسبيريدون لامبروس فى دير القديس غريغوريوس فى جبل آثوس فدرس مخطوطة هرماس ، ونقل بواسطة مرافقه الورقات الست الباقية ونشرها فى عام ١٨٨٨ فى كمبردج(١٧) ، وقدمت هذه الطبعة ببحث طويل عن كيفية وجود المخطوطة ؛ وهكذا اتضح أن كل ما جاء به سيمونيدس كان منحولاً(١٨) .]

لعل أقدم نسخ أصيلة لكتاب « الراعى » بقايا برديتان بجامعة ميتشجان Michigan ، وهما يعودان إلى أواخر القرن الثالث ، يضمان شيئاً من المثلين الثانى والخامس ومن الوصية الثانية(١٩) .

كما عثر على الربع من « الراعى » وحتى الوصية الرابعة فى المخطوطة السينائية للكتاب المقدس Siniaticus التى عثر عليها Codex Tishendorf، سنة ١٨٥٩ ، وطُبعت فى ليبزيغ عام ١٨٦٣ ، وهى ضمن ملحقات العهد الجديد .

وجدت فى مصر مقاطع من كتاب الراعى مكتوبة على رق الغزال وعلى ورق البردى .

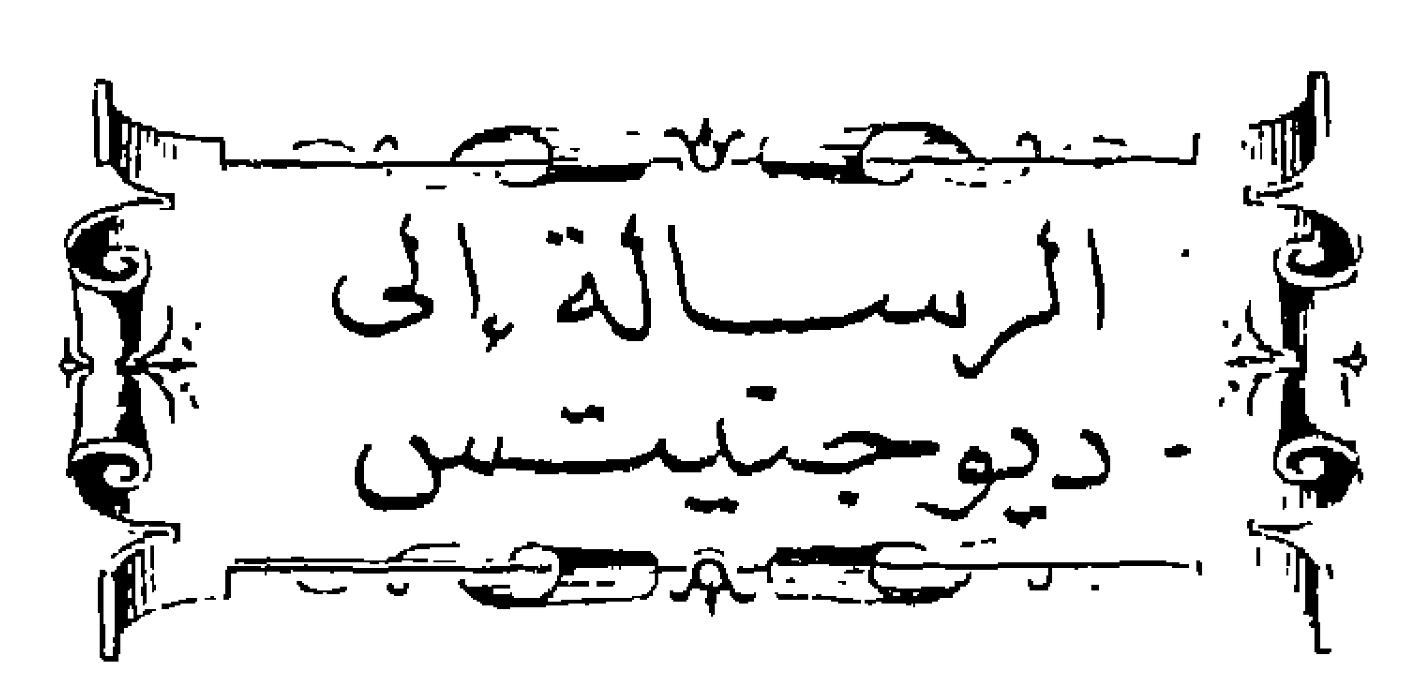
توجد ترجمة قبطية وحبشية وفارسية للراعى .

1 - Commandment 4: 3.
2 - Quasten: Patrology, vol. 2, p. 98.
3 - See Commad. 9.
4 - Ibid.
5 - Ibid 9: 1: 1.
6 - Vision 2: 4: 1.
7 - Ibid 3: 8, 9.
8 - Ibid 3: 9: 1.
9 - Command. 9: 9: 7.
10- Lebreton, p. 376-377.
11- Vision 3: 3: 5.
12- Command. 9: 16: 3, 4.
13- Ibid 6: 2: 1-4.
14- Command. 8: 8: 1; 9: 1; 9: 20: 1; Vision 3: 6: 5-7.
15- Command. 4: 1: 8.
16- Ibid 4: 4: 1-2.
17- A Collection of the Athos codex of the shepherd of Hermas together with an introduction by Sp. P. Lampros. Translated and edited by J. Armitage Robinson, Cambridge 1888.

١٨ــ سلسلة آباء الكنيسة : ١ــ الآباء الرسوليون ، ص ١٧١ــ١٧٣ .

19- F.L. Cross, p. 27.

+ + +



THE EPISTLE TO DIOGNETUS

يعتبر البعض الرسالة إلى ديوجين أو ديوجنس أو ديوجنيتوس أو ديوغنيتس ضمن الكتابات الرسولية ، ويصنفها البعض ضمن كتابات المناضلين أو المدافعين Apologists ، وهى رسالة نفسية نجهل كاتبها وتاريخ كتابتها ومكان الكتابة ، يكتنفها الغموض . قام بتعريبها جورج صابر فى سلسلة « الأصول المسيحية الشرقية » ، وقد اعتمد فى تقديمه لها على ما جاء فى سلسلة source Chrétiennes ، عام ١٩٥١ لـ H.L. Marou (مجلد ٣٣) . كثيراً ما اعتمدت عليها مع الرجوع إلى بعض الترجمات الأخرى ، خاصة التى باللغة الانجليزية[١] .

أهميتها واكتشافها[٢]

غموض كثيف يكتنف هذه الرسالة النفسية التى نجهل مؤلفها ، وتاريخ تأليفها ، والتربة التى نبتت فيها . طُبع هذا المؤلف الوجيز ونُقح وشرح ما يربو على سبعين مرة فى غضون قرون ثلاثة .

هذه الشهرة النادرة ، التى قلَّ ما حظى بها كتاب من كتب الأقدمين ، تتنافى والصمت المطبق الذى اكتنف الرسالة فى تاريخ الآداب المسيحية الأولى . فمؤرّخو العلوم الكنسية المشاهير نظير أوسابيوس ، وإيرونيموس ، وجنّاديوس ، وفوتيوس ، يجهلونها تماماً ، ولا يأتون على ذكرها مرة واحدة فى جملة ما كتبوا وألّفوا . جلّ ما نعرف عنها هو أنها اكتُشفت فى النصف الاول من القرن الخامس عشر (١٤٣٦) ، فى حانوت من حوانيت القسطنطينية ، على يد اكليريكى لاتينى يدعى توما أرزّو ، جاء عاصمة الشرق ليدرس فيها لغة الفلسفة والعلم والحضارة . ثم انتقلت منه الى راهب دومينيكانى حملها الى مدينة بازل . وهكذا انسابت من يد الى أخرى حتى استقرّت ، آخر المطاف ، فى مكتبة ستراسبورج Strasbourg ، سنة ١٨٥٩ . وبعد عشر سنوات احترقت تلك المكتبة ، واتلفت

معها مخطوطات قيّمة عام ١٨٧٠ م ، فى الحرب الفرانكو باروسية Franco-Prussian War، أو الحرب الفرانكو المانية Franco-German War . هذا المخطوط من القرن ١٣ / ١٤ ، كان قبلاً محفوظاً فى دير Alsatian ببلدة Maursmuenster ضمن كتابات القديس يوستين الشهيد .

ويشاء حسن الطالع أن يكون احد علماء ستراسبورج قد سبق ونسخ ، بدقة وأمانة ، هذه المخطوطة ، سنة ١٨٤٢ ، لكى تنشر فى طبعة عامة لمؤلفات يوستينوس الشهيد . وقد ظهرت الرسالة فى الجزء الثانى منها ، عام ١٨٤٣ .

ثم ان عالماً آخر يدعى روّس كان قد كُلِّف ، سنة ١٨٦١ ، أن يقابل هذه الطبعة بمخطوطة ستراسبورج وينقّحها بدقة وأمانة ، بغية إصدار طبعة جديدة للمجموعة المذكورة . ففعل وأعطى خلاصة بحثه ودراساته ، مرفوقةً بملاحظات باليوغرافية قيِّمة ، أُدرجت كلها فى الطبعة الجديدة التى ظهرت سنة ١٨٧٩ . وهكذا نكون قد احتفظنا ، فى هذه الطبعة المنقَّحة ، بأصدق صورة لمخطوطة ستراسبورج التى ذهبت فريسة النار(٣) .

شخصية مؤلفها

١ــ جاءت الرسالة تحمل الكثير مما ورد فى كتابات المناضل أرستيديس Aristides ، لكن يبدو انه لم يعتمد عليه مباشرة . ومن الجانب الآخر استخدم الكاتب أعمال القديس إيريناؤس . علاوة على هذا فإن فصل ٧ : ١ــ٥ يذكرنا بما جاء فى القديس هيبوليتس(٤) ، والفصلان ١١ ، ١٢ هما ملخصا عمل هيبوليتس Philosophoumena . لهذا رأى N. Bonwetsch و R.H. Connolly أن واضع الرسالة هو القديس هيبوليتس الرومانى(٥) .

٢ــ يعتقد P. Andriessen أن كوادراتوس Quadratus هو واضع الرسالة ، وانها ليست الا ذلك الدفاع المفقود له . ومع أن العبارة التى اقتطفها المؤرخ يوسابيوس(٦) عن دفاع كوادراتوس غير موجودة فى الرسالة إلى ديوغنيتوس لكن توجد ثغرة بين العبارتين ٦ ، ٧ فى الفصل السابع للرسالة ويمكن للعبارة التى وردت فى يوسابيوس أن تسد هذه الثغرة ... المعلومات التى وصلت الينا عن

كوادراتيوس من يوسابيوس وجيروم وفوتيوس وما ورد فى Bede عن الاستشهاد ورسالة القديس يعقوب المزورة والموجهه إليه جاءت كلها تتفق مع الرسالة الى ديوغنيتوس(٧) .

٣ــ تدل الرسالة على علاقة قوية بين كُتابها والقديس اكليمندس الاسكندرى ، أو أن الكاتب المجهول « يدور فى فلك اكليمندس » على حد تعبير كافكن(٨) ؛ غير أن بعض الدارسين يروا أن ما هو مشترك بينهما إنما هو قاسم مشترك فى التقليد المسيحى القديم ، خاصة فى مجموعة المحاماة عن الايمان ، وان الاثنين لم يعتمد احدهما على الآخر ، إنما ارتويا من ينبوع واحد مشترك هو التقليد الكنسى .

من هو ديوغنيتس ؟

من الصعب التعرف على شخصية ديوغنيتس ، وتعيين مركزها الاجتماعى ، وذلك لكثرة الذين حملوا هذا الاسم فى القرون الأولى ، إنما يظهر من الرسالة انه شريف قد طلب من صديقه المسيحى أن يخبره عن مفاهيم ديانته وطقوسها .

يرى H. Lietzmann انه ربما يكون معلم مرقس أوريليوس ؛ ويرى هنرى مارو H.I. Marou انه موظف دولة شغل منصباً كبيراً فى الامبراطورية الرومانية ؛ ويرى P. Andriessen انه الامبراطور أدريان Hadrian ، أما ديوجنيتس (تعنى **حامل السماء**) هو أحد ألقابه الشرفية(٩) .

جاء فى المقدمة : [أنا عالم ، ياسيدى ديوغنيتس ، باهتمامك العظيم الذى تظهره لتتعرف على المعلومات الدقيقة عن الدين المسيحى ، لتطلع على حقيقة الإله الذى يؤمن به المسيحيون ، والعبادة التى يقدمونها له ؛ وعما يدفعهم إلى احتقار (محبة) العالم ، والاستهانه بالموت .

بإنك تسأل : لِمَ لا يقيم المسيحيون وزناً لآلهة يعترف بها اليونانيون ، ولا يعيرون انتباهاً لسفسطات يتشبث بها اليهود ؟ وما هو سرّ الحب العظيم الذى يربطهم بعضهم ببعض ؟

كما تود أن تعرف أخيراً : لِمَ هذا الشعب الجديد ـــ قل : هذا النمط الجديد من الحياة ـــ جاء إلى حياتنا حديثاً فقط عوض ظهوره فى أزمنة مبكرة ؟]

سماتها

١ـــ تتحلى الرسالة باللطف ورقة العاطفة[١٠] ، فهى درة ثمينة[١١] فى مجموعة المحاماة عن الإيمان ، وشهادة صادقة للسّر المسيحى . تتسم بالدقة فى التفكير مع وضوح فى التعبير[١٢] ، صاغها الكاتب فى شكل أسئلة طرحها عليه صديقه الشريف ديوغنيتوس مقدماً إجابة صريحة عن هذه التساؤلات .

٢ـــ فى حديثه عن سمو المسيحية عن الوثنية أبرز جانبين :

(أ) كيف يمكن للانسان أن يتعبد لصنم صنعته يد بشرية من مادة قابلة للتلف والفناء كما يتعرض الصنم نفسه للسرقة ؟

(ب) تمج النفس الذبائح الدموية .

٣ـــ أبرز سمو المسيحية وكمالها عن اليهودية بارتفاعها فوق الحرفيات القاتلة من تطهيرات ، واهتمام بختان الجسد ، كما لا يحمل المسيحيون كبرياء اليهود واعتدادهم بذاتهم .

٤ـــ كشف عن سمو الحياة المسيحية وسلوك المسيحيين فى أيامه ، فى النقاط التالية :

(أ) يُترجم سمو إيمانهم خلال السلوك العملى اليومى .

(ب) الايمان المسيحى **هبة إلهية** يسمو فوق العقل لكنه لا يناقضه ، قدمه الله الكلمة نفسه .

[العقيدة التى يدين بها المسيحيون ، ويحيطونها بجليل العناية ، ما كانت قط يوماً من استنباط انسان ، فإن ايمانهم لا يمت بصلة إلى أسرار البشر . انه بالحقيقة هبة القدير بالذات ، خالق الكل ، غير المنظور ، عطية السماء . فهو الذى جعل الحق بين الناس ، اعنى كلمته القدوس غير المدرك ، الذى وطّد الله فى قلوب المؤمنين به .]

[إن رب الكون ... قد ظهر للبشر فى ملء محبته ... كشف لنا عن قصده فى شخص ابنه الحبيب ، وأعلن ما أعده لنا منذ البدء .]

[الله لم يبغضنا ، ولم ينبذنا ، ولم يحقد علينا ، بل اتسم بطول الأناة زمناً ، وحمل اعباءنا ، تحنن علينا ، وأخذ على عاتقه وقر خطايانا ، وأسلم وحيده فداء عنا . أجل ! لقد أسلم القدوس للمجرمين ، والبار للأثمة ، والصديق للمنافقين ، والأزلى للمائتين . بمَ كان يمكن أن تُستر آثامنا إن لم يكن ببره هو ؟ بمن نتبرر نحن الأثمة إن لم يكن ببر ابنه الوحيد ؟]

[لقد ظهر الكلمة وأعلن نفسه للبشر . وإذ لم يفهمه من لم يؤمنوا به ، كشف عن سره لتلاميذه الذين عرفهم ، فآمن به تلاميذه ، ونالوا من معرفة أسرار الآب . لهذا جاء كى يعلن ذاته . ولما استهانت به خاصته ، حمل الرسل بشارته إلى الأمم فآمنت به .

فى البدء كان ، وظهر كأنه جديد ، وهو القديم .
ميلاده يتجدد أبداً فى قلوب قديسيه .
إنه الأبدى ونحن اليوم نعرفه كأنه جديد !]

(جـ) المسيحيون ليسوا ، كما يتخيل ديوغنيتوس ، شعباً متقوقعاً حول ذاته ، يقيم من ذاته دولة لها لغتها الخاصة وعاداتها المستقلة ، إنما **الإيمان المسيحى هو انفتاح على البشرية ، على خلاف اليهود .**

[لا وطن ، ولا لغة ، ولا عادات ، تميز المسيحيون عن سائر البشر . فهم لا يقطنون مدنا خاصة بهم ، ولا ينفردون بلهجة معينة ...] ٥ .

(د) **طبيعة الكنيسة سماوية** ، لكنها تؤمن بالواقع العملى بكونها تعيش على الأرض .

[يقيم كل منهم فى وطنه ، إنما كغريب مُضاف ...
إنهم فى الجسد ، ولكنهم لا يعيشون حسب الجسد .
يصرفون العمر على الأرض ، إلا أنهم من مواطنى السماء .]

(هـ) العالم يضاد الكنيسة لكنه لا يقدر أن يؤذيها ؛ وتبقى الكنيسة تحب

العالم وتخدمه باخلاص . قد يسلبها العالم الامور الزمنية لتفتقر ، وبفقرها تغنى الكثيرين .

[الجميع يضطهدونهم ، ويتنكرون لهم ، ويحكمون عليهم ، أما هم فبموتهم يربحون الحياة .

إنهم فقراء ، وبفقرهم يغنون الكثيرين .
يفتقرون إلى كل شيء ، وكل شيء فائض لديهم .]

(و) علاقة الكنيسة بالعالم **كعلاقة الروح بالجسد** ، مصدر حياته ، إنها خميرة المجتمع البشرى ، والنور الذى يهديه سواء السبيل .

[يقيم المسيحيون فى العالم كما تقيم الروح فى الجسد .
الروح منتشرة فى أعضاء الجسد انتشار المسيحيين فى مدن العالم .
الروح تقيم فى الجسد ، إلا أنها ليست من الجسد المنظور ...
الجسد يكره الروح ويقاومها ، وإن لم ينله منها أذى ، سوى أنها تحول دون انغماسه فى حمأة اللذات . والعالم يكره المسيحيين ، لا لأنهم أساؤا إليه ، بل لكونهم يتصدّون لما فيه من شهوات منحرفة فاسدة . تحب الروح الجسد الذى يبغضها ، كما يحب المسيحيون مبغضيهم .

الروح سجينة الجسد ، ولولاهم لما كان للجسد من حياة ، والمسيحيون موثوقون فى سجن العالم ، ولولاهم لا قيام ولا حياة للعالم » ٦ .

(ز) يخضع المسيحيون للشرائع ؛ هم مواطنون صالحون ، يعملون بنشاط فى خدمة بلدهم .

يمتثلون للشرائع القائمة ، إلا أن نمط حياتهم يسمو كمالاً على الشرائع ...

لا يعملون إلا الصلاح ، ويُعاقبون كالسفلاء ، وفى عقابهم يتهللون كأنهم يولدون للحياة .]

(ح) تعيش الكنيسة حياة الشركة فى كل شيء ماعدا الحياة الزوجية ، اذ يقول **العلامة ترتليان** : [كل شيء مشترك بيننا عدا زوجاتنا[١٣] .] وجاء فى

الرسالة إلى ديوغنيتس : [لأى مسيحى الحرية أن يشارك طعام قريبه ، لكنه لن يشاركه مضجعه] ٥ .

٥ــ يدعو الكاتب صديقه ديوغينيتس للايمان .

[الآن ، إن رغبت أيضاً أن يكون لك مثل هذا الايمان ، فلتكن لك معرفة الآب كأول درس لك ...

تصور أية غبطة سيتدفق بها قلبك لمعرفته ! ولكم تندفع فى حب من أحبك أولاً .

بحبك له تتمثل بجوده ...
انه ستشجب خداع العالم وضلاله .

يوم تَعى حقيقة الحياة المسيحية ، تزدرى بما يسمونه موت الجسد ، لترهب الموت الحقيقى المُعد لمن سيُطرحون نهائياً إلى النار الأبدية جزاء أعمالهم السيئة . وانك ستنحنى اجلالاً وتعظيماً أمام من قاسوا عذاب النار هنا لأجل البر ، وتغبطهم إذا ما كنت على علم بحقيقة النار الأخرى] ١٠ .

[لتتحد المعرفة بقلبك ، ولتتقبل حياتك فى داخلها الكلمة . وإذا ما نمت هذه الشجرة (شجرة المعرفة) فيك ، وجمعت ثمارها ، فأنك لا تنفك تجنى ما يُرتجى نواله من الله ، وما لا تقوى الحية على الوصول إليه ، ولا الخداع أن يتسلل إليه . أما حواء فإنها لم تبق بعد ضحية الاغواء ، بل ستظل عذراء ، ويُعلن الخلاص] ١٠ .

أقسام الرسالة

١ــ غيرة ديوغنيتس واسئلته	١ .
٢ــ سمو المسيحية على الوثنية واليهودية	٢ــ٤ .
٣ــ سمو الحياة المسيحية	٥ــ٦ .
٤ــ أصل المسيحية الإلهى	٧ــ٨ .
٥ــ ظهورها مؤخراً لاظهار عجز الانسان بذاته	٩ .

٦ــ دعوة ديوغنيتس لقبول الايمان ١٠ .

٧ــ الفصلان ١١ ، ١٢ ــ يرى البعض انهما دخيلان يخصان عملاً آخر ، ربما يكون من عمل القديس بنتينوس عميد مدرسة الاسكندرية(١٤) ، أو من عمل هيبوليتس الرومانى(١٥) ، أو ميليتس أسقف ساردس(١٦) Melito of Sardis .

١ــ راجع الترجمة الانجليزية للرسالة فى كتاب :

Penguin Classics, Maxwell Staniforth Early Christian Writings, 1968, p. 173-184.

وفقرات منها فى الكتب التالية :

H. Musurillo: The Fathers of the Primitive Church, 1966, p. 147-149.
Pier Franco Beatrice: Introduction to the Fathers of the Church, 1987, p. 73-76.
Anne Fremanthe: A Treasury of Early Christianity, 1960, p. 46-50.

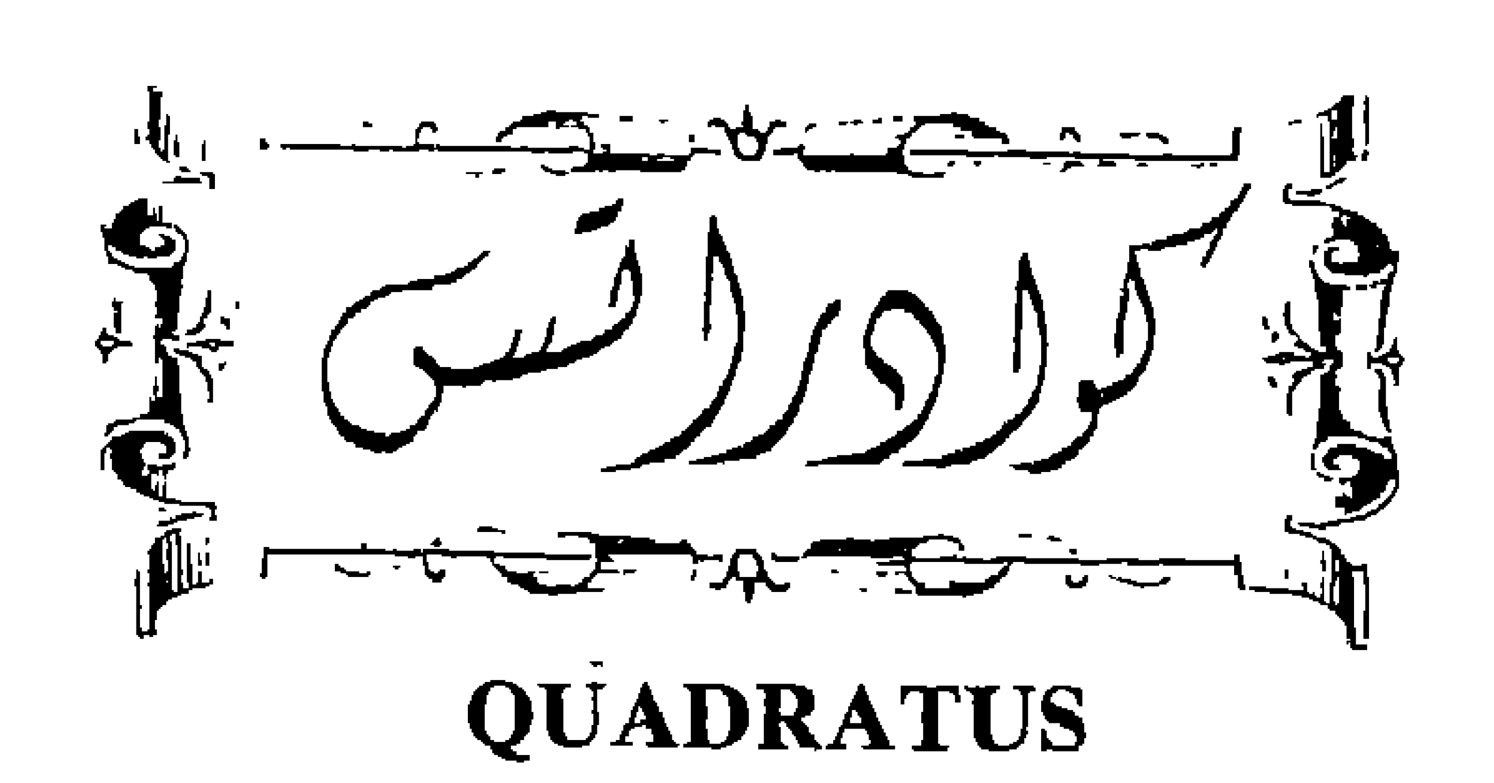
٢ــ الأصول المسيحية الشرقية : رسائل رعوية ١ ؛ تعريب وتقديم جورج صابر ، ص ١٩٩ الخ .

3 - Source Chrétienne, t. 33, p. 5-8.
4 - Philosoopoumena 10: 33.
5 - Quasten: Patrology, vol. 1, p. 248.
6 - H.E. 4: 3: 2.
7 - Quasten, vol. 1, p. 248-9.
8 - Zeitschrift für Kirchengeschichte, t. XLIII, 1924, p. 350.
9 - Maxwell Staniforth, p. 171.
10- H. Puech: Histoire de la litterature grecque chrétienne, t. 2, p. 217.
11- I.M. Sailer, der Briefan Diognetus, eine Perle de Christlischen Alterthums, Munich, 1900, Apologie, 15-4.

١٢ــ جورج صابر ، ص ٢٠٧ .

13- Apology 39: 11.
14- H.B. Swete: Patristic Study, 1904, p. 46 n.
15- Maxwell Staniforth, p. 172.
16- Adgar Goodspeed: A History of Early Christian Literature, 1966, p, 105.

+ + +



QUADRATUS

يبدو أنه أسيوى ، وقد دعاه البعض Quadratus the Asiatic وانه تلميذ للرسل[١] .

كوادراتس هو أقدم المدافعين apologists عن المسيحية . ونحن ندين ليوسابيوس القيصرى فى كل ما نعرفه عنه ، إذ يقول :

[وبعد أن حكم تراجان تسع عشرة سنة ونصف ، خلفه فى الحكم يوليوس ادريان Aelius Hadrian . وقد وجه إليه كوادراتس حديثاً متضمناً دفاعاً عن ديننا ، لأن بعض الأشرار حاولوا ازعاج المسيحيين . ولا يزال هذا المؤلف بين أيدى الكثيرين من الاخوة ، ولدينا نسخة منه . وهو برهان قوى على ذكائه وارثوذكسيته الرسولية .

انه يظهر التاريخ المبكر الذى عاش فيه ، وذلك بكلماته التالية :

« على أن أعمال مخلصنا كانت دائماً ماثلة أمامنا ، لأنها كانت يقينية . فإن الذين شُفوا والذين أُقيموا من الأموات لم يُروا فقط وقت شفائهم أو قيامتهم ، بل كانوا حاضرين دوماً ، ليس فقط حين كان المخلص على الأرض ، بل وأيضاً بعد ذهابه (صعوده) ، لأنهم ظلوا عائشين مدة طويلة ، وقد عاش بعضهم حتى زماننا نحن »[٢] .]

ما جاء فى كتاب يوسابيوس هو كل ما وصل إلينا من دفاع كوادراتس . فقد ثبت خطأ نظرية Harris بانه توجد مقتطفات من هذا الدفاع فى الاكلمنضيات المزورة واعمال القديسة كاترين السينائية وتاريخ يوحنا مالالاس Malalas ورواية برلعام وجوزاف romance of Barloram and Joasaph[٣] .

قدم كوادراتس دفاعه للامبراطور خلال أقامته فى آسيا الصغرى فى عام

١٢٣/١٢٤ أو فى عام ١٢٩[٤] ، وربما فى أثينا عندما زارها الامبراطور عام ١٢٥ أو مؤخرا عام ١٢٩[٥] .

من الصعب إعتباره تلميذا للرسل . هذا ولم يكن القديس جيروم[٦] على صواب حين ظنه كوادراتس أسقف أثينا الذى عاش فى ايام مرقس أوريليوس .

فكره اللاهوتى

من خلال الفقرة الصغيرة التى وصلت إلينا عن طريق يوسابيوس يرى البعض أن كواردراتس كان يقارن بين عمل السيد المسيح واعمال الآلهة الوثنية ، فعمل السيد المسيح حقيقى وباقٍ أما عمل الشياطين فهو مؤقت ومملوء خداعاً . هذه الفكرة وُجدت لدى اللاهوتيين الفلاسفة المعاصرين لكوادراتس[٧] .

\+ \+ \+

1- Patrick J. Hamell: Handbook of Patrology, 1968, p. 36;
H. Musurillo: The Fathers of the Primitive Church, 1966, p. 117.

راجع ترجمة القس مرقس داود ، ١٩٦٠ ، ص ١٦١ .

3- Quasten: Patrology, vol. 1, p. 191.

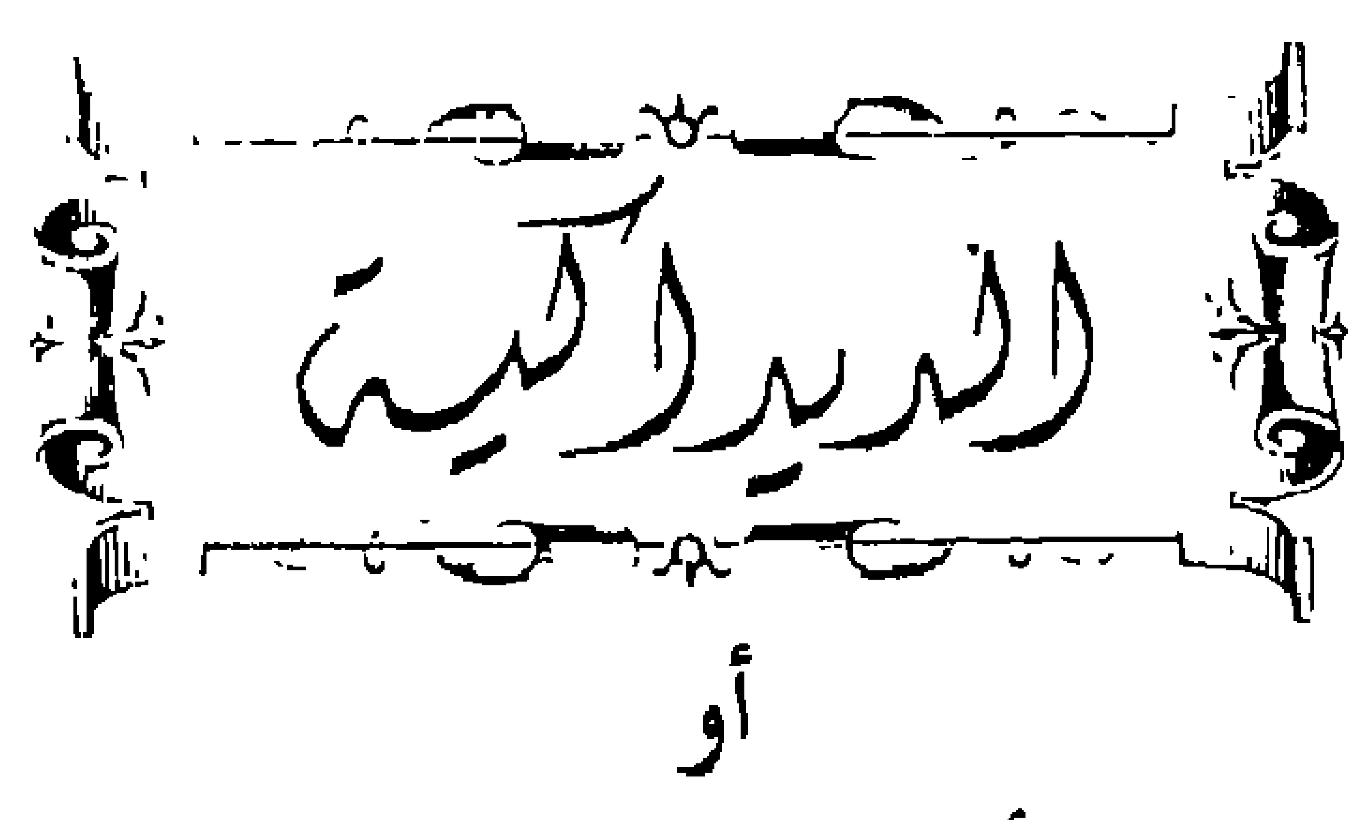
4- Ibid.

5- Edgar J. Goodspeed: A History of Early Christian Literature, 1966, p. 96.

6- Vir Illust. 9; Ep. 70: 4.

7- E.J. Goodspeed, p. 96-7.

\+ \+ \+



أو
تعليم الرب للأمم بواسطة الاثنى عشر رسولاً

جاءت كلمة « ديداكية » أو « الذيذاخى » Didache عن الحروف اليونانية الأولى لعنوان عمل يسمى « تعليم الرب للأمم بواسطة الإثنى عشر رسولا » . يُعتبر أهم وثيقة بعد كتابات الرسل ، تكشف لنا عن الحياة الكنسية الأولى من كل الجوانب : السلوكى والليتورجى والتنظيمى . كما يقول Quasten : [بين أيدينا ملخص لتوجيهات تعطينا صورة رائعة للحياة المسيحية فى القرن الثانى . فى الحقيقة نجد هنا أقدم نظام كنسى ، نموذجاً قيِّماً لكل التجمعات القديمة الخاصة بالنظم والقوانين الرسولية ؛ هذا النموذج هو بداية القانون الكنسى شرقاً وغرباً(٢) .]

ويرى F.L. Cross أن هذا الدليل السلوكى التعليمى والنظام الكنسى هو أهم أكتشاف فى حقل أدب الآباء فى المئة سنة الأخيرة(٣) .

وقد خدمت الديداكية الكثير من الأعمال الليتورجية والكتابات الخاصة بالقوانين الرسولية الدسقولية السريانية Didascalia والتقليد الرسولى لهيبوليتس Apostolic Tradition والقوانين الرسولية Apostolic Constitutions .

كان لها أهمية خاصة فى العصور الأولى حتى حاول البعض ضمها إلى أسفار العهد الجديد ، فانبرى الكتَّاب الأولون يوضحون عدم قانونيتها ، مثل البابا أثناسيوس الأسكندرى(٤) والمؤرخان يوسابيوس(٥) وروفينوس(٦) .

وقد استخدم اكليمندس الاسكندرى(٧) وإيريناؤس عبارتين يُشتَّم منهما معرفتهما بالديداكية ، وأيضا واضع كتاب De Aleatoribus(٨) المنسوب لكبريانوس .

على أى الأحوال لم يتعرف الدارسون الغربيون على الديداكية حتى اكتشفها فيلوثيؤس برينيوس Philotheos Bryennius مطران نيقوميديا[٩] . عام ١٨٧٥ ضمن المخطوط القسطنطينى لعام ١٠٥٦ م (حالياً فى أورشليم) ، وقام بنشرها عام ١٨٨٣ ، فأثار ذلك ضجة فى الأوساط العلمية ، خاصة فى ألمانيا وأنجلترا وأمريكا[١٠] لم يحدث مثلها فى أى اكتشاف أدبى سابق .

محتوياتها

ليست الديداكية عملاً واحداً قام أحد الكتاب بتأليفه ، إنما هو تجميع حاول جامعه أن يربط أجزاءه معاً فلم يستطع ، فقدم لنا ثلاثة أعمال مع خاتمة ، أو قل ثلاثة أقسام بخلاف الفصل الختامى :

القسم الأول : يمثل الحياة العلمية السلوكية فصل ١ــ٦ .
القسم الثانى : يمثل الحياة الليتورجية والسرائرية فصل ٧ــ١٠، ١٤ .
القسم الثالث : يمثل الترتيبات الكنسية فصل ١١ــ١٥ .
الخاتمــة : عن بُروسيا الرب أو مجيئه الأخير Parousia فصل ١٦ .

القسم الأول : الحياة العملية السلوكية

كنا نتوقع من العنوان « تعليم الرب للأمم بواسطة الإثنى عشر رسولا » أن تتحدث الديداكية عن العقيدة المسيحية والمفاهيم اللاهوتية ، لكن إذ يخبرنا القديس أثناسيوس الرسولى انها كانت تستخدم فى تعليم الموعوظين قبل عمادهم ، كان غايتها تذكير طالبى العماد ــ بعدما قبلوا الإيمان ــ أن يعلنوا إيمانهم بأعمالهم ، كأنها تضع لهم دستور الحياة الجديدة التى فى المسيح يسوع ؛ حقاً إن المسيحية ليست مجموعة أخلاقيات ، لكنها إيمان عمل مُعاش ، شهادة حية لعمل السيد المسيح فى حياة المؤمن عملياً .

استخدمت الديداكية نظام « الطريقين Two ways » ، يختار الانسان طريق الحياة أو الموت . هذا الأسلوب استخدمه اليونان فى المجامع الهيلينية ، واستعارته الكنسية ليتناسب مع طالبى الإيمان الذى من أصل هيلينى ، لكن بروح مسيحية ، مستقاة من « الموعظة على الجبل » ، وقد استخدمه اليهود أيضاً[١١] .

القسم الثانى : الحياة الليتورجية

كشفت لنا الديداكية عن بعض الطقوس والمفاهيم الكنسية للعبادة المسيحية :

(أ) **المعمودية** : تتحدث عن العماد بالتغطيس فى ماء جارٍ ، أى فى الأنهار ؛ هذه العادة كانت قائمة فى عصر الرسل وما بعدهم مباشرة .

وإذا لم يوجد ماء جارٍ يتم العماد بالتغطيس فى ماء آخر ، وعند الضرورة يمكن سكب الماء على المعمد ثلاث دفعات باسم الثالوث القدوس .

ومن الاستعدادات اللازمة للسِّر أن يصوم طالب العماد وخادم السِّر ومن الغير — ما استطاع — يومين أو يوماً قبل العماد . ولا تزال هذه العادة سارية فى الكنيسة القبطية ، إذ يصوم خادم السِّر والاشبين والمعمد فى نفس اليوم الذى يتم فيه العماد .

(ب) **الصوم والصلاة** : لكى لا نشترك مع اليود فى أصوامهم — يومى الإثنين والخميس — نصوم يومى الأربعاء والجمعة ؛ على أنه يليق بنا ألا نصوم أو نصلى برياء .

تأمر الديداكية المؤمنين أن يمارسوا الصلاة الربانية ثلاثة مرات يومياً .

(جـ) **الأفخارستيا** : سبق معالجة هذا الموضوع بشىء من التوسع فى كتاب « المسيح فى سرَّ الأفخارستيا »(١٢) . ووصلنا إلى أن الفصلين ٩ ، ١٠ **يصوَّران ليتورجيا الأفخارستيا للمعمدين حديثاً (خاصة فى مساء سبت النور)**، والفصل ١٤ يتحدث عن خدمة الأفخارستيا العادية التى تقام يوم الأحد(١٣) .

(د) **الاعتراف** : يُمارس قبل الاجتماع فى الكنيسة (فصل ٤ ، ١٤) ، كما يُلتزم به قبل التمتع بشركة الأسرار المقدسة (الأفخارستيا) .

(هـ) **الكنسيات** : الكنيسة فى مفهوم واضع الديداكية كاثوليكية « جامعة » ، تضم العالم كله ، من كل شعب وجنس ، ليس فقط الذين آمنوا

بل والذين يؤمنون يوماً ما ... وهو يطلب الصلاة لكى يجمعها الرب من الرياح الأربع .

أما من جهة الرئاسة الكهنوتية **فلا يُشتم منها إفتراض وجود أسقفية واحدة رئاسية فى العالم ...**

كما ركز على وحدة الكنيسة وقدسيتها ، رابطاً بين وحدتها ووحدة الخبز الأفخاريستى .

القسم الثالث : الترتيبات والتنظيم الكنسى

تحدث بشىء من الإطالة عن الإدارة الكنسية : عن الرسل والأنبياء والمعلمين والأساقفة والشمامسة .

أثار هذا القسم مع القسم السابق الكثير من الجدل بين الدارسين :

١ــ يرى Connolly, Vokes أن ما ورد بالديداكية من ترتيبات كنسية من أصل مانى ، إذ يعتمد على وجود أنبياء . غير أن هذا الرأى يصعب قبوله ، إذ لم يرد فى الديداكية شىء عن مانى وأتباعه ، ولا حملت العنف النسكى الذى تميزت به هذه البدعة ، ولا عارضت الزواج الثانى والتوبة الثانية .

٢ــ Armitage Robinson أن الديداكية هى تجميع عن صورة الكنيسة الأولى مُقتبس عن مصادر رسولية . وهذا الرأى أيضاً عليه إعتراضات ، منها أنه لو كان هدف الجامع هكذا لما غفل الحديث عن الأسقفية والبتولية وظهور الإتجاه الغنوصى أو ما يضاده ...

٣ــ الرأى الأرجح نادى به Streeter, Creed, Klauser, Kleist أن الكاتب مجرد جامع ، عكس الترتيبات الكنسية والتعاليم الليتورجية فى الفترة التالية لعصر الرسل . ربما قام بهذا العمل كاتب بالاسكندرية حيث جمع بين مخطوطين قديمين وصلا بين يديه ، أحدهما عن « الطريقين » مصرى الفكر والآخر مجموعة عن أحكام الحياة الكنسية فى نهاية القرن الأول ، وقد غيَّر فيهما ، ثم وضع الخاتمة (فصل ١٦) من عندياته ، وهى لا تمت بصلة مع بقية الديداكية .

الخاتمة : بروسيا الرب

حملت الديداكية ككل الإتجاه الإسخاتولوجى (الأخروى) بصورة واضحة ، كغيرها من الكتابات التالية لعصر الرسل ؛ إذ كان الكل يتوقع سرعة مجىء الرب الأخير .

تظهر هذه السمة فى الصلوات الأفخارستيا الواردة بالديداكية ، كما خصص الفصل الأخير الختامى بأكمله عن بّروسيا الرب مع إشارة إلى علامات المنتهى ، وإلتزامنا قبالته .

كاتب الرسالة وتاريخ كتابتها

رفض الدارسون ما إفترضه Deuehesene أن العنوان يوحى بأن كاتبها أحد الرسل . فإن العنوان فى جوهره لا يشير إلى ذلك ، إنما يقصد واضع الديداكية أن يقدم صورة واضحة مختصراً لتعليم السيد المسيح للأمم كما علمها الرسل .

إلى اليوم لم يستطع الدارسون التعرف على كاتبها ، بل اختلفوا فى تاريخ كتابتها . فمال الدارسون الانجليز والامريكان إلى تحديد تاريخ كتابتها ما بين عامى ٨٠ ، ١٢٠ م ، وظن Hilgenfeld أنها كتبت ما بين عامى ١٦٠ ، ١٩٠ م ، بينما حدد Brynnius, Harnack تاريخها ما بين عامى ١٢٠ ، ١٦٠ م .

على أى الأحوال رفض الدارسون ما مال إليه القدامى من نسبتها ما بين عامى ٧٠ ، ٩٠ م ، ومال الأغلبية إلى نسبتها بالشكل الحالى إلى المنتصف الأول من القرن الثانى أو بعد ذلك بقليل[١٤] ، دون أن ينكروا وجود بعض فقرات ترجع إلى الفترة ما بين سنة ٥٠ و ٧٠ م .

لا يمكن أن نرجع إلى عصر الرسل للأسباب :

١ــ لا تحمل أى تلميح عن اليهودية ، المشكلة الرئيسية فى عصر الرسل . وإن كانت الفصول الستة الأولى يهودية فى طبيعتها ، لكنها تحمل فكراً إنجيلياً ، تقوم على تعليم السيد المسيح[١٥] .

٢ـ تجميع مثل هذه القوانين الرسولية تعنى شيئاً من الاستقرار الكنسى ، أى بعد كرازة الرسل .

٣ـ خلال التفاصيل الواردة بالديداكية يظهر أن عصر الرسل كان قد إنتهى .

٤ـ اعتمد كثيراً على إنجيل متى فلا يكون قد جمعها قبل عام ٩٠ م .

غير أن الديداكية تحمل شهادة داخلية أنها جمعت فى عصر مقارب جداً للرسل ، ربما النصف الأول من القرن الثانى ، نذكر منها :

١ـ التعميد فى ماء جارٍ ، وذلك فى عهد الرسل والقرن الثانى ، كما أن الليتورجيا الواردة فى الفصول ٧ـ١٠ تشير إلى بساطة العبادة التى كانت فى القرن الثانى .

٢ـ بساطة اللغة الزائدة ، التى اتسمت بها كتابات ما بعد الرسل مباشرة . كما أن لغتها تكشف عن التحول ما بين كتابات العهد الجديد والكتابات الكنسية .

٣ـ لا نجد بها آثاراً لنص قانون إيمان أو تقنين للعهد الجديد ، ولا يزال الأنبياء يقدسون الأفخارستيا ... الأمور التى تكشف أنها قبل نهاية القرن الثانى .

٤ـ جاء وضعها فى المخطوط ما بين الرسائل الاكلمندية ورسائل أغناطيوس ، ربما أراد الناسخ أن يشير إلى تاريخها ما بين اكليمندس الرومانى وقبل أغناطيوس ، خاصة وأن النظام الكنسى الوارد بها يكشف أنه سابق لما ورد فى رسائل أغناطيوس .

يرى البعض أن الكاتب يهودى متنصر إذ يتحدث عن بكور المحصولات وعن الأصوام اليهودية فى يومىّ الاثنين والخميس ، كما يحض على تلاوة الصلاة ثلاث مرات يومياً ، وأنه يعرف العهد القديم .

مكان الكتابة :

رأى البعض أنها سورية الأصل ، وذلك بسبب علاقتها بالقوانين الرسولية Apostolic Constitutions السريانية الأصل .

نسبها البعض لفلسطين بسبب غياب تعليم الرسول بولس .
ونسبها آخرون إلى بلاد اليونان وآسيا الصغرى .
إلا أن كثيرين[١٦] رأوا أنها مصرية وذلك للأسباب :

١ـــ تشابهها مع رسالة برناباس (١٠٠ـــ١٣٠) ، التى إستخدمت أسلوب « الطريقين » فى الرسالة (فصول ١٨ـــ٢٠) .

٢ـــ وورد أسلوب « الطريقين » فى كتابات مصرية أخرى مثل « النظام الكنسى الرسولى » Apostolic Church Order الذى عرف بالنظام الكنسى المصرى[١٧] ، كما وردت فى سيرة الأنبا شنودة (القرن الخامس) .

٣ـــ من المحتمل ـــ وليس من المؤكد ـــ أن اكليمندس الاسكندرى عرف الديداكية[١٨] .

٤ـــ أخذ الأسقف المصرى سرابيون (القرن الرابع) مقتطفات منها فى صلواته الأفخارستية .

٥ـــ كلمات التمجيد الواردة فى الصلاة الربانية وفى صلاة الافخارستيا تقتصر على الكلمتين « القوة » و « المجد » دون كلمة « الملك » . وهذا التمجيد كان شائعاً فى مصر أكثر من سواها .

الديداكية والكتابات الآبائية الأولى

١ـــ رأينا إرتباط الديداكية برسالة برنابا فى تعليم « الطريقين » ، وقد جاءت الآراء المتضاربة : هل أخذت الديداكية عن برنابا أم العكس ؟ غير أن الرأى السائد أن الاثنين أخذ هذا التعليم من مصدر مستقل شكَّله المسيحيون بما يليق بالفكر المسيحى ، كل واحد حسبما يرى[١٩] .

٢ـــ حاول البعض ربط الديداكية بكتاب « الراعى » لهرماس ، دون أن يصلوا إلى نتيجة محددة ، غير أن بعض العبارات جاءت متشابهة فى النصين ، لكن لا يوجد إلا عبارتين جاءتا حرفيتين .

٣ـــ حملت القوانين الرسولية Apostolic Constitutions (٧ : ١ـــ٣٢) أكثر من نصف ما ورد فى الديداكية ، غالباً بذات الترتيب مع تشابه قوى فى العبارات . أما العبارات التى لم ترد ، فعلى أغلب الأحوال كانت قد فقدت ارتباطها بالقرن الرابع[٢٠] .

النصوص التقليدية[٢١]

١ـــ جاء النص باليونانية كاملا فى المخطوط الذى اكتشفه Brynnius وردت أجزاء منه باليونانية فى :

(أ) حُفظ شيء من الفصلين الأول والثانى باليونانية على جزء من بردية وُجدت فى البهنسا Oxyrhynchus بمصر مع هتامات عديدة أخرى من السنة ١٨٩٧ ، وهى تعود إلى القرن الرابع[٢٢] .

(ب) الفصول الست الأولى جاءت ضمن رسالة برناباس .

(جـ) الكتاب الثامن من القوانين الرسولية .Appos. Const السورى فى القرن الرابع شمل أغلب النص اليونانى للديداكية .

٢ـــ النصان اللاتينيان ، أحدهما فى مخطوط Melk من القرن التاسع/العاشر ، يحوى أجزاء منها ، ومخطوط ميونخ (Ced. Monac. lat. 6264) من القرن الحادى عشر .

٣ـــ وُجد نص قبطى لبعض أجزاء منها ، ترجمة القرن الخامس ، على بردى بالمتحف البريطانى (٩٢٧) ، ورد بالمخطوط صلوات على زيت المسحة ، غالباً ما كان يستخدم فى سرّى العماد والمسحة (الميرون) .

٤ـــ توجد مخطوطات بها مقتطفات لترجمات سريانية وعربية وأثيوبية وجورجية[٢٣] .

+ + +

١ ــ راجع كتابنا : قانون الإيمان للرسل ــ الديداكية ، عام ١٩٧٥ .

2 - Quasten: Patrology, vol. 1, p. 30.

3 - F.L. Cross: The Early Christian Fathers, London 1960, p. 8.

4 - Ep. Fest. 39.

5 - Eusebius: H.E. 3: 25: 4.

6 - Com. in Symb. 38.

7 - Stromata 1: 20, 100.

8 - Ch. 4.

9 - The MS. was transferred to the Library of the Greek Patriarchate at Jerusalem, where it now (Codex 54).

١٠ــ المطران إلياس معوض : الآباء الرسوليون ، ص ٥٦ .

11- F.L. Cross, p. 9.

١٢ــ المؤلف : المسيح فى سرّ الافخارستيا ، ١٩٧٣ ، ص ٥٦٤ــ٥٧٤ .

13- Vokes: The Riddle of the Didache, SPCK, 1938.

14- Richardson: Early Christian Fathers, p. 161.

15- Edgar J. Goodspeed: A History of Early Christian Literature, 1966, p. 12.

16- Brynnius, Zahan, Harnack.

١٧ــ للمؤلف : المسيح فى سرّ الأفخارستيا ، ١٩٧٤ ، ص ٥٧٧ .

18- F. R. M. Hitchcock's article in the Journal of Theological Studies, 1923, 397f.

19- See Richardson, p. 162.

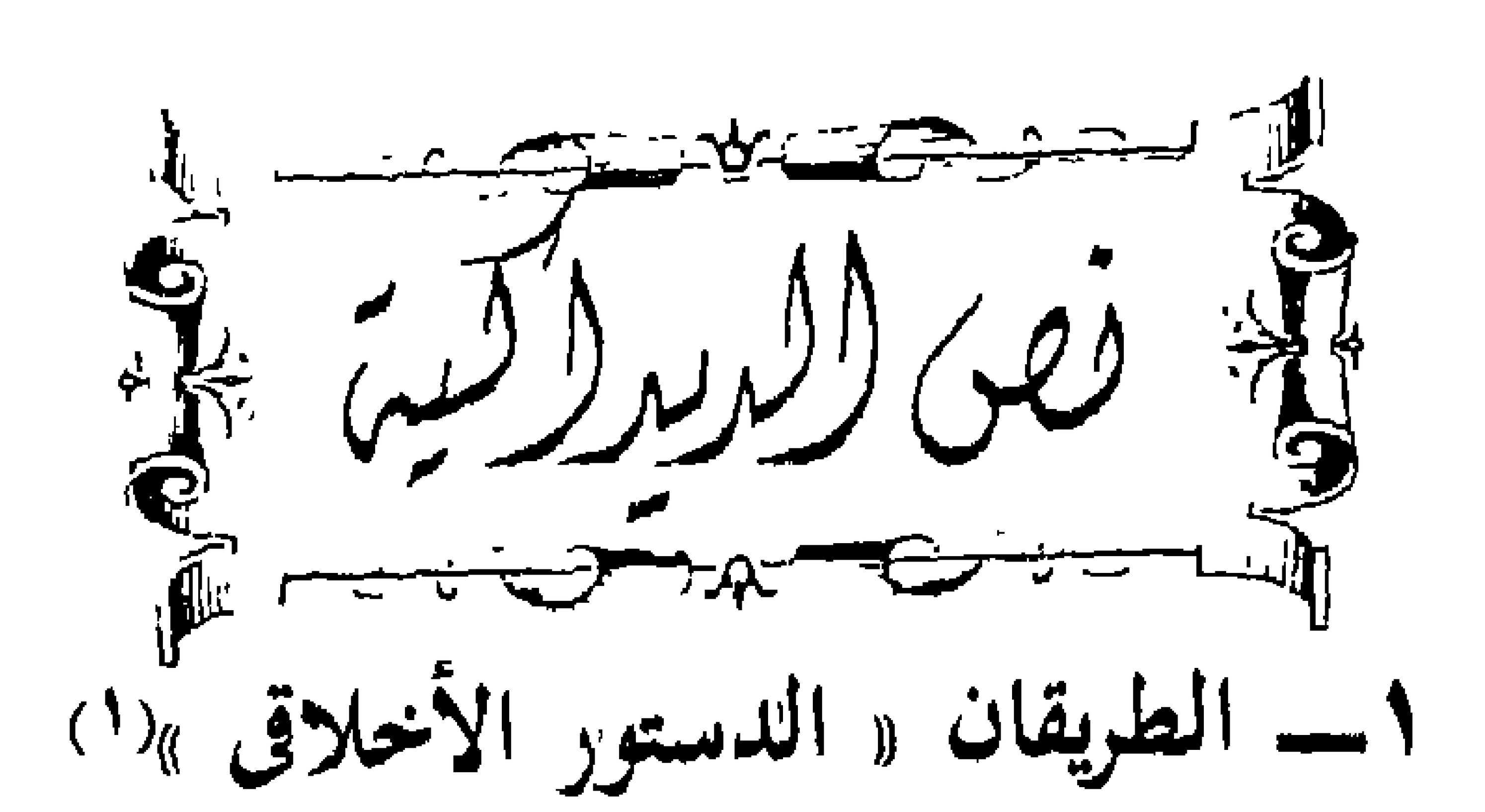
20- A.N. Frs, vol. 7, p. 373.

21- Quasten: Patrólogy, vol. 1, p. 37-38.

22- R.H. Connolly: New Fragments of the Didache, Journ. Theol. Stud., 1924, 151-3.

٢٣ــ لغة سكان جورجيا فى القفقاس .

\+ \+ \+



١ــ الطريقان « الدستور الأخلاقى »[١]

تعليم الرب للأمم بواسطة الإثنى عشر رسولا[٢] .

(١) ١ ــ يوجد طريقان : احدهما للحياة والآخر للموت[٣] ، لكن الفارق بين الطريقين عظيم .

٢ ــ طريق الحياة هو هكذا :
أولاً ، أحبب الله الذى خلقك[٤] .
ثانياً ، حب قريبك كنفسك[٥] .
ما لا تريد أن يفعله الناس بك لا تفعله أنت بالآخرين[٦] .

٣ ــ إليك ما تحمله هذه الأقوال من تعليم :
باركوا لاعنيكم ، صلوا من أجل أعدائكم ،
وصوموا من أجل مضطهديكم[٧] .
لأنه أى فضل لكم إن أحببتم الذين يحبونكم ؟
أليس الوثنيون يفعلون ذلك ؟!
أما أنتم فأحبوا مبغضيكم ، فلا يكون لكم عدو[٨] .

٤ ــ إبتعدوا عن الشهوات الجسدية[٩] الزمنية (عالمية) .
« من لطمك على خدك الأيمن فحوِّل له الآخر أيضاً »[١٠] .
وكن كاملا[١١] .
من سخرك ميلاً فأمش معه إثنين[١٢] .
من أخذ ثوبك فاعطه رداءك أيضاً[١٣] ..
من أخذ مالك فلا تطالبه به ، لأنك لا تستطيع[١٤] .

٥ ــ كل من سألك فاعطه بغير مقابل[١٥] .
فإن الآب يريد أن يشترك الكل فى نعمنا .

طوبى للذى يعطى حسب الوصية ، فيكون بلا لوم .
ويل لمن يأخذ بغير احتياج .
إن أخذ أحد عن عوز يُحسب بلا لوم .
أما إن أخذ عن غير عوز فسيعطى حساباً عن السبب والهدف اللذين من أجلهما أخذ .
إنه يُلقى فى السجن ، ويُسأل عن مسلكه ،
ولا يخرج من هناك حتى يوفى الفلس الأخير[16] .

٦ ــ لكن قيل أيضاً فى هذا الصدد :
ليبتل إحسانك بعرق يديك[17] ،
حتى تعرف لمن تعطى .

(٢) ١ ــ الوصية الثانية للتعليم :

٢ ــ لا تقتل ، لا تزن ،
لا تفسد صبيان ، لا تبغ ، لا تسرق[18] ،
لا تمارس السحر ولا تذهب لعرافة ،
لا تقتل طفلاً بالإجهاض ولا تقتل طفلاً حديث الميلاد .
لا تشته مال قريبك[19] .

٣ ــ لا تحلف[20] ، ولا تشهد بالزور[21] .
لا تنطق بكلمة إفتراء ولا تحمل حقداً .

٤ ــ لا تكن متقلب الرأى ولا منافقاً .
فإن النفاق شراك الموت[22] .

٥ ــ لا يكن كلامك كاذباً ولا تنطقه باطلاً ،
بل دعمه بالعمل .

٦ ــ لا تكن جشعاً ولا طماعاً ولا مرائياً .
لا تكن شريراً ولا متكبراً .
لا تفكر سوءاً بقريبك .

٧ ـــ لا تبغض أحداً ، لكن انذر البعض وصلِ لأجل البعض ،
أحبب الآخرين أكثر من نفسك .

(٣) ١ ـــ **يا بنى ، اهرب من كل شر ، ومن كل ما على شاكلته .**
٢ ـــ **لا تمل إلى الغضب ، فإن الغضب يقود إلى القتل .**
ولا تكن حسوداً ولا مخاصماً ولا حاد الطبع .
فإن هذه كلها تلد الجرائم .

٣ ـــ يا بنى ، لا تكن شهوانياً ، فإن الاشتهاء يقود إلى الزنا .
ولا تكن ناطقاً بكلام بذىء ، ولا عينيك شريرة ،
فإن هذا كله يلد زنا .

٤ ـــ يا بنى ، لا تتفاءل ، فإن هذا يقود إلى عبادة الأصنام .
إحترس من الرقى ، ومن حسابات المنجمين ،
ومن الشعوذات التطهيرية .
ارفض حتى رؤية هذه الممارسات ،
فإن هذه كلها تلد عبادة أصنام .

٥ ـــ يا بنى ، لا تكن كاذباً ، فالكذب يقود إلى السرقة .
لا تكن محباً للمال أو المجد الباطل ،
فإن هذا كله يلد السرقات .

٦ ـــ يا بنى ، لا تتذمر ، فإن هذا يقود إلى التجديف .
لا تكن وقحاً ولا سىء النية ،
فإن هذا يلد التجديف .

٧ ـــ لكن كن وديعاً ، فإن الودعاء يرثون الأرض[٢٣] .
٨ ـــ كن طويل الأناة ، رحيماً ، بلا مكر ،
هادئاً ، صالحاً ، ترهب التعليم الذى تتلقاه[٢٤] .

٩ ـــ لا تتفاخر[٢٥] ، ولا تستسلم للزهو ،
لا تلتصق نفسك بالمتكبرين بل عاشر الصديقين والمتواضعين

١٠ــ تقبل الأحداث التى تحل بك كأنها خير ،
عالماً أنه ليس شيء يحدث بدون إذن الله[٢٦] .

(٤) ١ ــ يا بنى ، تذكر ليلاً ونهاراً ذاك الذى يحدثك بكلام الله[٢٧] .
أكرمه كما تكرم الرب[٢٨] ،
لأنه حيث يُكرز بالتعليم الربانى يكون الرب موجوداً .

٢ ــ إسع يوماً فيوم نحو القديسين لتجد فى كلامهم تعزية .

٣ ــ لا تُثر إنقسامات ، بل وطد السلام بين المتخاصمين .
احكم بالعدل ولا تنظر الوجوه فى إنتهارك المعاصى[٢٩] .

٤ ــ لا تتردد فى قرارك بين هذا وذاك .

٥ ــ لا تبسط يديك للأخذ وتطبقهما عند العطاء[٣٠] .

٥ ــ إن كنت تملك شيئاً من تعب يديك فقدم عتقاً عن خطاياك (بالعطاء) .

٧ ــ لا تتردد فى العطاء ،
وإذا أعطيت فلا تتذمر ،
فستعرف من هو المجازى خيراً .

٨ ــ لا تصرف محتاجاً .
اقتسم كل شيء مع أخيك[٣١] .
ولا تقل أن لك مالاً خاصاً بك .
فإن كنتم تقتسمون الخيرات الخالدة فكم بالحرى الفانيات ؟[٣٢] .

٩ ــ لا ترفع يدك عن إبنك أو إبنتك .
بل علمهما مخافة الله منذ نعومة أظافرهما .

١٠ــ لا تنتهر (بمرارة) عبدك أو أمتك .
اللذين يترجان الله إلهك ،

لئلا يفقدا مخافة الله ، الذى هو فوق الكل[٣٣] ، وليس عنده محاباة الوجوه ، بل يدعو من هيأهم الروح .

١١ــ وأنتم أيها العبيد أطيعوا سادتكم فى إتضاع ومخافة كما لله[٣٤] .

١٢ــ إبغضوا كل رياء وكل ما لا يرضى الرب .

١٣ــ لا تترك وصايا الرب، بل إحفظها كما تسلمتها بغير زيادة أو نقص[٣٥] .

١٤ــ إعترف بمعاصيك فى الجماعة ،
ولا تقترب الصلاة بضمير شرير .
هذا هو طريق الحياة .

(٥) ١ ــ أما طريق الموت فهكذا :
أولا ، أنه شرير ، مملوء لعنة :
قتل، زنا، شهوات، فجور، سرقة، عبادة أصنام، أعمال سحر، عرافة ، إغتصاب ، شهادة زور ،
رياء ، نفاق ، خداع ، كبرياء ،
إساءة ، قحة ، طمع ، كلام باطل ، حسد ،
عجرفة ، ترف ، إفتخار .

٢ ــ مضطهدوا الخير ، مبغضوا الحق ، محبوا الكذب ،
لا يعرفون مكافأة البر ،
غير ملتصقين بالصلاح[٣٦] ولا بالحكم العادل ،
يسهرون لا على صنع الخير بل فعل الشر ،
بعيدون عن الوداعة والصبر ،
محبون للأباطيل ، ومطاردون المكافأة ،
لا يرحمون الفقير ، ولا يعملون من أجل الحزين ،
لا يعرفون خالقهم ،

قاتلوا أطفال ، ومفسدوا خليقة الله .
يتحولون عن المحتاج ، ويظلمون الحزانى ،
يدافعون عن الغنى ، ويحكمون بالظلم على الفقير ،
إنهم خطاة تماماً .
إيها الأبناء ، تحرروا من هذه كلها .

(٦) ١ ــ إحذر أن يضلك أحد عن هذا الطريق للتعليم ،
إنه يعلمك خارجاً عن الله .

٢ ــ إذا إستطعت أن تحمل كل نير الرب تصبح كاملاً(٣٧) .
أما إذا لم تستطع فافعل قدر طاقتك .

٣ ــ أما عن الطعام ، فاحتمل قدر استطاعتك ،
وامتنع عما قدم للأوثان تماماً ، فإنها عبادة لآلهة ميتة(٣٨) .

الحياة الليتورجية والسرائرية

العماد

(٧) ١ ــ أما عن العماد ، فعمدوا هكذا :
بعدما تعلمون كل ما تقدم ،
عمدوا باسم الآب والابن والروح القدس[٣٩] بماء جارٍ (حيٍّ) .

٢ ــ فإذا لم يكن هناك ماء جارٍ فعمد بماء آخر .
إذا لم تستطع أن تعمد بماء بارد فعمد بماء دافىء .

٣ ــ إذا كنت لا تملك كليهما فأسكب الماء[٤٠] فوق الرأس ثلاثاً ،
باسم الآب والإبن والروح القدس .

٤ ــ قبل العماد ، فليصم المُعمَّد والمُعمِدْ ومَنْ مِنَ الغير يستطيع ،
أوصى من يريد أن يعتمد أن يصوم يوماً أو يومين قبل العماد .

الصوم والصلاة

(٨) ١ ــ لا تصوموا مع المرائين[٤١] ،
فانهم يصومون اليوم الثانى واليوم الخامس من الأسبوع ،
أما أنتم فصوموا الرابع (الأربعاء) والاستعداد (الجمعة)[٤٢] .

٢ ــ لا تصلوا كالمرائين[٤٣] ،
بل كما أمر الرب فى إنجيله ، صلوا هكذا :
« أبانا الذى فى السموات ،
ليتقدس أسمك ،
ليأتِ ملكوتك ،
لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض ،

خبزنا اليومى (الضرورى) أعطنا اليوم .
واترك لنا ما علينا كما نترك نحن لما لنا عليهم ،
ولا تدخلنا فى تجربة ، لكن نجنا من الشرير ،
لأن لك القوة والمجد إلى الأبد[٤٤] .

٣ ــ صلوا هكذا ثلاث مرات فى اليوم[٤٥] .

الأفخاريستيا

(٩) ١ ــ بخصوص الأفخاريستيا ، يقدم الشكر هكذا :

٢ ــ أولا : بخصوص الكأس :
نشكرك (يوخاريستيت) ، يا أبانا ،
من أجل الكرمة المقدسة التى لداود خادمك ،
لقد أعلنتها لنا بيسوع ابنك (خادمك)[٤٦] .
المجد لك أبد الدهور .

٣ ــ ثم بخصوص الخبز (كلازما)[٤٧] المكسور .
نشكرك يا أبانا
من أجل الحياة والمعرفة .
اللتين أعلنتهما لنا بيسوع إبنك ،
المجد لك أبد الدهور .

٤ ــ كما أن هذا الخبز المكسور ،
كان مرة مبعثراً على التلال ،
وقد جمع ليصير (خبزاً) واحداً ،
كلذك إجمع كنيستك ، من أقاصى الأرض ، فى ملكوتك !
لك المجد والسلطان بيسوع المسيح أبد الدهور .

٥ ــ لا يأكل أحد أو يشرب من أفخارستيتك (ذبيحة شكرك) .
إلا الذين عمدوا باسم الرب .
ففى هذا يقول الرب « لا تعط القدس للكلاب »[٤٨] .

(١٠) ١ ــ بعدما تشبعون[٤٩] ، أشكروا هكذا :

٢ ــ نشكرك أيها الآب القدوس .
من أجل إسمك القدوس ،
الذى أسكنته فى قلوبنا ،
ومن أجل ما أعلنته لنا ، من معرفة وإيمان وخلود .
بيسوع ابنك ،
المجد لك أبد الدهور .

٣ ــ أنت ، أيها السيد القدير ،
خلقت الكون للاشادة بذكر إسمك ،
وأعطيت البشر الغذاء والشراب والتلذذ حتى شكروك .
ولكنك كافأتنا نحن بغذاء وشراب روحيين ،
وبالحياة الأبدية ،
بيسوع ابنك .

٤ ــ نشكرك فوق كل شىء ، لأنك قدير ،
المجد لك أبد الدهور . آمين .

٥ ــ أذكر يارب كنيستك ،
خلصها من كل شر واجعلها كاملة فى حبك ،
اجمعها من الرياح الأربع ،
هذه الكنيسة التى تقدسها فى ملكوتك الذى أعددته لها .
لك السلطان والمجد أبد الدهور . آمين .

٦ ــ تعال أيها الرب[٥٠] ،
وليعبر هذا العالم . آمين .
أوصّنا لإله داود !
من كان مقدساً فلقترب ،

ومن لم يكن هكذا فليتب !
ماران آثا[٥١] . آمين .

٧ ـــ اتركوا الأنبياء يشكرون كما يريدون[٥٢] .

٨ ـــ (بخصوص العطور ، أشكروا هكذا :
أيها الآب ، نشكرك على العطر الذى عرفتنا به بواسطة يسوع ابنك ، لك المجد إلى الأبد . آمين[٥٣] .)

٣ــ الترتيبات والتنظيمات الكنسية

المعلمون والرسل والانبياء[٥٤]

(١١) ١ ــ من جاء وعلمكم بكل ما سبق اقبلوه ،

٢ ــ أما إذا عاد المعلم يعلمكم تعليماً مغايراً بقصد الهدم فلا تسمعوا له[٥٥] ،
أما إذا (علَّم) هكذا : أن يزيد البر وتزيد معرفة الرب ،
فاقبلوه كما الرب .

٣ ــ أما عن الرسل والأنبياء ،
فتصرفوا بحسب تعليم الإنجيل ، هكذا :

٤ ــ اقبلوا كل رسول يأتيكم كالرب[٥٦] .

٥ ــ غير أنه يجب ألا يمكث أكثر من يوم ،
وعند الضرورة يبقى يوماً آخراً ،
إذا بقى ثلاثة أيام فهو نبى كاذب .

٦ ــ عند انصرافه لا يقبل إلا ما يكفيه من خبز إلى أن يجد له مأوى .
أما إن طلب مالاً فهو نبى كاذب .

٧ ــ لا تجربوا ولا تنتقدوا نبياً يتكلم بالروح ،
لأن كل خطية تُغفر إلا هذه الخطية[٥٧] .

٨ ــ لكن ليس كل من يتكلم بالروح نبياً .
بل الذى يسلك طرق الرب .
من سلوكهم يُعرف النبى الكاذب من النبى الحقيقى .

٩ ـــ كل نبى يأمر باقامة مائدة فى الروح[٥٧] ، إن لم يأكل منها فهو نبى كاذب .

١٠ـــ كل نبى يتكلم بالحق ، إن لم يمارس ما يُعلم به فهو نبى كاذب .

١١ـــ كل نبى مجرب بحق ،
يعمل سرَّ الكنيسة فى العالم ،
ومع ذلك لا يُعلم الآخرين أن يفعلوا ما يصنعه هو ،
لا يُدان منكم بل دينونته من الله .
فإنه هكذا تصرف الأنبياء القدماء .

١٢ـــ لكن من يقول بالروح : اعطنى مالاً أو شيئاً آخر ،
فلا تسمعوا له .
أما إذا طلب من أجل الآخرين المحتاجين فلا تدينوه .

(١٢) ١ ـــ كل من يأتيكم باسم الرب اقبلوه[٥٨] ،
بعد ذلك اختبروه واعرفوه ،
لتميزوا اليمين عن اليسار .

٢ ـــ فإن كان الآتى عابر سبيل أعينوه قدر استطاعتكم ،
ولا يبقى عندكم أكثر من يومين أو ثلاثة عند الضرورة .

٣ ـــ إذا أراد أن يمكث عندكم كصاحب مهنة فليعمل ليأكل[٥٩] .

٤ ـــ أما إذا لم يكن صاحب حرفة ،
فوجهوه أنتم لكيلا يعيش بينكم كمسيحى عاطلاً .

٥ ـــ إذا لم يرد أن يعمل فهو يتاجر بالمسيح[٦٠] ، إحترزوا من أمثاله .

(١٣) ١ ـــ كل نبى حقيقى يريد البقاء معكم « يستحق طعامه[٦١] » .
٢ ـــ كذلك المعلم يستحق كالعامل طعامه .
٣ ـــ خذ باكورة نتاج معصرتك وبيدرك ومواليد أبقارك وأغنامك وقدمها للأنبياء ، لأنهم رؤساء كهنتك .

٤ ــ إن لم يكن لكن نبياً ، فإعطه للفقراء .

٥ ــ إن خبزت ، فقدم باكورته حسب الوصية .

٦ ــ إذا فتحت وعاء خمرك أو زيتك ، إعط باكورته للأنبياء .

٧ ــ كذلك مالك (فضتك) وثيابك وكل ممتلكاتك ،
خذ الباكورة ــ كما تحسن فى عينيك ــ وقدمها حسب الوصية .

(١٤) ١ ــ فى يوم الرب ، اجتمعوا معاً لتكسروا الخبز وتشكروا ،
لكن أولا أعترفوا بخطاياكم لكى تكون ذبيحتكم طاهرة .

٢ ــ على أى الأحوال ، من كان على خلاف مع إخيه فلا يشترك فى إجتماعكم قبل أن يتصالح .
فلا تكن ذبيحتكم مدنسة .

٣ ــ لأن هذا ما قاله الرب .
« فى كل مكان وفى كل زمان ، تقرب لاسمى تقدمة طاهرة ، لأنى ملك عظيم ، يقول الرب ، واسمى مهيب بين الأمم[٦٢] .

(١٥) ١ ــ اقيموا لكم أساقفة وشمامسة جديرين بالرب ،
رجالاً ودعاء ، غير محبين للمال ،
مستقيمين ومجربين ،
فإنهم يقومون عندكم بخدمة الأنبياء والمعلمين .

٢ ــ لا تحتقروهم لأنهم الرجال المكرمون بينكم مع الأنبياء والمعلمين .

٣ ــ وبخوا بعضكم بعضاً لا بحدة بل بسلام كقول الانجيل[٦٣] ،
إذا أهان أحد قريبه فلا يكلمه أحد ولا يسمع منكم كلمة حتى يتوب .

٤ ــ أقيموا صلواتكم وقدموا صدقاتكم وافعلوا كل شىء حسب إنجيل ربنا .

برّوسيا الرب

(١٦) ١ ـــ إسهروا على حياتكم ،
ولا تدعوا مصابيحكم تنطفىء ،
ولا احقاءكم تنحل ،
بل كونوا مستعدين دائماً لأنكم لا تعرفون الساعة التى يأتى فيها ربنا[٦٤] .

٢ ـــ يليق بكم أن تجتمعوا دائماً وتطلبوا ما يخص نفوسكم ،
لأنه لا ينفعكم طيلة زمان إيمانكم إن لم تكونوا كاملين فى اللحظة الأخيرة .

٣ ـــ ففى الأيام الأخيرة يكثر الأنبياء الكذبة والمفسدين ،
وتتحول النعاج إلى ذئاب[٦٥] ، والمحبة إلى كراهية[٦٦] .

٤ ـــ إذ يزداد الإثم يكره الناس بعضهم بعضاً ،
ويضطهدون بعضهم بعضاً ،
ويطردون بعضهم بعضاً[٦٧] ،
عندئذ يظهر مضلل العالم[٦٨] كابن لله[٦٩] ،
ويصنع آيات وعجائب[٧٠] ،
وتصبح الأرض فى قبضة يديه ،
ويرتكب آثاماً لم يحدث مثلها منذ البدء .

٥ ـــ عندئذ تدخل الخليقة نار الاختبار ،
ويتعثر كثيرون ويهلكون .
أما الذين يثبتون فى إيمانهم فيخلصون[٧١] من اللعنة .

٦ ــ عندئذ تظهر علامات الحق :
أولا علامة السموات مفتوحة
ثم علامة صوت البوق[٧٢]
ثالثاً قيامة الموتى ، ليس جميعهم .

٧ ــ لكن كما قيل : سيأتى الرب ومعه جميع قديسيه[٧٣] ،
وسينظر العالم الرب آتياً على سحب السماء[٧٤] .

١ ــ العناوين والتبويب من وضع المعرب .
٢ ــ غالباً هذا العنوان هو الأصلى ، وقد عرف له عنوان آخر مختصر : « تعليم الرسل الاثنى عشر » .
٣ ــ فى رسالة برناباس طريق للنور والآخر ظلمة .
٤ ــ تث ٦ : ٥ .
٥ ــ لا ١٩ : ١٨ ؛ مت ٢٢ : ٣٧ ، ٣٩ .
٦ ــ طو ٤ : ١٥ ؛ مت ٧ : ١٢ ؛ لو ٦ : ٣١ .
٧ ــ مت ٥ : ٤٤ . الفقرة الأخيرة وردت فى القوانين الرسولية ، لا يعرف مصدرها .
٨ ــ مت ٥ : ٤٥ ــ ٤٧ ؛ لو ٦ : ٢٧ ــ ٣١ .
٩ ــ ١ بط ٢ : ١١ .
١٠ ــ مت ٥ : ٣٩ ؛ لو ٦ : ٢٩ .
١١ ــ مت ٥ : ٤٨ .
١٢ ــ مت ٥ : ٤١ .
١٣ ــ مت ٥ : ٤٠ ؛ لو ٦ : ٢٩ .
١٤ ــ كإنسان مسيحى لا يقدر أن يطلب برد ما أعطى .
١٥ ــ لو ٦ : ٣٠ .
١٦ ــ مت ٥ : ٢٦ .
١٧ ــ المصدر غير معروف . ربما كتبه عن التعبيرات المتداولة فى ذلك الوقت ألا تقدم المحبة أو العطاء بغير تمييز .
١٨ ــ خر ٢٠ : ١٣ ــ ١٥ ؛ تث ٥ : ١٧ ــ ١٩ ؛ مت ١٩ : ٨ .
١٩ ــ خر ٢٠ : ١٧ .
٢٠ ــ مت ٥ : ٣٤ .
٢١ ــ مت ١٩ : ١٨ ؛ خر ٢٠ : ١٦ .

٢٢ــ رسالة برناباس ١٩ .
٢٣ــ مز ٣٧ : ١١ ؛ مت ٥ : ٥ .
٢٤ــ إش ٦٦ : ٢ ، ٥ .
٢٥ــ لو ١٨ : ١٤ .
٢٦ــ مت ١ : ٢٩ .
٢٧ــ عب ١٣ : ٧ .
٢٨ــ مت ١٠ : ٤٠ .
٢٩ــ تث ١:١٦،١٧؛ أم ٩:٣١.
٣٠ــ حكمة سيراخ ٤ : ٣١ .
٣١ــ أع ٤ : ٣٨ .
٣٢ــ رو ١٥ : ٢٧ .
٣٣ــ أف ٦ : ٩ .
٣٤ــ أف ٥:٦ ؛ كو ٢٢:٣ .
٣٥ــ تث ١٣ : ٣٢ .
٣٦ــ رو ١٢ : ٩ .
٣٧ــ مت ٢٩:١١ــ٣٠؛ ٢١:١٩.
٣٨ــأع ١٥ : ٢٩ ؛ ١ كو ١٠ : ٢٥ــ٢٨ .
٣٩ــمت ٢٨ : ١٩ .
٤٠ــ هنا سكب الماء على الرأس جائز عند ندرة وجود الماء . سمحت به الكنيسة فيما بعد في حالة المرض الشديد، حيث يعجز المريض عن النزول فى المعمودية ، يسميه البعض : Clinical baptism .
٤١ــ مت ٦ : ١٦ .
٤٢ــ ذكرت « القوانين الرسولية » سبب الصوم يومى الأربعاء والجمعة ، أنهما يوما الخيانة والدفن .
كان اليهود يصومون الاثنين والخميس .
يوم الاستعداد هو الجمعة ، حيث كان اليهود يستعدون للسبت (الراحة) (مت ٢٧ : ٦٢) .
٤٣ــ من ٦ : ٥ .
٤٤ــ مت ٦ : ٥ ، ٩ــ١٣ .
٤٥ــ دا ٦ : ١٠ .
٤٦ــ الأصل اليونانى (بايس) يتذبذب بين المعنيين « إبن » و « خادم » ، وقد فضل البعض « الخادم » متأملين فى التسابيح الواردة فى إشعياء النبى عن « خادم أو عبد الرب المتألم » المسيح فى سر الافخارستيا ، ص ٥٧١ .
٤٧ــ أى خبز مختمر .
٤٨ــ مت ٧ : ٦ .
٤٩ــ أو تكتفون .
٤٩ــ النص القبطى « لتأتِ نعمة » .

٥٠ــ تسبير آرامى يعنى « تعال أيها الرب » .
٥١ــ راجع « المسيح فى سر الأفخارستيا » ص ٥٤٩ عن مدى حرية الاسقف فى تشكيل ليتورجية الأفخارستيا ، فى نطاق الخطوط الرئيسية التقليدية .
٥٢ــ عن النسخة القبطية .
٥٣ــ ربما يقصد بالأنبياء هنا جماعة الوعاظ أو الكارزين ، برتبة الأسقفقة .
٥٤ــ ٢ يو ١٠ .
٥٥ــ مت ١٠ : ٤٠ .
٥٦ــ ربما قصد التجديف على الروح القدس (مت ١٢ : ٣١) .
٥٧ــ ربما قصد ولائم المحبة ، أو لعله يقصد أن ينادى بتعليم روحى ولا ينفذه .
٥٨ــ مت ٢١:٩؛ مز ٢٦:١١٧ .
٥٩ــ ٢ تس ٣ : ١٠ .
٦٠ــ ١ تى ٦ : ٥ .
٦١ــ مت ١٠ : ١٠ ؛ ١ كو ٩ : ٧ــ١٤ ؛ ١ تى ٥ : ١٨ .
٦٢ــ ملا ١ : ١١ ، ١٤ .
٦٣ــ مت ٥:٢٢ــ٢٦ ؛ ١٨ : ١٥ .
٦٤ــ لو ٣٥:١٢؛ مت ٤٢:٢٤ .
٦٥ــ مت ٧ : ١٥ .
٦٦ــ مت ٢٤ : ١٢ .
٦٧ــ مت ٢٤ : ٨ــ٩ .
٦٨ــ رؤ ١٢ : ٩ .
٦٩ــ ٢ تس ٢ : ٤ .
٧٠ــ مت ٢٤ : ٢٤ .
٧١ــ مت ٢٤ : ٨ ، ٩ .
٧٢ــ مت ٢٤ : ٢١ .
٧٣ــ زك ١٤ : ٥ .
٧٤ــ مت ٢٤ : ٣٠ .

المحتويات

اكليمندس المسماة بالثانية ، رسالتان عن التوبة ، ملامحهما ومحتوياتهما ، القوانين الرسولية ، الاكلمنضيات المزورة ، ملامحها ومحتوياتها .

* **مفاهيم روحية** : التأمل فى الصليب ، الحاجة إلى التوبة ، الثقة فى المواعيد الإلهية ، ترقب وعده بالقيامة ، شهادتنا لله بسلوكنا ، نشكر الله على عمله معنا وفينا ، الاهتمام بدراسة الكتاب المقدس ، الاهتمام بالحب الأخوى ، اهتمامنا بالخطاة ، الهروب من الكبرياء .

الأعمال المنسوبة للقديس اكليمندس: رسالة اكليمندس المسماة بالثانية، اهتمامنا بالمخلص والخلاص، شهادتنا للمخلص، ترقبنا الأبدية، لنتب، الخير مصدر السلام، تمتعنا بالحياة الكنسية المقدسة؛ الرسالة الأولى عن البتولية، التأهل للملكوت، البتولية حياة إيمانية عملية، الصلاة لارسال فعلة للحصاد؛ الرسالة الثانية عن البتولية، عدم الخلط بين النساك والناسكات، الاكلمنضيات المزورة: الانسان صورة الله، حرية الارادة، العماد، الذبائح، الحيوانية، الحق والحب، الحق وامكانية الانسان، المعرفة، الحاجة إلى تعاليم صادقة، المخافة الإلهية، البر، الطاعة، الغضب المقدس، نقاوة القلب، المثابرة فى الدراسة، السلام والحرب الروحية، الخطية والألم، الزواج، الملاك الحارس، سلطان المؤمن على الشياطين، الخاسة السادسة.

* أسقف أنطاكية ، وضعه نظام التسبحة ، لقاؤه مع والى آسيا ، إلى روما ، فى ترواس ، رسائله .
* **المفاهيم اللاهوتية والروحية** : المسيح المخلص ، الخلاص ، نظرته للموت .
* الكنيسة ، موضع الذبيحة ، جماعة حب ، جماعة شكر وتسبيح ، كنيسة المسيح ، كاثوليكية الكنيسة ، الوحدة الكنسية ، وحدانية الله ، وحدة الآب والمسيح ، وحدة شخص المسيح ، وحدة المسيحيين والكنيسة ، هيكل مقدس .
* حامل الله (الثيؤفورس) ، الشركة مع المسيح ، الاقتداء بالمسيح ، الأفخارستيا ، العماد ، الاستشهاد ، الشهادة للسيد المسيح ، الاكليروس . رسالة رومية ورئاسة أسقفها ، الزيجة ، البتولية ، الصمت .

* بوليكاربوس أسقف سميرنا ، القديسان بوليكاربوس واغناطيوس ، بوليكاربوس والهراطقة ، القديس بوليكاربوس الشهيد ، كاثوليكية

يطلب من :

كنيسة مارجرجس اسبورتنج - الإبراهيمية - الأسكندرية .

كنيسة مارمرقس والأنبا بطرس - سيدى بشر - الأسكندرية .

مكتبة مارمرقس بالأنبا رويس .



الثمن ٢٥٠ قرشاً